

حيوات عديدة
معلمون كثر
د. براين ويس
مكتبة
الحبر الإلكتروني
@bookkn
d110d
القصة الحقيقية لطبيب نفسي بارز ومريضته الشابة
وعلاج الماضي الذي غير حياتهما
دار الخيال

حيوات عديدة

مُعلِّمون كُثر

مكتبة الحبر الإلكتروني
مكتبة العرب الحصرية



Many Lives, Many Masters

By: Brain L. Weiss, MD

حيوات عديدة، معلمون كُثر

د. براين ويس

ترجمة: قسم الترجمة في دار الخيال

الطبعة الأولى 2022 ©

ISBN:978-9953-651-30-9



مركز الأعمال - صندوق بريد 519251

مدينة الشارقة للنشر المنطقة الحرة

الشارقة - الإمارات العربية المتحدة

Email: alkhayal@inco.com.lb

www.daralkhayal.com

dar.alkhayal dar.alkhayal daralkhayal_

د. براين ويس

حيوات عديدة
مُعلّمون كُثر

القصة الـحقيقية لطبيب نفسي بارز ومريضته الشابة
وعلاج الماضي الذي غيَّر حياتهما



شكر وتقدير

إلى زوجتي كارول، التي أعتاش على حبّها، وبه سأستمرُّ إلى وقت غير محدود، لا أستطيع تخمينه، وسنظلّ معًا إلى آخر الزمان.

الكثير من الشكر والمحبة يعود لأطفالي - جوردان وآيمي - اللذين سامحاني لأخذي الكثير من الوقت الذي كان يفترض بي أن أقضيه معهما، لتأليف هذا الكتاب.

أشكر كذلك نيكول باسكو لنسخ التسجيلات الصوتية لجلسات العلاج.

اقتراحات التعديل لجولي روبن بعد قراءة المسودة الأولى من هذا الكتاب كانت عالية القيمة.

قلبي يشعر بالامتنان تجاه باربرا جيس المحررة لدى سيمون آند شاستر، لخبرتها وجرأتها.

إنّ عميق تقديري يذهب للجميع من حولي، الذين جعلوا من تأليف هذا الكتاب أمرًا ممكنًا.

تمهيد

أعلم أنّ هنالك سببًا خفيًا لكلّ ما يحدث، وقد لا نمتلك لحظة حدوثه، ما يكفي من المعلومات أو البصيرة لفهمه، ولكنّنا مع الصبر، وبمرور الوقت، سنتبيّن الأمور.

إذًا، بدأ الأمر مع كاثرين، عندما التقيتها لأول مرة في عام 1980، وكانت تبلغ من العمر سبعًا وعشرين سنة. حينما زارتني في عيادتي، وكانت تعاني من القلق ونوبات الهلع والمخاوف، وعلى الرغم من كون هذه الأعراض جميعًا قد رافقتها منذ طفولتها، إلّا أنّ وضعها بات يسوء أكثر فأكثر، وفي كلّ يوم بات يتفاقم إحساسها بالشلل العاطفي، وتتضاءل قدرتها على ممارسة حياتها بشكلٍ طبيعي، كانت خائفة ومكتئبة.

على العكس من الفوضى التي كانت تعمّ حياتها في ذلك الوقت، فقد كانت حياتي تسير على ما يرام، كان زواجي مستقرًا، ولدي طفلان صغيران، ووظيفة مزدهرة. منذ البداية بدا لي بأنّ حياتي لا تمضي كما يجب، فقد ترعرعت في منزل مملوء بالحبّ، وأعقب ذلك نجاح أكاديمي سلس، وفي السنة الجامعيّة الثانية، قررت أن أصبح طبيبًا نفسيًا، كنت قد تخرجت من «فاي بيتا كابا» مع مرتبة الشرف من جامعة كولومبيا في نيويورك عام 1966، حينها ذهبت لجامعة ييل، قسم كلية الطبّ واستلمت شهادة الدكتوراه في عام 1970، بعد التدريب الجامعي في جامعة نيويورك بمركز بيليفيو الطبي، ثم عدت إلى ييل لإتمام دراسة الطبّ النفسي، وبعد تخرجي وافقت على العمل بمنصب مدرس في جامعة بيتسبرغ؛ وبعد سنتين، انضممت للتدريس في جامعة ميامي، مترئسًا قسم سايكو فارماكولوجي، حيث حصلت هناك على تقدير وطني في مجالات بيولوجيا الطبّ النفسي وتعاطي المخدرات، وبعد أربع سنوات في الجامعة، تمّت ترقيتي لمنصب أستاذ مساعد في الطبّ

النفسي في كلية الطبّ، وتمّ تعييني رئيسًا للقسم النفسي في مستشفى جامعي ضخم في ميامي، في ذلك الوقت كنت قد نشرت سبعًا وثلاثين بحثًا علميًا، وفصولاً من كتب في مجالي.

لقد درّبت عقلي خلال سنوات الدراسة المنتظمة على التفكير كعالم وطبيب معالج، ما تسبب في قولبتي على سبل ضيقة من التحفظ في مجال عملي، لم أكن أثق بأيّ شيءٍ لا يمكن إثباته من خلال وسائل علمية تقليدية، ومع ذلك كنت أسمع ببعض الدراسات في مجال الباراسيكولوجي، والتي تمّ إجراؤها في جامعات معروفة في أمريكا، ولكنّها لم تكن تسترعي اهتمامي؛ كانت تبدو بعيدة عن التصديق بالنسبة لي.

وبعد ذلك قابلت كاثرين؛ ولمدة ثمانية عشر شهرًا، استخدمت فيها وسائل العلاج التقليدي لمساعدتها على تجاوز الأعراض التي تواجهها.

وحين بدا أنّ شيئًا لم يتغير، استخدمت التنويم بالإيحاء، وخلال سلسلة من مراحل التنويم، تذكرت كاثرين ذكريات «حياة سابقة» ثبت لاحقًا أنّ لها علاقة بالأعراض التي تواجهها.

كاثرين أيضًا كانت قادرةً على أن تعمل كقناة للحصول على معلومات من «كيانات روحية» غاية في التطور، ومن خلالها اكتشفت الكثير من أسرار الحياة والموت، وفي خلال شهور قليلة، أخذت الأعراض التي كانت تواجهها بالاختفاء، وواصلت حياتها بسعادة وسلام أكثر من ذي قبل.

لا شيء من خلفيتي العلمية هيّأني لهذا. كنت مذهولاً تمامًا حين تكشفت هذه الأمور؛ لا أملك تفسيرًا علميًا لما حدث.

هناك الكثير عن العقل البشري مما هو أبعد من قدرتنا على الاستيعاب، ربما تحت التنويم الإيحائي، كانت كاثرين قادرة على التركيز على جزء من عقلها الباطن اختزن ذكريات حياتها السابقة، أو ربما استطاعت الولوج إلى ما يسميه المحلل النفسي «كارل يونغ» اللاوعي الجمعي، مصدر الطاقة الذي يحيط بنا، ويشتمل على ذكريات الجنس البشري كلّه.

إنّ العلماء قد بدأوا في البحث عن هذه الأجوبة؛ نحن كمجتمع سنستفيد الكثير من هذه الأبحاث التي تدور فكرتها حول لغز العقل والروح واستمرار الحياة بعد الموت، وتأثير تجاربنا في الحياة السابقة على سلوكنا في الحياة الحالية.

ويبدو بشكل واضح، إنّ النتائج غير محدودة، وخاصة في مجالات الطبّ، والطبّ النفسي، ومقارنة الأديان والفلسفة.

ومع ذلك، فإنّ البحث الدقيق علميًا في هذا المجال هو في البدايات، حيث يتمّ اتخاذ خطوات واسعة للكشف عن هذه المعلومات، ولكنّ العملية بطيئة وتقابل بمقاومة شديدة من العلماء والناس على حدّ سواء.

وعبر التاريخ، قاوم الجنس البشري التغيير وقبول الأفكار الجديدة. وعلم التاريخ زاخر بالأمثلة، فحين اكتشف غاليليو أقمار كوكب المشتري، رفض علماء الفلك حينها قبول اكتشافه هذا، بل إنّهم رفضوا حتى النظر في هذه الأقمار، لأن إثبات وجودها يتعارض مع قناعاتهم الراسخة؛ وذات الأمر يتكرر الآن مع أطباء النفس والمعالجين، الذين رفضوا معاينة وتقييم الدلائل الواضحة التي تمّ جمعها عن العودة بعد موت الجسد، وعن ذكريات الحيوات السابقة؛ لقد أبقوا أعينهم مغلقة بإحكام.

هذا الكتاب هو مساهمة صغيرة للبحث المستمر في مجال الباراسايكولوجي، خاصة الفرع الذي يتعامل مع تجاربنا قبل الولادة وبعد الموت، كلّ كلمة ستقرؤها صحيحة؛ لم أضف عليها شيئًا، لقد قمت فقط بحذف الأجزاء المتكررة، وببعض التغيير في هوية كاثرين للحفاظ على الخصوصية.

لقد استغرقني الأمر أربع سنوات لكتابة ما حدث. أربع سنوات لأستجمع شجاعتي بأخذ المخاطرة في الكشف عن معلومات غير تقليدية.

في إحدى الليالي وبينما كنت أستحم، أحسست فجأةً بوجوب وضع هذه التجربة على الورق، كان ينتابني شعور غامر بأنّ هذا هو الوقت الصحيح، وبأنّه لا يجب عليَّ كتمان هذه المعلومات بعد الآن؛ ومشاركة الدروس التي تعلمتها مع الناس، وعدم الاحتفاظ بها لنفسي! لقد أتت المعلومات من خلال كاثرين، وعليها أن تظهر من خلالي الآن.

لقد أيقنت ألا إمكانية لوجود عواقب عليَّ مواجهتها، وتكون أكثر تدميرًا من عدم مشاركتي المعرفة التي اكتسبتها عن الخلود؛ وحقيقة معنى الحياة.

أسرعت خارج الحمام وجلست على مكتبي، ومعي كومة من الأشرطة الصوتية، كنت قد قمت بتسجيلها أثناء جلساتي مع كاثرين.

في الساعات الأولى من الصباح، فكرت في الجد الهنغاري القديم الذي مات بينما كنت لا أزال مراهقًا، كنت كلما أخبرته بأنني خائفٌ من أخذ المخاطرة، كان يشجعني بمحبةٍ، من خلال تكرار التعبير الإنجليزي المفضل: «ماذا بحق الجحيم».

الفصل الأول
كاثرين في عيادة الطب النفسي

عندما رأيت كاثرين للمرة الأولى، كانت ترتدي فستانًا قرمزيًا، وكانت تطالع بعصبيةٍ مجلةً في غرفة الانتظار الخاصة بي. تنفسها كان مضطربًا بشكل واضح. ولعشرين دقيقة سابقة، كانت تسير في الممرّ، خارج مكاتب قسم الطبّ النفسي، في محاولة لإقناع نفسها بالحفاظ على موعدها معي، وعدم الهرب بعيدًا.

قمت بالخروج إلى غرفة الانتظار للترحيب بها، وخلال مصافحتي لها، لاحظت أنّ كفّها بارد ورطب، مما يؤكد قلقها، في الواقع لقد تطلّب منها الأمر شهرين لاستجماع شجاعتها، وحجز موعد لرؤيتي، وذلك بعد أن تمّ نصحها، وبشدةٍ، لطلب مساعدتي، من قبل طبيبين تثق بهما.

أخيرًا ها هي هنا! كاثرين امرأة جذابة بشكل استثنائي، شعر أشقر متوسط الطول، وعينان عسليتان. كانت تعمل في ذلك الوقت، كاختصاصية تقنية في مختبر في المستشفى الذي كنت رئيسًا للقسم النفسي فيه، وحصلت على مدخول إضافي من تصميم ملابس السباحة.

قمت بإدخالها إلى مكتبي، تجاوزت الأريكة لتجلس على كرسي كبير من الجلد، جلسنا مقابل بعضنا البعض، مكتبي النصف دائري يفصلنا، مالت كاثرين على كرسيها إلى الوراء، صامتة، لم نعرف من أين نبدأ، انتظرت مُفضّلاً أن تختار هي البداية، ولكنّني بعد مرور بضع دقائق، بدأت أتساءل عن ماضيها.

وخلال زيارتها الأولى تلك بدأنا بالكشف عن حياتها، وعن سبب مجيئها لرؤيتي، ومن خلال إجاباتها عن أسئلتي، كشفت كاثرين قصة حياتها. لقد كانت الطفلة الوسطى في أسرة محافظة

كاثوليكية عاشت في قرية صغيرة في ماساتشوستس، أخوها ولد قبلها بثلاث سنوات، كان رياضيًا ويتمتع بحرية لم تكن متاحة لها، أختها الصغرى كانت مدللة والديها.

حين بدأنا الحديث عن الأعراض التي تواجهها، أصبحت متوترة ومتشنجة بشكل ملحوظ، كان حديثها سريعًا، وكانت تميل إلى الأمام وتسند كوعيها على المكتب، قالت بأنّ حياتها كانت على الدوام مثقلةٌ بالمخاوف، وأنّها تخشى الماء، وتخاف من أن تغصّ، وتختنق لدرجة أنّها لم تستطع يومًا أن تبتلع حبوب الدواء، كانت تخاف من الطائرات، ومن الظلام، وترتعب من فكرة الموت، وفي الآونة الأخيرة بدأت مخاوفها تتفاقم، واعتادت ألّا تشعر بالأمان إلّا حينما تنام في خزانة الملابس في شقتها! كانت تعاني من الأرق لثلاث ساعات قبل أن تتمكن من نوم خفيف متقطع، تتخلله استفاقات متعددة، الكوابيس والمشي أثناء النوم والتي لطالما أزعجتها وهي طفلة، عادت إليها مجددًا، ومع ازدياد تأثير المخاوف والأعراض عليها أصبحت أكثر كآبة.

ومع مواصلة كاثرين لحديثها، وإلى أيّ حدّ قد استفحلت معاناتها لأعوام سابقة، ساعدتُ العديد من المرضى مثل حالتها، عاشوا ما يشبه معاناتها ومخاوفها، لذلك شعرت وبكلّ ثقةٍ، بأنّني قادر على مساعدتها، قررت العمل بدءًا من طفولتها، بحثًا عن الجذور الأصلية لمشاكلها. فهذا النوع من المعلومات يساعد عادةً في التخفيف من القلق. وإذا ما استدعى الأمر لتناول الأدوية، واستطاعت أن تبتلع حبّة الدواء، فإنني سأعرض عليها أدوية معتدلة مضادة للقلق لجعلها تشعر براحة أكبر، كان هذا هو العلاج التقليدي المتبع في مثل حالة كاثرين، لذا لم أتردد أبدًا في استعمال المهدئات ومضادات الاكتئاب في علاج مخاوفها وقلقها الشديد والمزمن.

الآن، ولفترة مؤقتة، يمكنني استخدامها، على الرغم من عدم وجود دواء يمكنه بلوغ جذور هذه الأعراض، إلّا إنّ تجاربي مع كاثرين وغيرها أثبتت لي ذلك، الآن أعلم أن هناك علاج، وهو ليس مقتصرًا على كبت أو إخفاء هذه الأعراض.

خلال الجلسة الأولى، واصلت في محاولة دفع كاثرين بلطف للعودة إلى طفولتها، ولأنّها تذكرت بشكل مذهل بعض الأحداث من سنواتها الأولى، وضعت بذهني خيار التنويم بالإيحاء كطريق مختصر لتجاوز هذا الكبت، لم تستطع كاثرين تذكر أيّة صدمة معينة في طفولتها، يمكنها أن تفسر هذا الكمّ من المخاوف في حياتها.

ومع محاولتها لعصر ذاكرتها لتستحضر المعلومات، فإن ذاكرة معزولة ومتفرقة تجلّت، حين كانت في الخامسة من عمرها، أصيبت بالهلع حين قام أحدهم بدفعها من على لوح الغوص في حوض السباحة، ولكنّها قالت إنّها حتى قبل هذه الحادثة لم تشعر أبدًا بالارتياح في الماء، حين كان عمر كاثرين أحد عشر عامًا، أصيبت أمّها باكتئاب شديدٍ تجلّى بانسحاب غريب من العائلة، واستلزم قيامها بزيارات لطبيب نفسي خضعت الأمّ خلاله لعلاج بالصعقات الكهربائية.

هذا النوع من العلاج جعل من الصعب على والدتها تذكّر الأشياء، وهذه التجربة مع أمّها أفزعت كاثرين، ولكن مع تحسّن والدتها والعودة إلى طبيعتها، ذكرت كاثرين بأنّ مخاوفها قد تبددت، وكان لوالدها أيضًا تاريخ طويل مع إدمان الكحول، وفي بعض الأحيان، كان على كاثرين وأخيها أن يعيدا أباهما من الخمارة المحلية، كما أنّ استهلاك الأب المتزايد للكحول أدى إلى شجارات مستمرة مع الأم، فأصبحت مزاجية ومنسحبة، ولكنّ كاثرين تعاملت مع الأمر وكأنّه سلوك مقبول أسريًا.

الأمور كانت أفضل خارج المنزل، قامت كاثرين بالمواعدة في المدرسة الثانوية، وانسجمت بسهولة مع أصدقائها الذين عرفتهم منذ سنين.

ولكن مع ذلك واجهت صعوبة في الثقة بالناس، خاصة من كان منهم خارج الدائرة الصغيرة من أصحابها.

كان تدينها بسيطًا وغير قابل للشك، فقد نشأت وهي تؤمن بالأيديولوجيا والممارسات الكاثوليكية التقليدية، ولم تشكَّ يومًا في صحة ومصداقية إيمانها. كانت تؤمن بأنك إذا كنت كاثوليكيًا صالحًا وعشت كما يجب مراعيًا الإيمان وطقوسه، فإنك سوف تُكافأ بالجنة، وإمّا فلا، فإنّك ستُطهَّر أو ستذهب للجحيم. لأنّ الإله البطريركي وابنه قد اتخذا هذه القرارات النهائية. وعلمتُ فيما بعد أنّ كاثرين لا تؤمن بإعادة التجسّد، في الواقع لقد كانت تعرف القليل عن هذا المفهوم، بالرغم من أنّها قرأت إلى حدّ ما عن الهندوسية.

كانت فكرة إعادة التجسّد مناقضة لتفكير كاثرين ومعتقداتها ولما تربَّت عليه، فهي لم تقرأ أيّة أدبيات ميتافيزيقية أو غامضة، وبما أنّها لم تهتمّ بهذه الأمور، فقد كانت مطمئنة لاعتقاداتها.

بعد المرحلة الثانوية، أكملت كاثرين برنامجًا تقنيًا لمدة سنتين، وطوّرت نفسها في هذا المجال كاختصاصية تقنية في المختبرات؛ متسلحة بمجال عملها، وإلهام انتقال أخيها لتامبا، حصلت كاثرين على وظيفة في ميامي في مشفى جامعي ضخم مرتبط بكلية الطبّ بجامعة ميامي، وانتقلت لميامي في ربيع 1974 وعمرها إحدى وعشرون سنة.

كانت حياة كاثرين في قرية صغيرة أسهل من حياتها في ميامي، علاوةً على إحساسها بالسرور، نتيجة ابتعادها عن مشاكل عائلتها.

أثناء عامها الأول في ميامي، التقت كاثرين بستيوارت، وهو رجل يهودي متزوج ولديه طفلان، كان مختلفًا تمامًا عن أي رجل قامت بمواعدته سابقًا، فهو طبيب نفساني ناجح، قوي ومندفع، وثمّة كيمياء عجيبة قد جمعت بينهما، ولكنّ علاقتهما كانت صاخبة وعاصفة، شيء ما في شخصيته قد جذبها إليه وأيقظها، كما لو أنّها مفتونة به! حين بدأت كاثرين العلاج، كانت علاقتها بستيوارت في عامها السادس وفي القمة وبأحسن أحوالها. لم تكن كاثرين تستطيع مقاومة ستيوارت على الرغم من كونه يعاملها بسوء، كانت غاضبة من أكاذيبه وإخلاف وعوده، وتلاعبه.

قبل بضعة شهور من موعدها معي، كان على كاثرين أن تقوم بجراحة في الحبل الصوتي لإزالة ورم حميد.

كانت متوترة قبل الجراحة، ولكنّها استفاقت مرعوبة في غرفة الإنعاش، وتطلّب الأمر ساعات لتهدئتها من قبل الممرضات.

بعد تعافي كاثرين في المشفى، قابلت إد طبيب الأطفال اللطيف، وشعر كلاهما بعلاقة فورية وطورا صداقة مقربة، تحدثت كاثرين بأريحية مع إد وأخبرته بمخاوفها، وبعلاقتها مع ستيوارت، وبأنّها تفقد السيطرة على حياتها، فأصرّ عليها لتقوم بحجز موعد معي، ومعي فقط وليس مع أيّ طبيب نفساني آخر. حين تواصل معي إد ليخبرني عن كاثرين، أوضح لي أنّه لسبب ما يظن بأنني فقط من أستطيع فهم كاثرين! بالرغم من أنّ بقية الأطباء النفسانيين لديهم مؤهلات ممتازة، وكانوا معالجين ماهرين، ومع ذلك لم تكلمني كاثرين.

مضت ثمانية أسابيع. وفي زحمة الروتين كرئيس للقسم النفسي، نسيت مكالمة إد، أمّا كاثرين فقد ازدادت مخاوفها وخشيتها سوءًا. د. فرانك آكير، رئيس قسم الجراحة، كان يعرف

كاثرين لسنوات، وغالبًا ما يمازحها عندما يزور المختبر الذي تعمل فيه، وقد لاحظ مؤخرًا حزنها ولامس توترها، في العديد من المرات أراد أن يقول لها شيئًا ولكنّه كان يتردد. وذات مساء، كان فرانك يقود سيارته متجهًا نحو مستشفىً ناءٍ ليلقي محاضرة، في الطريق رأى كاثرين تقود سيارتها باتجاه منزلها الذي كان قريبًا من هذا المستشفى، وباندفاع لوّح لها للوقوف بجانب الطريق: «أريدك أن تري الدكتور ويس الآن»، صرخ عبر النافذة، «من دون تأجيل». وعلى الرغم من أنّ الجراحين يتصرفون باندفاع، حتى فرانك كان متفاجئًا من درجة تعاطفه!

كانت نوبات القلق والهلع لدى كاثرين تتزايد في المدة والتكرار. بدأت ترى كابوسين متكررين.

أولهما ترى فيه جسرًا ينهار بينما تعبره بسيارتها التي تهوي وتغوص في الماء بينما هي عالقة داخلها وتغرق، في الحلم الثاني، كانت عالقة في غرفة مظلمة كالحة السواد، تتعثر بالأشياء، غير قادرة على إيجاد طريقة للخروج.

لكنّها أخيرًا قد جاءت لرؤيتي. في أثناء جلستي الأولى مع كاثرين، لم أتوقع أن تنقلب حياتي رأسًا على عقب، وبأنّ المرأة الخائفة والمضطربة مقابل مكتبي ستكون الشرارة التي ستغيرني، حتى أنّني لن أعود الشخص الذي كنته سابقًا.

الفصل الثاني

النور والسلام يملأ كاثرين ويحيط بها

مضى ثمانية عشر شهرًا من العلاج النفسي المكثف، حضرت كاثرين خلالها لرؤيتي مرة أو مرتين في الأسبوع، كانت مريضة ممتازة في التواصل، قادرة على التفكير ومتشوقة للتحسّن.

أثناء ذلك الوقت، استطلعنا مشاعرها وأفكارها وأحلامها، وفهمها للسلوك المتكرر قدم لها منظورًا أوسع وفهمًا أكبر. استطاعت تذكر العديد من التفاصيل الهامة من ماضيها، مثل غياب أبيها التاجر والبحّار عن المنزل، وفي بعض الأحيان عنفه المتكرر بعد احتساء الكثير من المشروب.

أصبحت تفهم الكثير عن علاقتها المضطربة مع ستيوارت، وتعبِّر عن غضبها بشكل أكثر ملائمة، اعتقدتُ بأنّها يجب أن تكون قد تحسنت أكثر من ذلك الآن، المرضى غالبًا ما يتحسنون حين يتذكرون تأثيرات غير سارّة من ماضيهم، عندما يتعلمون الاعتراف وتصحيح أنماط السلوك غير التكيفي، وحين يطورون منظورًا أوسع عن مشاكلهم وأكثر تحررًا، ولكن كاثرين لم تتحسن.

نوبات الهلع والقلق لا زالت تعذبها، الكوابيس المتكررة استمرت، لا تزال تخشى الظلام والماء، وتخشى أن تجد نفسها عالقة. نومها ظلّ متقطعًا وغير كافٍ، كانت تعاني من خفقان في القلب، استمرت في رفض أيّة أدوية والخوف من الاختناق بالحبوب.

أحسست بأنني وصلت إلى حائط، فلا يهمّ ما أقوم به، وأنّ هذا الحائط سيبقى عاليًا وعصيًا على كلّ من تسلقه، ولكن ومع شعوري بالسخط، جاءني شعور موازٍ بالعزيمة، بطريقة ما كنت سأساعد كاثرين.

حينها حدث شيء غريب، فعلى الرغم من أنّها كانت تخاف من الطيران دائمًا، وكان عليها أن تحصّن نفسها بشرب عدد من المشروبات أثناء سفرها بالطائرة، لكنّها عند مرافقة ستيوارت إلى

مؤتمر طبي في شيكاغو في ربيع 1982، وأثناء بقائها هناك، ضغطت عليه لزيارة المعرض المصري للفن، حيث انضما لفوج سياحي.

كان لدى كاثرين اهتمام مستمر بالحضارة المصرية وآثارها واستنساخ آثار تلك الحقبة، لم تكن باحثة ولم تدرس هذه الحقبة من التاريخ، إلّا أنّه وبشكل ما بدت القطع مألوفة لها!

حين بدأ الدليل بشرح عن بعض الآثار في المعرض وجدت نفسها تصحح له (...) وكانت على حق! تفاجأ الدليل، وكذلك كاثرين نفسها!

كيف علمت عن هذه الأمور؟ لماذا شعرت بشدة بأنّها على حقّ، بدت متأكدة لدرجة أنّها صححت للدليل أمام الناس! ربما هي ذكريات تمّ نسيانها من طفولتها.

في موعدها التالي، أخبرتني بما حدث، قبلها بشهور اقترحت على كاثرين التنويم بالإيحاء، ولكنها كانت خائفة وتقاوم، ولكنّها وبسبب تجربتها في المعرض المصري، وافقت الآن بتردد.

إنّ التنويم بالإيحاء هو وسيلة مميزة في مساعدة المريض على تذكر أحداث تمّ نسيانها منذ زمن طويل، ولا شيء غامض حيالها؛ إنّها فقط حالة من التركيز تحت توجيهات منوم مُدَّرب، يسترخي جسم المريض، مما يؤدي إلى وضوح الذكريات، قمت بتنويم المئات من المرضى، ووجدت أنّ ذلك مفيد في تقليل القلق وإزالة المخاوف، وفي تغيير عادات سيئة، والمساعدة في استعادة أمور كانت مكبوتة.

في بعض الحالات نجحت في العودة بالمريض إلى طفولته المبكرة حتى لعمر سنتين أو ثلاث، وبالتالي استدعاء ذكريات الصدمات التي تمّ نسيانها منذ زمن، لكنّها ظلّت تؤرق حياة المريض. شعرت بالثقة من أنّ التنويم بالإيحاء سيساعد كاثرين.

أمرت كاثرين بالاستلقاء على الأريكة، ومع إغلاق عينيها قليلاً ورأسها مستند إلى وسادة صغيرة، في البداية ركزنا على تنفسها، فمع كلّ زفير، تطلق التوتر والقلق المخزّن؛ ومع كلّ شهيق تسترخي أكثر، وبعد عدة دقائق من هذه العملية، أخبرتها بأن تتخيل أنّ عضلاتها ستسترخي بشكل تدريجيّ، ابتداءً من عضلات الوجه والفكّ وصولاً إلى الرقبة والكتفين ثم الذراعين ثم عضلات الظهر والبطن، وأخيرًا الرجلين.

أحست كاثرين بأنّ جسمها يغوص عميقًا في الأريكة بشكلٍ كامل، ثم وجهتها إلى أن تتخيل نورًا ساطعًا أبيض في قمة رأسها، وداخل جسمها، لاحقًا وبينما كنت أوجّه انتشار النور الأبيض نحو أسفل جسمها، مما أدى لاسترخاء كلّ عضلة، وعصب وخلية – في كامل جسدها - لتحضيرها لحالة أعمق من الاسترخاء والسلام، شعرت بالنعاس أكثر فأكثر، بالمزيد من السلام والسكون حتى منتهى أعماقها، في النهاية وبمتابعة تعليماتي، ملأ النور جميع جسمها وأحاط بها تمامًا.

ثم بدأت بالعدّ العكسي ببطء من عشرة إلى واحد. مع كلّ عدة كانت تدخل مستوى أعمق من الاسترخاء. حالة التنويم تعمقت. أصبحت قادرة على التركيز على صوتي وتجاهل أيّ أصوات في الخلفية، في العدة واحد، كانت في حالة متوسطة من التنويم العميق، استغرقت العملية كلّها حوالي عشرين دقيقة.

بعد برهة بدأت أعيدها، وأطلب منها أن تتذكر ذكريات من بداية عمرها، كانت قادرة على الحديث والإجابة عن أسئلتي مع المحافظة على مستوى عميق من التنويم، تذكرت صدمة عند طبيب الأسنان حدثت حين كان عمرها ست سنوات، كما تذكرت تجربة مفزعة حين كان عمرها خمس سنوات حين تمّ دفعها من لوح للغوص إلى المسبح، لقد غاصت حينها واختنقت وابتلعت بعض الماء، وقد شعرت بذات الغصة وهي تروي لي الحادثة في مكتبي، فأخبرتها أنّ التجربة انتهت، وأنّها خارج المياه الآن فتوقف الاختناق، وتابعت تنفسها بشكل طبيعي، وهي لا تزال في حالة تنويم عميق.

الأمر الأسوأ كان قد حدث لها وهي في عمر الثلاث سنوات، تذكرت الاستيقاظ في غرفة نومها المظلمة وهي واعية بأبيها في الغرفة، كان ثملاً من الكحول حينها وهي تشمّ الرائحة الآن، لمسها وتحرش بها، كانت فزعة وبدأت بالبكاء، فغطى فمها بيده الخشنة، فلم تستطع التنفس.

في مكتبي على الأريكة، بعد خمس وعشرين سنة لاحقة، بدأت كاثرين بالبكاء، شعرتُ بأنّنا نمتلك المعلومات الآن، مفتاح القفل، كنت متأكدًا من أنّ الأعراض التي تواجهها ستتحسن بسرعة وبشكل متسارع، فأخبرتها بلطف أنّ التجربة قد انتهت، وأنّها لم تعد في غرفة نومها، ولكنّها تجلس هادئة في حالة تنويم، فتوقفت عن البكاء.

أخذتها قُدمًا حتى الوقت الحالي من عمرها، أيقظتها بعد عدة توجيهات، ومن خلال اقتراح بعد التنويم لتتذكر كلّ ما أخبرتني. أمضينا بقية الجلسة نتناقش حول ذاكرتها المفاجئة والصدمة مع أبيها، حاولت أن أساعدها في تقبل ودمج معرفتها الجديدة، لقد استوعبت الآن طبيعة علاقتها بأبيها، وأسباب ردود فعله تجاهها، عزلته وخوفها منه، كانت لا تزال ترتجف حين تركت العيادة، ولكنني أعلم أنّ الفهم الذي اكتسبته كان يستحق العناء.

في لحظات الدراما التي صاحبت كشف ذكرياتها المكبوتة والعميقة المؤلمة، نسيت أن أنظر في علاقتها المحتملة أثناء الطفولة مع الآثار المصرية. ولكنّي قد عرفت المزيد عن ماضيها على الأقل، فقد تذكرت بضعة أحداث مرعبة، لذلك توقعت تحسنًا هامًا في الأعراض التي تواجهها.

بغض النظر عن فهمها الجديد، فقد فاجأتني في الأسبوع التالي بأنّ الأعراض ظلت على ما هي عليه، وبنفس درجة الشدة. فلم أستطع فهم مكمن المشكلة، وتساءلت عمّا إذا كان قد حدث شيء لها قبل عمر الثلاث سنوات، لقد اكتشفنا دلائل أكثر من كافية تفسر خوفها من الاختناق بالماء، أو من الظلام أو من أن تشعر بنفسها عالقة، ومع ذلك فإنّ مخاوفها الشديدة والأعراض التي تواجهها، والقلق الخارج عن المألوف، لا يزال يزعج حياتها الواعية، ظلّت الكوابيس مرعبة كما كانت في السابق، فقررت أن أعود بها للوراء أكثر من ذلك.

بينما هي منومة، تحدثت كاثرين بطريقة بطيئة وهمس متعمد؛ لهذا السبب كان بإمكاني كتابة كلماتها حرفيًا والاقتباس منها مباشرة.

- الـ (...) تمثل السكتات في كلامها وليس حذفه أو تغييره من قبلي. ولكنّني تجنبت إضافة بعض المواد المكررة -

شيئًا فشيئًا عُدت بكاثرين إلى عمر السنتين، ولكنّها لم تتذكر شيئًا مهمًا، وجهتها بشكل محدد وواضح: «عودي إلى الوقت الذي نشأت فيه تلك الأعراض». لم أكن جاهزًا على الإطلاق لما تلا ذلك:

- «أنا أرى درجات بيض تؤدي إلى مبنى، مبنىً أبيض كبير فيه أعمدة ومفتوح من الأمام، ليس له أبواب، أنا ألبس فستانًا طويلاً (...) مصنوعًا من مواد خشنة، شعري مضفر أشقر وطويل».

كنت مشوشًا! لم أكن متأكدًا، ما الذي يحدث؟ فسألتها أيّ عام كان، وما اسمها؟

- «أروندا (...) عمري ثمانية عشر عامًا، أرى سوقًا أمام المبنى، هناك سلال (...) تقوم بحمل السلة على أكتافك، نحن نسكن في وادي (...) ليس هنالك ماء، العام هو 1963 قبل الميلاد. المكان قاحل وحار ورملي (...) هناك نبع من دون أنهار، تصل المياه للوادي من الجبال».

بعد أن وصفت المزيد من التفاصيل الطبوغرافية، أخبرتها أن تمضي قدمًا لعدد من السنوات في الزمن، وأن تخبرني ماذا ترى.

- «هنالك أشجار وطريق صخري، أرى نارًا وطبخ، شعري أشقر وأرتدي ثوبًا بنيًا خشنًا وصندل، عمري خمس وعشرون سنة، لدي طفلة اسمها كليسترا (...) إنّها راتشيل - ابنة أخي الحالية؛ كان لديهم دومًا علاقة صداقة وثيقة - الجو حار جدًا».

لقد دهشت! أحسست بتشنج في بطني، وبدت الغرفة باردة، مُشاهداتها واستعادتها لهذه الذاكرة كانت واضحة. لم تكن مترددة على الإطلاق، الأسماء والتواريخ والملابس والأشجار، كلّها بدت حية! ما الذي يجري ها هنا؟ كيف يمكن للطفلة التي أنجبتها حينها؛ أن تكون الآن ابنة أخيها؟ أصبحت أكثر حيرة! لقد اختبرت آلافًا من المرضى النفسيين، والعديد منهم كان تحت التنويم بالإيحاء، ولكنني لم أشاهد مثل هذه الخيال الصريح - أو الذكريات - ولكنني كنت بصدد البحث عن صدمات ربما تكمن وراء المخاوف والأعراض الحالية، الأحداث التي تتزامن مع وقت الموت يمكن أن تشكل صدمة، ويبدو أن فيضاناتٍ أو موجة مدّ كانت تدمر القرية.

- «هناك أمواج عاتية تقتلع الأشجار، لا يوجد هناك مكان للهرب إليه. إنّه بارد؛ الماء بارد؛ يجب عليَّ أن أنقذ طفلتي؛ ولكنني لا أستطيع (...) فقط عليَّ أن أمسك بها بقوة، أنا أغرق؛ الماء يخنقني؛ لا أستطيع التنفس؛ لا أستطيع أن أبتلع (...) الماء مالح. طفلتي أفلتت من يدي».

كانت كاثرين تختنق وتواجه مشكلة في التنفس، فجأة استرخى جسمها بشكل كامل، وعاد تنفسها بشكل عميق ومتوازن.

- «أرى غيومًا (...) طفلتي معي، وآخرون من قريتي، أرى أخي».

كانت ترتاح، هذه الحياة انتهت! كانت لا تزال في تنويم عميق بينما كنت مصدومًا! حيوات سابقة؟ إعادة تقمص؟ إنّ عقلي المنطقي يخبرني أنّها لم تكن تتخيل هذه الأمور، إنّها لم تكن تخترع هذه الأحداث، أفكارها وتعبيراتها والانتباه للتفاصيل المحددة، كلّها كانت مختلفة عن حالة الوعي، مرّ في ذهني سلسلة من التشخيصات النفسية المحتملة، ولكنّ حالتها النفسية وشخصيتها لم تفسر هذه الأمور، الانفصام؟ لا لم يكن هناك دليل حول اضطراب عقلي، لم تختبر إطلاقًا هلوسات سمعية من خلال سماع أصوات، أو هلوسات بصرية أو مرئيات في اليقظة، أو أيّ شكل من الأمور الذهانية، لم تكن تتوهم، ولا كانت فاقدة للاتصال بالواقع. لم يكن لديها تعدد أو انفصام بالشخصيات، كان هناك كاثرين واحدة وعقلها الواعي كان مدركًا لذلك. لم يكن لديها توجهات معادية للمجتمع أو غير اجتماعية، لم تكن ممثلة، لم تتعاطَ المخدرات ولا مواد الهلوسة، كان تعاطيها للكحول قليلاً، ليست مصابة بمرض عصبي أو سيكولوجي يمكن أن يفسر هذه التجربة الفورية والتفاعلية أثناء التنويم!

كانت نوعًا من الذكريات، ولكن من أين؟

كان ردَّ فعل حدسي أنني وقعت على شيء لا أعرف إلّا القليل عنه - إعادة التجسّد والحيوات السابقة – لا يمكن أن يعقل هذا، أخبرت نفسي: إنّ عقلي المدرب علميًا يرفض الاقتناع؛ ومع ذلك ها هو ذا يحدث أمام عيني، ما لا أملك له تفسيرًا، ولكنّني لا أستطع إنكار الحقيقة في نفس الوقت.

- «واصلي»، قلت لها وأنا متوتر قليلاً، ومنبهر مما يحدث، «هل تتذكرين شيئًا آخر؟». تذكرت أجزاءً من حياتين سابقتين.

- «كنت ألبس فستانًا أسود وربطة سوداء على رأسي، لدي شعر أسود يتخلله الشيب، إنّه العام 1756 بعد الميلاد، أنا إسبانية. اسمي لويسا، عمري ستة وخمسون عامًا، أنا أرقص مع الآخرين. (وقفة طويلة) لدي حرارة وعرق بارد (...) الكثير من الأشخاص مرضى؛ الناس يموتون (...) الأطباء لم يعلموا أنّ السبب هو الماء». أخذتها قدمًا في الزمن. «لقد تعافيت ولكن رأسي لا يزال يؤلمني، عيناي ورأسي لا يزالان يؤلمانني من الحرارة وبسبب الماء».

لاحقًا أخبرتني أنّها كانت عاهرة في تلك الحياة، ولكّنها لم تفصح عن هذه المعلومة لأنّها كانت محرجة منها، في النهاية أثناء تنويمها كان بإمكان كاثرين أن تحجب عني بعض الذكريات

التي نقلتها لي.

منذ أن تعرفت كاثرين على ابنة أخيها في حياة سابقة، ألححت عليها بالسؤال عمّا إذا كنتُ حاضرًا في أحد حيواتها السابقة. كنت فضوليًا حول دوري، إذا كان لي دور في ذكرياتها، فردّت بسرعة وبشكل معاكس لطريقتها السابقة والهادئة، وتذكرت قائلة: «أنت معلمي، كنت جالسًا على حافة وتدرسنا من كتب، أنت عجوز وشعرك رمادي، أنت تلبس لباسًا أبيض (توغا) مع زخرفة ذهبية (...) اسمك دايوغينيس؛ تدرسنا رموزًا ومثلثات، أنت حكيم للغاية ولكنني لا أفهم، إنّه العام 1568 قبل الميلاد». (كان ذلك حوالي ألفًا ومئتي عام قبل الفيلسوف اليوناني الساخر دايوغينيس. الاسم ليس غريبًا).

انتهت الجلسة الأولى. وكان القادم مذهلاً أكثر.

بعد أن ذهبت كاثرين، وبعد بضعة أيام تالية، فكرت في طبيعة تفاصيل جلسة التنويم. كان من الطبيعي بالنسبة لي أن ينشغل تفكيري، فالقليل من تفاصيلٍ تجلت في ساعة علاج «عادية» تجاوزت عقلي المهووس بالتحليل وانتهت إلى جلسةٍ غير «عادية» على الإطلاق، إضافة لذلك كنت متشككًا بالحياة بعد الموت، وإعادة التجسّد، وتجارب الخروج من الجسد، والمفاهيم المشابهة، بعد كلّ شيء فإنّ الجانب المنطقي مني يكرر، إن هذا كلّه ربما يكون من صنع خيالها، فأنا لم أكن في الواقع قادرًا على إثبات أيّ من توكيداتها أو مرئياتها، ولكنني كنت أؤكد بشكلٍ خفي، بتفكير أقلّ عاطفية أن: ابقِ ذهنك متفتحًا، الفكرة تقول: «العلم الحقيقي يبدأ بالمراقبة»، «ذكرياتها» قد لا تكون خيالات أو تهيؤات، قد يكون وراءها ما هو أبعد من ذلك، حافظ على ذهنٍ متفتح. اجمع المزيد من البيانات.

كانت هناك فكرة أُخرى تزعجني؛ فهل تقبل كاثرين التعرض لبواعث القلق والمخاوف ثانية، فتوافق على الخضوع لتجربة التنويم الإيحائي مرة أُخرى؟ قررت ألّا أكلمها، لأتركها تستوعب التجربة كذلك، وسأنتظر حتى الأسبوع القادم.

بعد مضي أسبوع، حضرت كاثرين إلى مكتبي لجلسة التنويم التالية، كانت أكثر حيوية من أيّ وقت مضى، لقد أبلغتني بكلّ سرور أنّ خوفها الملازم لحياتها من الغرق قد تلاشى، وخوفها من

الاختناق تضاءل إلى حدّ ما، ولم تعد كوابيس الجسر الذي سينهدّ تزعجها في النوم، بالرغم من أنّها تذكرت تفاصيل حياتها السابقة، ولكنّها لم تستوعب تمامًا ماذا تذكرت.

الفصل الثالث

إعادة التجسّد

مفاهيم الحيوات السابقة وإعادة التجسّد[1] كانت غريبة على عالمها، ومع ذلك فإنّ ذكرياتها كانت حية، المناظر والأصوات والروائح كانت واضحة، إدراكها بأنّها كانت هناك كان قويًا وفوريًا، لدرجة أنّها شعرت بحتميّة وجودها هناك، لم يكن لديها شكٌّ في ذلك، كانت التجربة غامرة للغاية، ولكنّها كانت مهتمة بكيفية ملائمة ذلك مع معتقداتها وما تربَّت عليه.

خلال الأسبوع، راجعت كُرَّاستي من مادة لمقارنة الأديان، أخذتها أثناء عامي الأول في جامعة كولومبيا. كان هناك إشارة إلى إعادة التجسّد في العهد القديم والعهد الجديد، في عام 325 بعد الميلاد قام الإمبراطور الروماني العظيم قسطنطين، بالتعاون مع أمه هيلينا، بحذف إشارات إعادة التجسّد التي تضمّنها العهد الجديد، في المجلس الثاني للقاء القسطنطينية في عام 553 بعد الميلاد تمّ إقرار هذا الفعل والإعلان عن اعتبار مفهوم إعادة التجسّد هرطقة وخرافة.

في النهاية، لقد ظنّوا أنّ هذا المفهوم سيضعف قوة الكنيسة، من خلال إعطاء البشر الكثير من الوقت للوصول إلى الخلاص. ومع ذلك فإنّ الإشارة الأصلية كانت لا تزال هناك؛ آباء الكنيسة كانوا قد قبلوا بمفهوم إعادة التجسّد.

الغنوصيين الأوائل ـ المعتدلين في الإسكندرية، وأوريغين، والقديس جيروم، والعديد غيرهم ـ اعتقدوا أنّهم عاشوا من قبل وسيفعلون من جديد.

أمّا بالنسبة لي، فأنا لم أؤمن يومًا بإعادة التجسّد، وفي الحقيقة لم أقضِ وقتًا في التفكير بهذا الأمر. على الرغم من أنّ تعليمي الديني المبكر، قد أشار إلى نوع غامض من وجود «الروح» بعد الموت، ولم أكن مقتنعًا بهذه النظرية.

كنت الأكبر بين أربعة أطفال، وكان الفارق بين أحدنا والآخر ثلاث سنوات؛ كنا ننتمي لمعبد يهودي محافظ في ريد بانك في قرية صغيرة قرب شاطئ نيوجيرسي، كنت صانع السلام ورجل السياسة في العائلة؛ والدي كان ملتزمًا بالدين أكثر منا، لقد تعامل مع الأمر بجدية شديدة في حياته كلّها، وإنجازات أولاده الأكاديمية هي أكثر ما يسعده في الحياة، كان يحزن بسهولة بسبب مشكلة منزلية وينسحب، ويتركني أتوسط بين الطرفين، على الرغم من أنّ ذلك بدا تدريبًا ممتازًا لي في مهنتي في الطبّ النفسي، فإنّ طفولتي ظلّت الأصعب وفيها من المسؤولية أكثر مما كنت أفضل.

خرجت من العائلة كرجل جاد للغاية، وشخص يتحمل الكثير من المسؤولية.

كانت أمي دائمًا ما تعبر عن حبّها، متجاوزةً أيّ عائق يقف أمامها. هي أكثر بساطة من أبي، استخدمت الإحساس بالذنب، والحرج المستمر وتحديد هوية المذنب بشكل غير مباشر مع أولادها كأدوات للسيطرة، كلّ ذلك كان يحدث من دون تردد أو تفكير متجدد بالأمر، ومع ذلك كانت نادرًا ما تكتئب، وكنا دائمي الاعتماد على حبّها ودعمها. كان لدى والدي وظيفة ممتازة كمصور صناعي، وعلى الرغم من أنّه كان لدينا وفرة في الطعام، فإنّ المال كان شحيحًا. وحين وُلد أخي الأصغر بيتر كنت في التاسعة من عمري، وجب علينا أن نتوزع كستة أشخاص على غرفتيّ نوم صغيرتين في شقة الحديقة.

الحياة في هذه الشقة الصغيرة كانت عصيبة ومزعجة، فبحثت عن مهرب من خلال كتبي؛ كنت أقرأ من دون توقف حين لا ألعب البيسبول أو كرة السلة، وهما هوايتاي المفضلتان إلى جانب القراءة في الطفولة، علمت أنّ التعليم هو طريقي للخروج من هذه القرية الصغيرة، فصرت حريصًا على نيل المركز الأول أو الثاني على فصلي، ومع الوقت حصلت على منحة كاملة للدراسة بجامعة كولومبيا، كنت شابًا جادًا وملتزمًا، لذلك بات النجاح الأكاديمي حصادي السهل، تخصصت بالكيمياء وتخرجت مع مرتبة الشرف، قررت أن أصبح طبيبًا نفسيًا لأنّ هذا المجال يجمع بين اهتمامي بالعلوم وانبهاري بالعمل مع العقل البشري، وبالتالي فإن وظيفة الطبّ تؤهلني للتعبير عن اهتمامي وتعاطفي مع الأشخاص الآخرين. وفي هذا الوقت، قابلت كارول أثناء إجازة صيفية في فندق كاتسكيل ماونتن، حيث كنت أعمل كنادل وكانت هي ضيفة، أحسّ كلّ منا بانجذاب فوريّ تجاه الآخر وشعور قويّ بالألفة والارتياح؛ فتقابلنا وتواعدنا ثمّ وقعنا بالحب وخطبنا مع العام الثالث من الدراسة في جامعة كولومبيا، كانت جذّابة وجميلة، كلّ شيء بدا في مكانه، كان هناك بعض

الأشخاص القلقين من الحياة والموت والحياة بعد الموت، خاصة حين تسير الأمور بسلاسة وبشكل جيد، ولم أكن استثناءً عنهم، كنت قد أصبحت عالمًا، أعرف كيف أفكر بشكل منطقي، وغير عاطفي بطريقة «أثبتها».

إنّ كلية الطب والإقامة في جامعة ييل وضحت هذه الطريقة العلمية أكثر، كان بحثي حول كيمياء الدماغ ودور الموصلات العصبية، والتي هي عبارة عن رسل كيميائية في أنسجة الدماغ. انضممت إلى مجموعة جديدة من أطباء النفس البيولوجي، هؤلاء الذين يدمجون نظريات وتقنيات علم النفس التقليدية، مع علم كيمياء الدماغ الجديد، كتبت العديد من الأبحاث، وحاضرت في مؤتمرات محلية ووطنية، وأصبحت نابغةً في مجالي. كنت إلى حدّ ما مهووسًا مكثفًا وغير مرنٍ، ولكن هذه سمات تعدُّ مفيدة في الطبيب. شعرت أنّي على استعداد تامّ لمعالجة أيّ شخص دخل إلى مكتبي للعلاج.

بعد ذلك أصبحت كاثرين أروندا، الفتاة الشابة التي عاشت في عام 1863 قبل الميلاد. أو ربما يكون الأمر عكس ذلك؟ فهي الآن أسعد مما رأيتها من قبل، كنت قلقًا مجددًا من أنّ كاثرين قد تخاف من الاستمرار. ولكنّها استعدت بحماس للتنويم واستغرقت فيه بسرعة:

- «أنا أرمي أكاليلاً من الورود على الماء، أنا في احتفال، شعري أشقر ومضفور، ألبس فستانًا بنيًا وذهبيًا، وأنتعل صندلاً. شخص ما توفي، شخص من العائلة الملكية (...) إنّها الأم، أنا خادمة في البيت الملكي، وأساعد في تحضير الطعام أيضًا، نضع الجثث في محلول ملحي لمدة ثلاثين يومًا. لتجفّ، ثمّ تُنزع منها بعض الأجزاء، أستطيع أن أشمها، وأشم رائحة الجثث».

لقد عادت بشكل فوري إلى حياة أروندا، ولكن لجزء مختلف، لوقت كانت فيه مهمتها تحضير الجثث بعد موتها.

واصلت كاثرين: «في مبنى منفصل؛ أستطيع أن أرى الجثث، نحن نلفّها لتمرّ الروح. حيث تأخذ متعلقاتك للتجهّز للحياة التالية الأعظم». إنّها تشرح ما بدا وكأنّه مفهوم المصريين للموت والحياة بعد الموت، بشكل مختلف عن أيّ من اعتقاداتنا، «تستطيع أن تأخذها معك».

تركت كاثرين حياتها واستراحت. توقفت لبضعة دقائق قبل أن تدخل فيما يبدو أنه زمن قديم.

- «أرى الثلج داخل الكهف (...) صخور...». وصفت بشكل غامض مكانًا مزريًا ومظلمًا، ومن الواضح بأنّها غير مرتاحة. ثم وصفت لاحقًا نفسها:

- «أنا بشعة ومتسخة وتفوح مني روائح سيئة». ثم انتقلت إلى زمن آخر.

- «هناك بعض المباني وعربة ذات عجلات حجرية، شعري بني مع قماش عليه، العربة كانت محملةً بالقشّ، أنا سعيدة برفقة أبي هنا (...) إنّه يحتضنني. إنّه (...) إنّه إدوارد (طبيب الأطفال الذي أصرّ عليها لتراني). إنّه أبي. نحن نعيش في وادٍ مع الأشجار. أشجار زيتون وتين في محيط المنزل. الناس يكتبون على الأوراق، هنالك علامات مضحكة عليها، مثل الحروف، الناس يكتبون طوال اليوم، لصنع مكتبة، إنّه العام 1536 قبل الميلاد، الأرض قاحلة واسم والدي بيرسيوس».

العام لم يتطابق بشكل دقيق. ولكنني متأكد أنّها كانت في نفس فترة من الحياة التي حدثتني عنها أثناء جلسة الأسبوع المنصرم. أخذتها قدمًا في الزمن، وهي لا تزال في تلك الفترة من الحياة.

- «أبي يعرفك»، (تقصد يعرفني)، «أنتما تتحدثان عن المحاصيل والقانون والحكومة، هو يقول بأنّك ذكي جدًا ويجب أن أستمع إليك».

أخذتها قدمًا أكثر في الزمن.

- «إنّه (الأب) مستلقٍ في غرفة مظلمة، مسنّ ومريض والجو بارد (...) أشعر بالفراغ الشديد». ثم مضت قدمًا حتى وقت وفاتها.

- «الآن أنا عجوز وضعيفة، ابنتي هنا بجوار سريري، زوجي مات وزوج ابنتي هنا مع الأطفال، هناك العديد من الأشخاص من حولي».

موتها كان مسالمًا هذه المرة. كانت تطفو، تطفو؟ ذكرني هذا بدراسات د. رايموند مودي عن ضحايا تجارب الاقتراب من الموت، زوّاره تذكروا أيضًا، أنّهم كانوا يطفون، ومن ثم يُسحبون عائدين إلى أجسادهم. كنت قد قرأت كتابه منذ بضع سنوات ماضية، والآن نويت أن أعيد قراءته، تساءلت عمّا إذا كانت كاثرين تتذكر شيئًا

أكثر بعد موتها، ولكنّها تقول فقط «إنني فقط أطفو» أيقظتها وأنهيت الجلسة.

وبنهم شديد لأيّة أبحاث علمية سبق نشرها حول إعادة التجسّد، قمت باستعراض المكتبات الطبية، وشرعتُ بدراسة أعمال إيان ستيفينسون طبيب وبروفيسور مقدر في الجانب النفسي في جامعة فيرجينيا، والذي ألّف بغزارة في مجال الطبّ النفسي. د. ستيفينسون جمع أكثر من ألفي نموذج لأطفال لهم ذاكرة وتجارب في إعادة التجسّد، العديد منهم أظهروا القدرة على التحدث بلغة أجنبية مع أنّهم لم يتعاملوا معها من قبل، وتقارير حالاته مكتملة بعناية، تمّ بحثها باستفاضة ملفتة بشكل حقيقي.

قرأت عرضًا علميًا متميزًا بقلم إدغار ميتشيل.

قمت باختبار البيانات من جامعة دوك باهتمام بالغ، بالإضافة لكتابات بروفيسور دوكايس من جامعة براون، لقد قمت عن قصد بتحليل دراسات د. مارتن إيبون، ود. إهيلين وامباتش، ود. جيرترود شمايدلر، ود. فريدريك لينز، ود. إيديث فايور. وكلما قرأت المزيد، ازددت حماسةً للتوغل في القراءة أكثر، لقد أدركت أنّني على الرغم من اعتباري لنفسي مثقفًا جيدًا بكلّ ما يتعلق بالعقل، فإنّ معلوماتي كانت محدودة للغاية. هناك مكتبات مليئة بهذه الأبحاث والأدبيات، والقليل من الناس من يعرفون عنها، الكثير من هذه الدراسات تمّ إجراؤها والتأكد منها ونسخها من قبل أطباء وعلماء مقدرين. هل يمكن أن يكونوا كلهم مخطئين وقد تمّ خداعهم؟ الدلائل تظهر بشكل واضح أنّها مؤيدة، ومع ذلك فإنّ الشكوك مازالت تنتابني، وإن كانت بشكلٍ غير واضح، وما زلت أجدها صعبة التصديق.

كان كلّ منّا، أنا وكاثرين بطريقة خاصة، قد تأثر بشكل كبير بهذه التجربة، كاثرين كانت تتحسن عاطفيًا، وأنا كنت أوسّع من آفاق عقلي. كاثرين كانت قد عانت مع مخاوفها لسنين عديدة وأخيرًا أحسّت ببعض التحرر، سواء كان من خلال ذكريات حقيقية أم مجرد خيالات، المهم أنّني وجدت طريقة لمساعدتها، ولن أتوقف عن ذلك الآن.

خلال أقل من دقيقة فكرت في كلّ ذلك، بينما كاثرين تدخل في حالة التنويم مع بداية الجلسة التالية، قبل مقدمة التنويم، تذكرتْ حلمًا حول لعبة تلعب في درجات الأحجار القديمة، لعبة تلعب

بلوح الشطرنج مع ثقوب فيها، بدا الحلم حقيقيًا بالنسبة لها. أخبرتها الآن أن تعود لما وراء حدود الزمان والمكان، أن تعود لترى إن كان للحلم جذور في حياة سابقة.

- «أرى درجات تقود لبرج (...) يشرف على الجبال وكذلك على البحر، أنا ولد (...) شعري أشقر (...) شعر غريب. ملابسي قصيرة، بنية وبيضاء مصنوعة من جلود الحيوانات، بعض الرجال موجودون أعلى البرج ينظرون (...) إنّهم الحراس (...) متسخون ويلعبون لعبة مثل الداما ولكنّها ليست هي، اللوح دائري وليس مربعًا، يلعبون بخناجر حادة مثل القطع، بحيث تدخل في الثقوب؛ القطع عليها رؤوس حيوانات، حدود كيروستان (لفظ صوتي) من هولندا حوالي عام 1473».

سألتها عن اسم المكان الذي تعيش فيه، وعمّا إذا كانت تستطيع أن ترى أو تسمع عن تاريخ العام.

- «أنا في رصيف بحري الآن، الأرض تنحدر نحو البحر، هناك قلعة (...) وماء؛ أرى كوخًا (...) أمي تطبخ في وعاء فخاري، اسمي جوهان».

تمّ أخذها بالتنويم إلى وقت وفاتها في هذه المرحلة من جلساتنا؛ كنت لازلت أبحث عن صدمة واضحة عاشتها، يمكن أن تكون سببًا، أو أن تفسّر الأعراض التي تظهر في حياتها الحالية، حتى لو كانت هذه الرؤى المحددة عبارة عن خيال، ولست على ثقةٍ من أنّ ما تواجهه من أعراض، ربما يكون بسبب معتقداتها وأفكارها، وعلى كلّ حال، لقد رأيت أناسًا قد أُصيبوا بصدمات بسبب أحلامهم، وظلّ بعضهم لا يتذكر فيما إذا كانت صدمة في الطفولة حدثت له فعليًا، أم حدثت في الحلم، ومع ذلك فإنّ ذكريات الصدمة لا تزال تخيم على حياتهم.

ما لم أكن أقدره بالكامل حتى الآن، هو أنّ السحق المستمر مع تتالي الأيام له تأثيرات خفية مدمرة، مثل انتقادات الوالد الحادة، والتي يمكن أن تؤدي لصدمات نفسية أشدّ من مجرد صدمة عادية، هذه التأثيرات الضارة تختلط مع خلفية حياتنا اليومية، لتغدو أكثر صعوبة في التذكر، أو التخلص منها. إنّ الطفل الذي يتعرض للنقد باستمرار يمكن أن يفقد الثقة والتقدير الذاتي، بنفس المقدار مقارنةً بطفل يتذكر أنّه قد تمّ السخرية منه في يوم محدد ومفزع.

وكذلك فإنّ الطفل الذي له عائلة فقيرة تعاني شحّ الطعام يوميًا، يمكن أن يواجه نفس الأعراض النفسية لطفل اختبر حدثًا رئيسيًا يقترب من التجويع. كنت أدرك عمّا قريب أنّ التأثير اليومي للعوامل السلبية يجب التعامل معها وحلّها بنفس الاهتمام الحاصل للأحداث والصدمات المنفردة المؤثرة.

بدأت كاثرين بالحديث:

- «هناك سفن مثل القوارب، مطلية بلون ساطع، منطقة العناية الإلهية، لدينا أسلحة ورماح وحبال وأقواس وسهام، لكنّها أكبر، هناك مجاذيف كبيرة وغريبة على القارب (...) على الجميع أن يجذّف، ربما نحن تائهون، المكان مظلم وليس هنالك أنوار. أنا خائفة، هنالك قوارب أُخرى معنا (ربما غارة) أنا خائفة من الحيوانات، نمنا على جلود حيوانات متسخة ورائحتها كريهة، نحن كشّافون، حذائي يبدو مضحكًا، مثل الأكياس (...) الربطات في الكاحلين (...) من جلود الحيوانات. (وقفة طويلة) وجهي قد أصبح ساخنًا من النار، قومي يقتلون الآخرين، ولكنني لم أفعل، لا أريد أن أقتل، سكينتي بيدي». فجأة بدأت بالاختناق وأخذت تجاهد لتتنفس؛ أخبرتني أنّ مقاتلاً من الأعداء جذبها من الخلف حول عنقها ثم قطع حنجرتها بسكينه.

لقد رأت وجه قاتلها قبل أن تموت، كان ستيوارت! كان يبدو مختلفًا حينها، ولكنها أدركت أنّه هو، مات جوهان وعمره إحدى وعشرون سنة.

ها هي تطفو فوق جسمها الآن، تراقب المنظر من فوق، انطلقت نحو الغيوم، وهي تشعر بالحيرة والاضطراب. ثم بعد قليل شعرت بأنّها تسحب لمكان «صغير ودافئ»، كانت على وشك الولادة.

- «شخص ما يحملني»، همست ببطء، «شخص ما ساعدني على الولادة، إنّها ترتدي فستانًا أخضرَ مع مريول أبيض. كان لديها قبعة بيضاء مطوية من الزوايا، للغرفة نوافذ مضحكة (...) المبنى من الحجر، أمي لديها شعر داكن طويل، وهي تريد أن تحملني، كانت ترتدي قميص نوم مضحك، من المؤلم ملامسة أيّ جزء من جسدي، من الجيد أن تكون في الشمس وأن تحسّ بالدفء مجددًا (...) إنّها (...) إنّها نفس أمي الحاليّة!».

خلال الجلسة السابقة، طلبت منها أن تراقب عن كثب الأشخاص المهمين في تلك الحيوات، لنرى إن كانت تستطيع التعرف عليهم كأشخاص مهمين في حياتها الحالية وبوصفها كاثرين، فحسب معظم الكتّاب، فإنّ مجموعات من الأرواح تتجلّى لتعيد التجسّد سوية مرة بعد أُخرى للتخلص من الكارما (الديون المستحقة للآخرين وللنفس، ودروس يجب تعلمها) على مدى عدة حيوات.

وفي سبيل تعرفي على هذه الدراما الغريبة والمثيرة التي تتكشف، وهي مجهولة لبقية العالم، في مكتبي الصامت ذو الإضاءة الخافتة، أردت التأكد من معلومة، شعرت بوجوب تطبيق وسيلة علمية كنت قد استخدمتها بصرامة على مدى خمسة عشر عامًا في أبحاثي، لتحليل هذه المواد غير التقليدية والتي تتكشف على شفاه كاثرين.

بين الجلسات أصبحت لدى كاثرين قدرات حدسية أعلى، كان لديها حدس حول الناس والأحداث والتي ثبتت صحتها.

أثناء التنويم بدأت تتوقع أسئلتي قبل أن يتسنى لي الوقت لإلقائها. بات للعديد من أحلامها مسحةٌ تنبؤية، ففي إحدى المرات، وحين أتى أهلها لزيارتها أبدى والدها شكوكًا واضحة حول ما يجري. ولتثبت له أنّ ذلك صحيح، أخذته إلى مضمار السباق وهناك وأمام عينيه، أخذت تختار الفائز في كلّ جولة. كان مذهولاً؛ ثمّ وبعد أن أثبتت وجهة نظرها، قامت بجمع النقود التي ربحتها وأعطتها لأول فقير صادفته في الشارع على طريقها خارج المضمار. أحست بإلهام أنّ عليها ألّا تستخدم قدراتها الروحية التي اكتسبتها في جمع المال. فلهذه القدرات معانٍ أسمى بالنسبة لها. أخبرتني أنّه على الرغم من أنّ هذه التجربة قد أخافتها قليلاً، إلّا أنّها كانت مسرورة بالإنجاز الذي عملته لدرجة أنّها كانت متحمسة لمواصلة الجلسات. كنت مصدومًا ومنبهرًا بقدراتها النفسية، خاصة بما جرى في مضمار السباق.

كان حصولها على البطاقة الفائزة في كلّ سباق دليلاً حسيًّا، وليس وليد مصادفة! أمر غريب للغاية كان يجري على مدى الأسابيع الماضية جعلني أعاني من أجل الحفاظ على وجهة نظري، لم أستطع تجاهل قدراتها النفسية، فإذا كانت هذه القدرات حقيقية، ويمكن أن تظهر دلائل ملموسة؛ فهل يمكن كذلك لتقمصاتها في حيواتها السابقة أن تكون صحيحة؟ لقد عادت الآن إلى الحياة التي كانت قد وُلدت فيها للتوّ. ويبدو أنّها أكثر قربًا زمنيًا في هذه الحياة، ولكنّها لم تستطع تحديد سنة معينة. واسمها كان إليزابيث.

- «أنا الآن أكبر سنًّا، لي أخ واحد وأختان اثنتان. أرى طاولة العشاء (...) أبي موجود هنا (...) إنّه إدوارد (طبيب الأطفال يعود للظهور ليؤدي دور أبيها). أمي وأبي يتشاجران مجددًا. الطعام بطاطس وفاصوليا، أبي غاضب لأنّ الطعام بارد. إنّهما يتشاجران كثيرًا، أبي يشرب باستمرار (...) ويضرب أمي»، كان صوت كاثرين خائفًا، ويرتجف بشكل واضح، «ثم يقوم بدفع الأطفال، إنّه ليس كما كان في السابق، ليس نفس الشخص، لا أحبه؛ أتمنى أن يذهب بعيدًا». كانت تتحدث مثل الأطفال.

كانت أسئلتي لها أثناء الجلسات مختلفة تمامًا عمّا اعتدت عليه في العلاج النفسي التقليدي. تصرفت معها كمرشد أكثر، محاولاً استرجاع حياة كاملة في ساعة أو اثنتين، بحثًا عن صدمات أو أحداث مؤلمة يمكنها أن تفسر ما يظهر عليها من أعراضٍ في الوقت الحاضر. إنّ العلاج النفسي التقليدي يجري بشكل أكثر تفصيلاً وبوتيرةٍ أكثر تمهلاً. فكلّ كلمة يختارها المريض، يتمّ تحليلها بحثًا عن الفروق الدقيقة والمعاني الخفية.

كلّ تعبير في الوجه، وكلّ حركة في الجسم، وكلّ انعكاس على الصوت يتمّ أخذه بعين الاعتبار وتحليله؛

كلّ رد فعل عاطفي يتمّ التدقيق فيه بعناية. وأنماط السلوك يتمّ تجميعها معًا بشقّ الأنفس مع كاثرين، تجعل بالإمكان اختصار السنوات في دقائق. جلسات كاثرين كانت مثل القيادة في سباق سيارات بالسرعة القصوى ... ومحاولة التعرف على الوجوه في وسط الزحام!

أعدت تركيزي إلى كاثرين وطلبت منها التقدم في الزمن.

- «أنا متزوجة الآن. بيتنا يحوي غرفة واحدة ضخمة، زوجي ذو شعر أشقر؛ لا أعرفه (فهو لم يظهر في حياة كاثرين الحالية) ليس لدينا أولاد حتى الآن (...) إنّه لطيف معي، نحن سعداء ونحبّ بعضنا».

يبدو أنّها نجحت في الهرب من التسلط في منزل أهله، سألتها فيما إذا كان باستطاعتها التعرف على المكان الذي تعيش فيه.

- «برينينغتون؟»، همست كاثرين مترددة، «أرى كتبًا مع أغلفةٍ قديمة مضحكة، أكبرها يغلق بحزام. إنّه الإنجيل، هناك حروف كبيرة ومرتبة (...) اللغة الغيلية».

هنا نطقت ببعض الكلمات التي لم أستطع تحديد فيما إذا كانت لغة غيلية أم لا، لم تكن لدي أدنى فكرة.

- «نحن نعيش في الداخل، وليس بالقرب من البحر في مقاطعة (...) برينينغتون؟ أرى مزرعة فيها خنازير وحملان، إنّها مزرعتنا»، لقد مضت قدمًا في الزمن، «لدينا ولدان (...) الأكبر يتحضّر للزواج، أستطيع أن أرى برج الكنيسة (...) مبنى حجري قديم جدًا».

فجأة بدأ رأسها يؤلمها، كانت كاثرين تتألم من الجهة اليسرى في رأسها، أخبرتني أنّها وقعت من على سلالم الدرج الحجري، ولكنها تعافت، وقد ماتت في سنّ متقدم على سريرها وأسرتها تحيط بها، وقد طفت مجددًا خارج جسمها بعد الموت، ولكنها لم تكن مضطربة أو متحيرة هذه المرة.

- «أنا أرى نورًا ساطعًا، إنّه جميل».

تحصل على طاقة من هذا النوع، كانت ترتاح بعد الموت، فيما بين الحيوات؛ مرت دقيقة صمت. فجأة تحدثت، ولكن ليس بتلك الطريقة البطيئة الهامسة التي اتبعتها سابقًا. لقد كان صوتها عاليًا وقويًا من دون تردد.

- «إنّ مهمتنا هي التعلم، أن نصبح كالآلهة من خلال المعرفة! نحن نعرف القليل؛ أنت هنا لتكون معلمي! لدي الكثير لتعلمه. من خلال المعرفة نقترب من الله! ثم نستطيع الاستراحة، بعد ذلك نعود لنساعد ونعلم الآخرين».

كنت غير قادرٍ على الكلام. هذا درس مما بعد موتها! من الحالة البينية، ما هو مصدر هذه المعلومات؟ لا يبدو على الإطلاق أنّه من كاثرين؛ فهي لم تتحدث من قبل مستخدمة هذه الكلمات وبمثل هذا الأسلوب المميز! حتى نبرة صوتها كانت مختلفة تمامًا عن ذي قبل.

في هذه المرحلة لم أدرك أن كاثرين رددت هذه الكلمات، ولم تختلق الأفكار، كانت تكرر ما قيل لها! لاحقًا تعرفت على المعلمين، إنّهم أرواح متطورة جدًا ليست موجودة في الأجساد، هم المصدر! وبإمكانهم التحدث إليَّ عن طريقها. وكاثرين لا تستطيع الآن العودة إلى الحيوات الماضية

وحسب، بل إنّ بإمكانها أن تنقل المعلومة مما وراء ذلك. معلومات جميلة، لقد كافحت للحفاظ على موضوعيتي.

لقد تمّ تقديم بُعدٍ جديد. كاثرين لم تقرأ من قبل دراسات د. إليزابيث كيبلر روس أو د. رايموند مودي اللذان كتبا عن تجارب الاقتراب من الموت، ولم تسمع من قبل بالكتاب التبتي للأموات؛ ومع ذلك فقد كانت تعبر عن تجارب مماثلة لهذه الكتابات! كان هذا دليلاً على التنوع، لو أنّ هناك المزيد من الحقائق والمزيد من التفاصيل الملموسة التي يمكن أن أتحقق منها، شكوكي تذبذبت ولكنّها استمرت، ربما قرأت كاثرين عن أبحاث تجارب الاقتراب من الموت في مجلة أو مقالة أو برنامج، على الرغم من أنّها قد أنكرت أيّ تذكر واعٍ لمقالة أو برنامج مشابه، فلربما تكون قد استعادت ذاكرة لا واعية. ولكنّها تجاوزت هذه الكتابات ونقلت رسالة من الحالة البينية. فقط لو أنّ لدي المزيد من الحقائق.

بعد أن استيقظت، تذكرت كاثرين تفاصيل الحيوات السابقة كما جرت العادة. ولكنها لم تتذكر شيئًا مما حدث بعد موتها كإليزابيث. في المستقبل لن تتذكر أيّ تفاصيل عن الحالة البينية. ما تذكرته فقط من حياتها السابقة: «من خلال المعرفة نقترب من الله. كنا في طريقنا الخاص».

الفصل الرابع
التشكيك بإعادة التجسّد

- «أرى منزلاً مربعًا أبيض اللون يمتد أمامه طريق رملي في الواجهة، هناك أشخاص يركبون الأحصنة ويمضون جيئة وذهابًا»، كانت كاثرين تتحدث بطريقتها الهامسة والحالمة، «هنالك أشجار (...) وزرع، منزل كبير ومنازل صغيرة مثل منازل العبيد، الجو حار للغاية، المكان في الجنوب (...) فيرجينيا؟»، ظنَّت أن التاريخ هو 1873. كانت طفلة، «هناك أحصنة والعديد من المحاصيل (...) الذرة والتبغ». هي وعدد من الخدم يأكلون في مطبخ المنزل الكبير، كانت سوداء، اسمها آبي، أحست بهاجس، وتشنج جسمها. كان المنزل الرئيسي يحترق، إنّها تشاهده وهو يحترق. أخذتها قدمًا في الزمن خمس عشرة سنة حتى عام 1888.

- «كنت أرتدي لباسًا قديمًا وأنا أنظف مرآة في الطابق الثاني من المنزل، منزل من الطوب مع نوافذ (...) مع الكثير من الألواح الزجاجية، المرآة متموجة وليست مستقيمة ولها مقابض في النهاية. اسم مالك المنزل هو جيمس مانسون، كان لديه معطف مضحك بثلاثة أزرار وياقة سوداء كبيرة (...) لديه لحية (...) لم أتعرف عليه (كشخص في حياة كاثرين الحالية) إنّه يعاملني بشكل جيد، أسكن في بيت من ضمن أملاكه. أنظف الغرف، هنالك مدرسة تعود ملكيتها له، وليس من المسموح لي الدخول إليها. أنا أصنع الزبدة كذلك».

كاثرين كانت تهمس ببطءٍ، وتستخدم مصطلحات بسيطة للغاية، وتولي انتباهًا شديدًا للتفاصيل. خلال الخمس دقائق التالية، تعلمت كيف أصنع الزبدة، معرفة آبي عن كيفية صناعة الزبدة كانت جديدة على كاثرين كذلك. أخذتها قدمًا في الزمن.

- «أنا مع أحدهم، ولكن لا أظن أننا متزوجان، ننام سويةً (...) ولكننا لا نعيش مع بعض على الدوام، أشعر بشعور طيب تجاهه، ولكن لا شيء خاص. لا أرى أيّ أطفال. هنالك أشجار تفاح وبطات، بقية الأشخاص بعيدون، أنا أقطف التفاح، شيء ما يجعل عيني تحكّانني»، كانت كاثرين تتجهم بعينيها المغلقتين، «إنّه الدخان والريح تسحبه في هذا الاتجاه (...) الدخان مصدره من خشب يحترق. إنّهم يحرقون برميل خشب»، كاثرين تسعل الآن، «إنّ ذلك يحدث باستمرار. إنّهم يطلون داخل البرميل بالتار الأسود (...) المضاد للماء». بعد الاستمتاع بجلسة الأسبوع الماضي، كنت متعطشًا لوصولها إلى الحالة البينية من جديد. كنا قد أمضينا تسعين دقيقة في استكشاف حياتها كخادمة.

لقد عرفتْ معلوماتٍ عن أغطية الفراش، والزبدة، والبراميل؛ أمّا أنا فقد كنت متحمسًا للمزيد من الدروس الروحية. لذلك تقدمت بها في الزمن إلى وقت وفاتها.

- «يصعب عليَّ التنفس. صدري يؤلمني بشدة»، كانت كاثرين تختنق وتعاني ألمًا واضحًا، «قلبي يؤلمني، إنّه يخفق بسرعة. أشعر أنّ جسمي بارد؛ أنا أرتجف»، بدأت كاثرين بالقشعريرة، «هنالك أشخاص في الغرفة يعطونني أوراق شجر لشربها (كالشاي) رائحتها مضحكة، إنّهم يدهنون مرهمًا على صدري، حرارتي مرتفعة (...) ولكني باردة للغاية».

ماتت بصمت، لتطفو إلى أعلى السقف، بإمكانها أن ترى جسدها على السرير، امرأة ستينية ذابلة، كانت لا تزال تطفو منتظرة قدوم أحدٍ ما لمساعدتها. ثمّ انتبهت لنور، أحست بنفسها تنجذب إليه. النور يصبح أكثر سطوعًا وإضاءة. انتظرنا بصمت لتمضي بعض الدقائق ببطء. فجأة وجدت نفسها في حياة أُخرى.

كانت كاثرين تهمس بلطف: «أرى الكثير من الثوم، إنّه معلّق في غرفة مفتوحة. أستطيع أن أشمها. يعتقدون بأنّه يقتل الكثير من الشرور في الدم ويطهر الجسد في حال استعملته يوميًّا، الثوم في الخارج أيضًا. في رأس الحديقة، هنالك نباتات أُخرى (...) التين والتمر وغيرهما»، هل هذه النباتات تساعدك؟ «أمي تشتري الثوم وغيره من النباتات، شخص ما مريض في البيت. هذه جذور غريبة أحيانًا تبقيها في فمك أو أذنك أو في فتحات أُخرى، عليك أن تبقيها في الداخل. أرى رجلاً مسنًّا ملتحيًا. إنّه أحد المعالجين في القرية، وهو من يخبرك بما يجب أن تعمل، هناك نوع من الطاعون (...) يقتل الناس، إنّهم لا يحنّطون الموتى خوفًا من المرض، يقومون بدفنهم وحسب،

والناس غير سعيدين بذلك، يشعرون بأنّ الروح لن تعبر بهذه الطريقة (بعكس تقارير كاثرين عمّا بعد الموت) ولكن الكثيرين قد ماتوا، الماشية تموت أيضًا، الماء (...) الفيضان (...) الناس مرضوا بسبب الفيضان. (يبدو بأنّها قد أدركت هذه الحقيقة بناءً على معرفتها بعلم الأوبئة) أنا أيضًا مصابة بمرض ما بسبب المياه، المرض يشعرك بآلام في المعدة، إنّه يتركز في الأمعاء والمعدة، يجعلك تخسر الكثير من الماء في جسدك، أنا بجانب الماء لأحضر المزيد، ولكنّ هذا ما يقتلنا. أعيد الماء مجددًا. أرى أمي وإخوتي. ها قد مات أبي؛ وإخوتي مرضى للغاية».

أتوقف لأتقدم بها في الزمن. وأنا مندهش من الطريقة التي تغّير بها مفهومها تجاه الموت والحياة، وكيفيّة تنقّلها بعدها من حياة إلى أُخرى. وتشابه تجارب موتها في كلّ مرة، فالجزء الواعي منها يغادر الجسد في لحظة الموت، ويطفو إلى الأعلى، ثم ينجذب إلى نور جميل وحيوي. تقوم تاليًا بانتظار أحدٍ ما ليأتي لمساعدتها، فتعبر الروح تلقائيًا، أمّا التحنيط والدفن والطقوس أو الإجراءات الأُخرى بعد الموت فليس لديها ما تفعله فيها.

كان ذلك يحدث تلقائيًا ولا يحتاج لتحضير، مثل السير خلال باب مفتوح.

- «الأرض قاحلة وجافة (...) لا أرى أيَّ جبال هنا، فقط أرض مستوية وجافة، أحد إخوتي قد مات، صحتي تتحسن على الرغم من أنّني ما زلت أتألم». ومع ذلك لم تعش طويلاً.

- «أنا مستلقية على سرير، وهناك غطاء فوقي». كانت مريضة للغاية ولا يوجد كمية من الثوم أو النباتات يمكنها أن تمنع موتها. سرعان ما أخذت تطفو فوق جسدها منجذبة لنور مألوف. انتظرت بفارغ الصبر ليأتي أحد ويساعدها، بدأ رأسها يتحرك قليلاً من طرف لآخر، كما لو أنّها تتأمل مشهدًا. مجددًا أصبح صوتها قويًا ومرتفعًا.

- «أخبروني أنّ هنالك آلهة متعددة، لأن الله موجود داخل كلّ منا».

لقد تعرفت على الصوت من الحالة البينية بين الحيوات ومن خلال قوته، إضافة إلى اللهجة الروحية الأكيدة في الرسالة. لكنّ ما قالته لاحقًا هو ما تركني محبوس الأنفاس، وكأنّ أحدهم قد سحب الهواء من رئتيّ:

- «إن أباك هنا، وابنك أيضًا، طفل صغير. يقول أبوك أنّك ستعرفه لأنّ اسمه أفروم، وابنتك قد سميت باسمه أيَضًا، موته كان بسبب قلبه. كان قلب ابنك مهمًا لكنّه كان ضعيفًا كقلب دجاجة، لقد قام بتضحية كبيرة من أجلك، وانطلاقًا من الحبّ، ومن روحه المتطورة للغاية (...) إنّ موته قد ساعد في سداد ديون أهله، وأراد أيضًا أن يريك بأنّه يمكن للطبّ أن يمضي بعيدًا، ولكنّه يبقى محدود الإمكانيات».

توقفت كاثرين عن الحديث، جلست أنا في صمت مروع، وعقلي مخدَّر ويحاول فرز الأشياء، شعرت بأنّ الغرفة باردة كالجليد. إنّ كاثرين لا تعرف إلّا القليل عن حياتي الشخصية.

فقط على مكتبي أضع صورة صغيرة لابنتي، بابتسامة سعيدة مع سنيها الصغيرين في الأسفل وفمها الفارغ، صورة ابني كانت بجوارها، عدا عن ذلك فإنّ كاثرين لا تعلم شيئًا عن عائلتي أو عن تاريخي الشخصي، ما تعلمته جيدًا في تقنيات العلاج النفسي التقليدية، أنه يفترض بالمعالج أن يكون مثل كومبيوتر فارغ، بحيث يمكن للمريض إبراز مشاعره وأفكاره والمواقف الخاصة به، ثم يتمّ تحليل هذه الأمور من قِبل المعالج، مع توسيع مساحة عقل المريض. لقد حافظت على هذه المسافة أثناء المعالجة مع كاثرين، فقد عرفتني كطبيب نفسي فقط، لا شيء عن ماضيّ أو حياتي الخاصة. لم أظهر حتى شهاداتي في المكتب، المأساة الأكبر في حياتي كانت الموت المفاجئ لولدي الأول «آدم» والذي كان يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين يومًا فقط حين مات في بداية 1971، بعد عشرة أيام من إعادتنا له للمنزل من المشفى، وقد حصلت له مشاكل في التنفس والتقيؤ.

كان من الصعب تشخيص مرضه «تجمع في الرئة والصرف الوريدي مع عيب في الحاجز الأذيني» مرض يحدث مرة في كلّ عشرة ملايين ولادة. الأوردة الرئوية، والتي من المفترض أن تعيد دمًا مؤكسدًا إلى القلب، كانت مصممة بشكل خاطئ، تدخل للقلب من الجهة الخاطئة، كما لو أنّ القلب قد تمّ تصميمه بالعكس؛ حالة شديدة الندرة، ولم تنجح عملية قلب مفتوح ماهرة في إنقاذ آدم، والذي مات بعدها ببضعة أيام، لقد حزنّا لشهور، آمالنا وأحلامنا تبددت؛ ابننا جوردان الذي ولد بعدها بعام، وحده من بلسم جراحنا.

في وقت موت آدم كنت مترددًا حول خياري المبكر في اختيار الطبّ النفسي كوظيفة، كنت مستمتعًا بالتدريب التعاوني في الطبّ الباطني، وقد عُرض عليَّ منصب في الطبّ بعد وفاة آدم.

قررت وبكلّ ثقةٍ أن أتّخذ من الطبّ النفسي وظيفة لي. كنت غاضبًا من الطبّ الحديث الذي لم يستطع إنقاذ طفلي رغم كلّ ما يمتلكه من تقنيات ومهارات حديثة.

والدي كان بصحة ممتازة، حتى تعرض لذبحة قلبية في بدايات 1979، وكان في الحادية والستين.

لقد نجى من الذبحة الأولى، ولكنّ جدار قلبه قد تعرض لضرر غير قابل للتعافي ومات بعدها بثلاثة أيام، كان هذا قبل حوالي تسعة أشهر من أول موعد لكاثرين. كان والدي رجلاً متدينًا ومتبعًا للطقوس الأكثر روحانية. اسمه العبري أفروم، وكان ملائمًا له أكثر من الاسم الإنجليزي ألفن، بعد أربعة شهور من وفاته وُلدت ابنتنا آمي وسميت على اسمه.

هنا عام 1982 في مكتبي الهادئ المظلم، هناك سلسلة من الحقائق الخفية والسرية كانت تتدفق عليَّ، لقد كنت أسبح في بحر روحي، وأنا أحبّ الماء. وكاثرين لا يمكنها أن تعرف هذه المعلومات. لم يكن هناك مكان حتى للبحث عنها.

اسم والدي العبري، وكوني قد رزقت بمولود مات وهو رضيع من فشل في القلب يصيب واحدًا من عشرة ملايين، ترددي بشأن الطبّ، وفاة والدي، تسمية ابنتي على اسمه؛ كان ذلك كثيرًا؛ ومحددًا للغاية وصحيحًا. هذه الاختصاصية التقنية في المختبرات غير المعقدة كانت وسيطًا لقناة من المعرفة التجاوزية. وإذا استطاعت كشف هذه المعلومات! فماذا تستطيع أيضًا؟ أحتاج أن أعرف المزيد.

- «من؟»، سعلتُ سعالاً خفيفًا، «من هناك؟ من أخبرك بهذه الأمور؟».

- «المعلمون»، قالت هامسة، «أرواح المعلمين أخبرتني، أخبروني أنني عشت ستًا وثمانين مرة في حالة جسدية».

تباطأ تنفس كاثرين، توقف رأسها عن الحركة من طرف لآخر، كانت ترتاح، أردت المضي قدمًا لكن الآثار المترتبة على ما قالت كانت تشتتني. هل كان لديها حقا ستة وثمانين عمرًا سابقًا؟ وماذا عن «المعلمين»؟ هل يمكن لهذا أن يكون؟ هل يمكن أن تسترشد حياتنا بالأرواح؟

والتي ليس لديها أجساد مادية ولكنها تمتلك معرفة كبيرة. هل هناك خطوات في الطريق إلى الله؟ هل ما يجري حقيقي؟ أجد أنّه من الصعب التشكيك في ضوء ما كشفت، ومع ذلك أجد صعوبة في التصديق، كنت أتجاوز سنوات من البرمجة، ولكنّني في عقلي وقلبي وحدسي أعلم أنّها كانت محقة، كانت تقول الحقيقة، وماذا عن أبي وابني؟ بشكل ما كانا لا يزالان حيّين، لم يموتا أبدًا، كانا يتحدثان إليّ، بعد سنوات من دفنهما، ويمكنني تأكيد ذلك من خلال تقديم معلومات سرية للغاية، وبما أنّ كلّ ذلك صحيح، فهل كان ابني روحًا متطورة كما قالت كاثرين؟ هل وافق أن يولد من أجلنا ثم يموت بعد ثلاثة وعشرين يومًا لمساعدتنا في ديوننا الكارمية، ثمّ دفعي نحو الطب النفسي، وتعليمي المزيد عن الطبّ والبشر؟ كنت متأثرًا للغاية بهذه الأفكار. وقد شعرت بحبّ كبير عند تحديقي، وشعور قوي من الوحدة والاتصال مع السماوات والأرض! لقد افتقدت ولدي ووالدي. كان من الجيد أن أسمع عنهما مجددًا.

حياتي لن تعود كما كانت مجددًا، قد امتدت إليَّ يدٌ وغيرت حياتي بطريقة لا رجعة فيها. جميع قراءاتي التي تمت بحرص وفحص دقيقَين، وشكّ مستقل، أصبحت مرتبةً، ذكريات كاثرين ورسائلها كانت صحيحة. وحدسي حول دقة تجاربها كان صحيحًا. لدي الحقائق والأدلة. ولكن حتى في لحظات البهجة والإدراك، حتى في هذه اللحظة من التجربة الباطنية، فإن الجزء القديم والمعروف من المنطق والشكّ في ذهني ما زال يقدم اعتراضًا، ربما هي مجرد حاسة سادسة أو مهارة نفسية، كما تشاء، يا لها من مهارة، ولكنها لا تثبت إعادة التجسّد أو أرواح المعلمين، ومع ذلك في هذا الوقت أعرف أكثر. آلاف الحالات المسجلة في الأدبيات العلمية، خاصة أولئك الأطفال الذي يتحدثون لغات أجنبية لم يتعاملوا معها من قبل، أو لديهم علامات في الولادة في مكان جروح دائمة سابقة، أو أولئك الأطفال الذين يعلمون مكان كنوز مخفية أو مدفونة على بعد آلاف الأميال وقبل عقود أو قرون من الزمن، كلّ ذلك يتردد صدىً لرسالة كاثرين. أعرف شخصية كاثرين وعقلها، أعلم ما كانت عليه وما لم تكن، لا، لا يمكن لعقلي أن يخدعني هذه المرة، الدليل كان شديد القوة وغامرًا للغاية، كان هذا حقيقيًا، كانت تؤكد المزيد والمزيد كلما زادت جلساتنا.

في بعض الأحيان على مدى الأسابيع التالية كنت أنسى قوة وتفاعل هذه الجلسة. في بعض الأحيان كنت أعود إلى روتين الحياة اليومية وأنا قلق حول الأمور الاعتيادية، فيطغى عليَّ الشكّ، كان كما يبدو أن عقلي حين لا أكون مركزًا يميل للعودة إلى الأنماط والاعتقادات السابقة والشكّ، ولكنني حين أذكّر نفسي – بأن هذا قد حدث في الواقع! أقدّر كم من الصعب تصديق هذه المفاهيم من

دون أن يكون لك تجربة شخصية، إن التجربة ضرورية لإضافة قناعة عاطفية للفهم الفكري. ولكن تأثير التجربة كان يتلاشى بشكل ما.

في البداية لم أكن أعي لماذا أتغير بشدة، أُدرك أنني أصبحت أكثر هدوءًا وصبرًا، وصار الآخرون يخبرونني كم أبدو مسالمًا! وكم أبدو أكثر ارتياحًا وسعادة. شعرت بمزيد من الأمل، ومزيدًا من البهجة والمعنى، ومزيدًا من الرضا في حياتي (...) اتضح لي أنني كنت أفقد الخوف من الموت، لم أعد خائفًا من موتي أو عدم وجودي. أصبحت أقل خوفًا من فقدان الآخرين، حتى وإن كنت سأفتقدهم. كم يبدو الخوف من الموت قويًا! الناس يذهبون بعيدًا لتجنب هذا الخوف، أزمة منتصف العمر، علاقات مع أشخاص أصغر، عمليات تجميل، إدمان التمرين، تراكم الممتلكات المادية، التكاثر لاستمرار الاسم، المعاناة لتصبح أكثر شبابًا ... إلخ.

بجزءٍ نحن مهتمون بموتنا، لدرجة أننا ننسى أحيانًا المغزى الحقيقي من حياتنا. لقد أصبحت الآن أقل استحواذًا، لم أعد أحتاج أن أكون مسيطرًا طوال الوقت، على الرغم من محاولتي أن أكون أقل جدية، هذه النقلة كانت صعبة عليّ، ولا يزال لدي الكثير لأتعلمه.

لقد أصبح ذهني الآن أكثر انفتاحًا تجاه الاحتمالات بالتأكيد، حتى إمكانية أن كلام كاثرين كان حقيقيًا، إنّ المعلومات المذهلة عن أبي وابني لا يمكن الحصول عليها من خلال الحواس العادية، إنّ معرفتها وقدراتها أثبتت إمكانات نفسية بارزة.

كان من المنطقي تصديقها، ولكنني بقيت قلقًا ومترددًا بشأن ما أقرأه في الأدبيات المعروفة، من هم هؤلاء الأشخاص الذين يتحدثون عن ظواهر نفسية وأحداث أُخرى غير مألوفة؟ هل هم مدربون على وسيلة علمية للمراقبة والتثبت؟ بغض النظر عن تجربتي الغامرة والرائعة مع كاثرين، أعلم أنّ عقلي النقدي سيستمر في تدقيق كلّ حقيقة جديدة، وكلّ جزء من معلومة. كنت أتأكد لأرى إذا كانت تتلاءم مع السياق المبني لكلّ جلسة. كنت أختبرها من كلّ زاوية بمجهر الباحث، ومع ذلك لا أستطيع أن أنكر أنّ السياق كان موجودًا.

الفصل الخامس

كلنا متساوون

بينما كنّا في منتصف الجلسة. أنهت كاثرين استراحتها، وبدأت في الحديث عن التماثيل الخضراء أمام المعبد. استعدت نفسي من حالة تخيّل ما أسمعه، وأصغيت لها، كانت في حياة قديمة، في مكان ما من آسيا، وأنا لا أزال مع المعلمين، شيء مبهر، قلت لنفسي، إنّها تتحدث عن الحيوات السابقة، عن إعادة التجسّد، ومع ذلك، مقارنة بسماع رسائل المعلمين، فإنّ هذا يبدو غير كافٍ. لأنّني قد أدركت أنّ عليها المرور عبر الحيوات قبل أن تترك جسمها وتصل للحالة البينية. وأنّه لا يمكنها الوصول لهذه الحالة مباشرةً، قبل وصول المعلمين.

أخذت تهمس بلطف: «التماثيل الخضراء أمام معبد كبير، إنّه مبنىً ذو قمم وقباب بنية. هناك سبع عشرة درجة في الأمام، وهنالك غرفة عند نهاية الدرج، وبخور يحترق. جميعهم حفاة، وحليقو الرؤوس، وذوو وجوهٍ مدورة، وبشرة وعيونٌ داكنة. أنا هناك ولديّ جرح في قدمي، وقد جئتهم طلبًا للمساعدة، إنّها متورمة، ولا أستطيع المشي عليها، شيءٌ ما قد علق فيها، لقد وضعوا بعض الأوراق عليها (...) أوراق غريبة»، التانين، أو حمض التانيك، المتواجد بشكل طبيعي في الجذور والخشب واللحاء والأوراق، وثمار العديد من النباتات، وقد أُستخدم منذ تلك العصور القديمة كدواء بسبب خصائصه المميزة، «أولاً، هذه الطقوس أمام الآلهة، لقد تمّ تطهير قدمي، هناك نوع من السمّ فيها، لقد دست على شيء ما، ركبتي منتفخة، وساقي ثقيلة وملفوفة بشريطة مكتوب عليها: (تسمم في الدم). لقد أحدثوا ثقبًا في قدمي، وصبّوا عليه شيئًا حارًا للغاية».

كاثرين تتألّم الآن، كانت تأخذ من الجرعة المريرة وتشربها لتسكت الألم، كانت الجرعة مكونة من أوراق صفراء، ها قد شفيت، لكنّ عظام قدمها ورجلها لم تعد كما كانت من قبل. لقد أخذتها قُدمًا في الزمن. فلم ترَ إلّا حياة قاتمة ومنكوبة والمزيد من الفقر؛ كانت تعيش مع عائلتها في

غرفة واحدة وصغيرة في كوخ من دون طاولة، يأكلون نوعًا من الأرز، مثل الحبوب، ولكنّهم جائعون على الدوام. لقد تقدّمت في السنّ بشكل سريع، ولم تتخلص من الفقر أو الجوع، ها قد ماتت. انتظرتُ، ولكنّني رأيت كاثرين مجهدة. وقبل أن أقوم بإيقاظها، أخبرتني بأنّ «روبرت جارود» يحتاج مساعدتي. لم أكن أملك أدنى فكرة عمّن يكون «روبرت جارود» أو كيف بإمكاني مساعدته.

لم يعد هناك المزيد. ولكن بعد استيقاظها من التنويم، تذكرت كاثرين مجددًا الكثير من التفاصيل حول حياتها السابقة. إلّا أنّها لم تتذكر شيئًا بعد تجربة الموت، لا عن الحالة البينية ولا عن المعلمين أو عن المعرفة المذهلة والتي تم كشفها؛ لذلك قمتُ بسؤالها: «كاثرين ماذا يعني مفهوم المعلمين بالنسبة لك؟». وكأنّها في بطولة غولف! كانت تتحسن باستمرار الآن، غير أنّه من الصعوبة على من لديها مثل إيمان كاثرين استيعاب مفهوم التقمّص، لذلك قررتُ ألّا أخبرها عن المعلمين بعد، إضافة لذلك، لم أكن متأكدًا من كيفيّة إيصال المعلومة لشخص موهوب بشكل فذّ «كوسيط تنويم» يستطيع أن ينقل معلومات رائعة وفائقة من أرواح المعلمين.

وافقت كاثرين بأن تسمح لزوجتي أن تحضر الجلسة القادمة؛ وزوجتي كارول اختصاصية نفسية اجتماعية عالية الكفاءة ومدربة بشكل جيد.

لقد أردت معرفة رأيها حول هذه الأحداث المذهلة، بعد أن أخبرتها عمّا قالته كاثرين عن أبي وعن ابننا آدم، كانت متحمسة للمساعدة. لم يكن لديَّ أيّة مشكلة في أخذ ملاحظات حول كلّ كلمة من الحيوات السابقة حين كانت كاثرين تهمس ببطء، ولكنّ المعلمين تحدثوا بسرعة أكبر، فقررت أن أسجل كلّ شيء على شريط صوتي. بعد أسبوع جاءت كاثرين لجلستها التالية، وقد استمرت في التحسن مع تلاشي المخاوف والقلق. كان تحسنها الصحي واضحًا، ولكنّني لازلت لا أعلم لماذا أصبحت أفضل حالاً. رغم أنّها تذكرت الغرق كأروندا، ثمّ قطع حلقها كجوهان، وعاشت ضحية لوباء مصدره الماء كلويزا، وغيرها من الصدمات المريعة؛ لقد جرّبت أو أعادت اختبار حيوات للفقر والعبودية والتسلط داخل أسرتها.

ما ذكرته هو أمثلة لصدمات يومية صغيرة قد تتجذر في نفوسنا. إنّ تذكّر النوعين من الحيوات قد يساهم في تحسنها، ولكنّ الاحتمالية الأُخرى المطروحة هي: هل يمكن للتجربة الروحية نفسها أن تكون مساعدة؟ هل يمكن لمعرفتنا بأنّ الموت ليس كما يبدو عليه أن تساهم في الإحساس

بالرفاه، وتضاؤل الشعور بالمخاوف؟ هل يمكن للعملية بأسرها، وليس فقط للذكريات أن تكون جزءًا من الحلّ؟

قدرات كاثرين النفسية كانت في تزايد بحيث أصبح الحدس لديها أكبر. ورغم أنّ بعض مشاكل لا تزال لديها - مشاكل مع ستيوارت - لكنّها شعرت أنّ بإمكانها التعامل معه بشكل أكثر فعالية، عيناها تألقتا، وبشرتها توهجت، لقد رأت حلمًا غريبًا أثناء الأسبوع، كما قالت، ولكنّها استطاعت تذكر جزءٍ منه فقط؛ كانت تحلم بأنّ زعنفة سمكةٍ حمراءَ كانت جزءًا لا يتجزأ من يدها. وحين بدأنا بعمليّة التنويم، لم يستغرق الأمر سوى دقائق لتصل بسرعةٍ وسهولة إلى مستوى عميقٍ، وتبدأ بالقول:

- «أرى جرفًا صخريًا، أنا أقف على الجرف، وأنظر إلى الأسفل. يفترض بي أن أبحث عن سفن - هذا ما يفترض بي عمله»، ثمّ أخذت تهمس بلطف، «أنا ألبس لباسًا أزرق، بنطال أزرق (...) سراويل قصيرة مع أحذية غريبة (...) حذاء أسود (...) وهو مربوط (...) الأحذية لها ربطة، أحذية مضحكة للغاية (...) لا أرى في الأفق أيّة سفن»، لقد أخذتها قُدمًا في الزمن للحدث المهم التالي في حياتها، «نحن نشرب البيرة، المكان مظلم جدًا، الخزانات سميكة وقديمة، الرائحة كريهة جدًا في هذا المكان، والكثير من الناس موجودون هنا، الأصوات صاخبة والجميع يتكلم، ضجيج عالٍ»، سألتها عمّا إذا سمعت أيّ أحد ينادي على اسمها، «كريستيان (...) اسمي هو كريستيان»، كانت رجلاً مجددًا، «كنا فقط نأكل نوعًا من اللحم ونشرب البيرة، المكان مظلم والمذاق مرّ للغاية، لقد وضعوا عليه ملحًا»، لم تستطع تحديد تاريخ، «إنّهم يتحدثون عن الحرب، عن سفن تحاصر بعض الموانئ! ولكنني لا أستطيع أن أسمع أين هي. لو أنّهم هدأوا قليلاً لكنّا سنسمع، لكنّ الجميع يتحدث، هنالك ضجيج»، سألتها أين هي، فجاءني صوتها، «هامستيد (...) هامستيد (إملاء صوتي) إنّه ميناء، ميناء بحري في ويلز، وهم يتحدثون الإنجليزية»، مضت قدمًا في الزمن إلى الوقت الذي كان فيه كريستيان في السفينة، «أستطيع أن أشتمّ شيئًا، شيء ما يحترق. إنّها رائحة مريعة. رائحة خشب، ولكن هناك شيئًا آخر، رائحة تحرق الأنف (...) شيء ما في البعيد يحترق، سفينة شراعية. نحن نحمل البضائع! نحمّل شيئًا مع بارود»، أصبحت كاثرين مضطربةً بشكلٍ واضح، «إنّه شيء متعلّق بالبارود، أسود للغاية، إنّه يلتصق بيديك، عليك أن تتحرك بسرعة، السفينة عليها علم أخضر. العلم أسود (...) إنّه علم أخضر وأصفر. يوجد عليه تاج مع ثلاث نقاط»، فجأة، شعرت كاثرين بالألم، كانت تعاني، «آه»، قالت: «الألم في يدي، الألم في يدي».

كانت تردد: «هناك معدن، معدن حار في يدي. إنّه يحرقني! أوه! أوه!». فتذكرتُ حلمها المبعثر، وفهمتُ الآن ما معنى الزعنفة الحمراء الملتصقة بيدها، لقد كتمت الألم، ولكنّها واصلت الشكوى:

- «الشظايا معدنية (...) السفينة التي كنّا عليها دُمرت (...) بجانب الميناء، لقد سيطروا على الحريق، العديد من الرجال قتلوا (...) العديد منهم. لقد نجوت (...) فقط يدي تؤلمني، ولكنّها تتعافى مع الوقت»، أخذتها قدمًا في الزمن، لأتركها تختار الحدث الهام التالي، «أرى محلّ طباعة، يطبع شيئًا مع كتب وحبر. إنّهم يطبعون ويجمعون الكتب (...) للكتب أغلفة من جلد، وبها أوتار تجمعها معًا، أوتار جلديّة، أرى كتابًا أحمر (...) إنّه يحوي شيئًا ما عن التاريخ. لا أستطيع أن أرى العنوان، لم ينتهوا من الطباعة؛ الكتب جميلة. أغلفتها ناعمة الملمس، إنّها من الجلد. إنّها كتب رائعة، إنّهم يعلمونك». من الواضح أنّ كريستيان استمتع بمنظر وملمس الكتب، لقد أدرك بشكل خفي فرصة التعلم بهذه الطريقة، كان يبدو أنّه غير متعلمٍ بالمرة، لقد أخذتُ كريستيان في الزمن قدمًا لآخر يوم في حياته.

- «أرى جسرًا فوق النهر، أنا رجل عجوز (...) عجوز للغاية. يصعب عليَّ السير، أنا أسير فوق الجسر (...) نحو الجهة الأُخرى (...) أشعر بألم في صدري - ضغط، ضغط فظيع - ألم في صدري! أوه!». كانت كاثرين تصدر أصوات غرغرة، وهي تختبر فيما يبدو ذبحة قلبية أصيب بها كريستيان فوق الجسر. كان تنفسها سريعًا وسطحيًّا؛ وقد امتلأ وجهها وعنقها بالعرق، بدأت بالسعال محاولةً التقاط أنفاسها، كنت قلقًا، هل كانت تعاني من إعادة تجربة لذبحة قلبية من حياة سابقة خطيرة؟

كان هذا مستوىً جديدًا قد بلغته التجربة، لا أحد يعرف الإجابة. في النهاية مات كريستيان. وكاثرين مستلقية الآن بسلام على الأريكة، كانت تتنفس بعمق، شعرت بارتياح عميق.

- «أشعر بالحرية (...) حرية»، همست كاثرين بلطف، «أنا فقط أطفو في الظلام. فقط أطفو. هناك نور في المكان (...) وأرواح لأشخاص آخرين».

سألتها إن كان لديها أيّة أفكار عن الحياة التي انقضت، حياتها ككريستان.

- «يجب عليَّ أن أكون أكثر تسامحًا، ولكنني لم أكن كذلك. لم أغفر للناس الأخطاء التي قد ارتكبوها بحقي، كان يجب عليَّ القيام بذلك. لم أستطع، لقد استبقيتها بداخلي، وكتمتها لسنوات عديدة (...) أرى أعين (...) أعين».

- «أعين»، رددتُ، «أي نوع من الأعين؟».

- «أعين أرواح المعلمين»، همست كاثرين، «ولكن يجب عليَّ الانتظار، لدي أمور يجب أن أفكر بها».

مرت دقائق بصمت وتوتر. سألتها بترقب، قاطعًا الصمت الطويل: «كيف تعلمين بأنّهم جاهزون؟».

فأجابت: «سوف ينادونني».

مرت دقائق إضافية. ثم فجأة، بدأت تدير رأسها من طرف لآخر، أصبح صوتها ثابتًا وأجشًّا كإشارة للتغيير.

- «هناك العديد من الأرواح في هذا البعد، أنا لست الوحيدة، يجب أن نكون صبورين، هذا أمر لم أتعلمه من قبل (...) هناك العديد من الأبعاد ...».

سألتها عمّا إذا كانت هناك من قبل، وعمّا إذا كانت قد أعادت التجسّد لمرات عديدة. فردّت:

- «لقد ذهبت لعدة أماكن في أوقات مختلفة؛ كلّ مرة كانت لمستوى وعي أعلى، البعد الذي نذهب له يعتمد على درجة تطورنا وإنجازنا الروحي ...».

عادت للصمت مجددًا. سألتها: ما هي الدروس التي يجب عليها تعلمها كي تتقدم وتتطور؟

أجابت فورًا: «يجب علينا مشاركة معرفتنا مع الناس؛ لدينا جميعًا قدرات أبعد مما نستخدم، والبعض منّا يدركها بوقت مبكر عن الآخرين؛ لذلك يجب علينا أن نتأكد. قبل أن تصل إلى هذه النقطة. عليك التخلّص من عاداتك السيئة، وإلّا فإنّك ستكون مضطرًا لحملها معك إلى حياةٍ أُخرى، فنحن لا نستطيع أن نخلّص أنفسنا من العادات السيئة التي نراكمها، إلّا في حالة التجسّد المادي. والمعلمون لا يستطيعون القيام بذلك بدلاً عنا. إذا اخترت أن تعاني وألّا تخلص نفسك، فسوف تنتقل

معاناتك معك لحياة أُخرى. أمّا حين تقرر أنّك تمتلك القوة الكافية لمواجهة المشاكل الخارجية، وقتها لن تواجهها في حياتك التالية. يجب أن نتعلم ألّا نذهب فقط للأشخاص الذين نتشابه معهم في الترددات. من الطبيعي أن تشعر بالانجذاب لشخص على نفس سويّتك. ولكن هذا خاطئ؛ يجب أن تتواصل مع الأشخاص الذين تخالف تردداتهم، تردداتك (...) هذا مهم (...) لمساعدة (...) هؤلاء الأشخاص. نحن مُنِحنا قدرات حدسية يجب أن نتبعها، وألّا نحاول مقاومتها. أمّا الذين يقاومونها فإنّهم سيواجهون المخاطر. نحن لم نأتِ من أبعاد مختلفة بقدرات متساوية. بعضنا يمتلك قدرات أعظم من الآخر، لأنّهم استحقوها من أزمان أُخرى. وبالتالي فالناس لم يُخلَقوا كلّهم متساوين. ولكننا سنصل لنقطة نكون فيها كلّنا متساوون».

توقفت كاثرين. علمت أنّ هذه الأفكار ليست أفكارها. فهي لا تمتلك خلفية في الفيزياء أو الميتافيزيقا؛ ولا تعلم شيئًا عن الأبعاد والأماكن والذبذبات. وكذلك فإنّ جمال الكلمات والأفكار، والتطبيقات الفلسفية لهذه الكلمات، هي أبعد من قدرات كاثرين. لم تتحدث من قبل بهذه الثقة والطريقة الشاعرية، من جانب آخر، أستطيع أن أشعر بالجهدِ الضاغطِ على عقلها وحبالها الصوتية، لتستطيع ترجمة هذه الأفكار إلى كلمات، حتى أتمكن أنا من فهمها. لا إنّها ليست كاثرين. صوتها كان له نبرة حالمة.

- «الناس في حالة غيبوبة (...) في حالة عالقة. إنّهم غير مستعدين بعد للعبور للبعد الآخر. حتى يقرروا ما إذا كانوا يريدون العبور أم لا؛ هم فقط يستطيعون تحديد ذلك، إذا أحسوا بأنّهم لا يتعلمون شيئًا إضافيًا، في الحالة الجسدية (...) حينها سيصبحون مستعدين للعبور. ولكن إذا كان هناك المزيد مما يجب عليهم تعلّمه، فسوف تتوجب عليهم العودة حتى ولو لم يريدوا. هذه فترة راحة بالنسبة لهم، فترة يمكن فيها لقواهم العقلية أن ترتاح».

إذًا فالناس في الغيبوبة بإمكانهم تحديد ما إذا أرادوا العودة أم لا، بناءً على درجة التعلّم التي يجب عليهم القيام بها في الحالة الجسدية. أمّا إذا أحسوا أنّه لا يوجد شيء للقيام به، فيمكنهم وقتها الذهاب مباشرة للحالة الروحانية.

على الرغم من الطبّ الحديث، فإنّ هذه المعلومة تتواءم بشكل ممتاز مع الأبحاث التي تمّ نشرها حول تجارب الاقتراب من الموت، ولماذا يختار بعض الناس العودة. وآخرون لم يمنحوا

الاختيار؛ كان عليهم العودة لأنّه كان هناك المزيد لتعلمه، بالطبع جميع من تمّت مقابلتهم حول تجاربهم في الاقتراب من الموت قد عادوا لأجسادهم.

هناك تشابه صادم في قصصهم؛ حيث يصبحون منفصلين عن أجسادهم و»يشاهدون» جهود الإنعاش من نقطة فوق أجسادهم. ثم يصبحون مدركين لنور أو شخصية «روحية» متوهجة على بعد مسافة، وأحيانًا في نهاية نفق، لا يشعرون بألم، وهم يدركون بأنّ المهمة على الأرض لم تنتهِ بعد، وأنّ عليهم أن يعودوا إلى أجسادهم، ثم يتصلون مباشرة بأجسادهم ويصبحون مدركين مجددًا للألم والحواس الجسمانية الأُخرى.

كان لدي العديد من المرضى ممن اختبروا تجربة الاقتراب من الموت، أكثر حالة مثيرة كانت لرجل أعمال ناجح من أمريكا الجنوبية، والذي راجعني لعدة جلسات من العلاج النفسي التقليدي لسنتين بعد إنهاء كاثرين لعلاجها، يعقوب تمّ دهسه وصدمه بشكل مفاجئ من قبل دراجة نارية في هولاندا في عام 1975، حين كان في أوائل الثلاثينات، كان يتذكر أنّه يطفو فوق جسده وينظر لمشهد الحادثة في الأسفل، ملاحظًا الإسعاف، وحضور الطبيب لعلاج جروحه، وتزايد المتجمهرين للمشاهدة، كان مدركًا لنور ذهبي عن بعد، ومع اقترابه منه، رأى راهبًا مرتديًا لباسًا بُنيًا. أخبره الراهب أنّ وقته لم يحن بعد للمغادرة، وأنّ عليه العودة لجسده، أحسّ يعقوب بحكمة الراهب وقوته، والذي ارتبط بعدة أحداث مستقبلية في حياة يعقوب، والتي وقعت جميعها. يعقوب الذي عاد إلى جسده، كان مستلقيًا على سرير في المستشفى مستعيدًا الوعي، ولأول مرة شاعرًا بالآلام المبرحة.

في عام 1980 وحين سافر يعقوب إلى إسرائيل، لكونه يهوديًا، زار مغارة البطاركة في الخليل، والتي كانت مكانًا مقدسًا لليهود والمسلمين، بعد تجربته في هولندا أصبح أكثر تدينًا، وبات أكثر التزامًا بالصلاة، حينها رأى مسجدًا، على مقربة من المكان، فدخل وصلّى مع المسلمين هناك، بعد برهة قام ليغادر؛ فجاءه رجل مسلم عجوز وقال له: «أنت مختلف عن البقية. هم نادرًا ما يأتون ليصلّوا معنا». توقف الرجل لوهلة ونظر بتمعن في يعقوب قبل أن يقول: «أنت قابلت الراهب، لا تنسَ ما قاله لك!». بعد خمس سنوات من الحادثة وآلاف الأميال البعيدة، ثمّة رجل عجوز قد علم بحكاية الراهب التي حصلت بينما كان يعقوب فاقدًا للوعي.

كنتُ في المكتب متأملاً آخر ما أفصحت عنه كاثرين. ومتسائلاً عمّا يظنّه الآباء المؤسسون حول عدم تساوي الناس عندما يخلقون. فالبعض منا يولدون بمواهب وقدرات، وقوى مستحقة من حيوات سابقة، «ولكنّنا في النهاية سنصل إلى نقطة نكون فيها جميعًا على سويةٍ واحدة»، أشك أن هذه النقطة كانت مُغرقةً بالقدم، ومن عدة حيوات.

لقد فكرت بالشاب موزارت وطفولته المليئة بالموهبة بشكل مذهل؛ هل كانت هذه قدرات سابقة تمّ حملها معه إلى هذه الحياة؟

على ما يبدو أنّنا قد حملنا معنا قدراتٍ، كما حملنا ديونًا. فكرت في كيفية انخراط الناس في مجموعات متجانسة في العادة، متجنبين الغرباء وخائفين. لقد كان هذا جذر التحيز والكراهية الجماعية. «يجب علينا أن نتعلم ألّا نجاري فقط الأشخاص الذين يشبهوننا في الذبذبات أن نساعد هؤلاء الأشخاص». أستطيع أن أشعر بالصدق الروحي في كلماتها.

- «يجب عليَّ العودة»، أكملت كاثرين، «يجب عليَّ العودة، أريد أن أسمع المزيد». فسألتها من كان روبرت جارود الذي كانت قد ذكرت اسمه في الجلسة الأخيرة، وقالت بأنّه يحتاج لمساعدتي؟

- «لا أدري (...) قد يكون في بعد آخر، ليس في هذا البعد»، على ما يبدو لم تستطع إيجاده، «فقط إذا أراد وقرر هو أن يأتي إليّ»، همست قائلة: «سيرسل إليَّ رسالة، بأنّه يحتاج مساعدتك». لازلت لا أدري كيف يمكنني أن أساعده.

- «لا أدري»، أجابت كاثرين، «ولكن أنت من سيتمّ تعليمك وليس أنا».

هذا مثير. هل كانت هذه المعلومات لي؟ أو لأساعد روبرت جارود من خلال تعليمي؟ لم نسمع منه بالمرة.

- «يجب عليَّ العودة»، كررت، «يجب عليَّ الذهاب للنور أولاً»، فجأة أصبحت منتبهة، «أوه، آه؛ لقد ترددتُ طويلاً؛ ولذلك يجب عليَّ الانتظار مجددًا». سألتها عمّا إذا كان هناك شيء يمكننا تعلّمه بينما نحن ننتظر، أو هل يمكن أن تخبريني ماذا يجب علينا أن نعرف؟ فردّت: «إنّهم ليسوا هنا لإخباري».

شيء مثير إذا لم يكن المعلمون متواجدين هناك من أجلها لتنصت، فكاثرين لا تستطيع بشكل مستقل أن تقدم المعرفة.

- «أنا لست مستقرة هنا، أريد الذهاب، حين يجيء الوقت سأذهب، مجددًا مرت دقائق صامتة، أخيرًا حان الوقت، لقد دخلت في حياة أُخرى. «أرى شجر تفاح (...) ومنزلاً، منزلاً أبيض، أنا أعيش في هذا المنزل. التفاح فاسد (...) إنّه مليء بالدود، وليس صالحًا للأكل، هنالك أرجوحة على الشجرة»، طلبت منها أن تنظر لنفسها، «لدي شعر خفيف وأشقر، عمري خمس سنوات، واسمي كاثرين».

فوجئت بها تدخل حياتها الحالية؛ كانت كاثرين في الخامسة من عمرها، ولكن ربما هي هنا لسببٍ ما، هل حدث شيء ما هنا يا كاثرين؟

- «والدي غاضب منا (...) لأنّه ليس من المفترض أن نكون في الخارج، إنّه (...) إنّه يضربني بعصاة. إنّها ثقيلة للغاية، إنّها تؤلم (...) أنا خائفة»، كانت تئن وتتكلم كالأطفال، «لن يتوقف حتى يوجعنا، لماذا يفعل هذا بنا؟ لماذا هو قاسٍ؟».

طلبت منها أن ترى حياتها من منظور أعلى، وأن تجيب بنفسها عن الأسئلة. لقد قرأت مؤخرًا عن أشخاص يقومون بذلك، بعض الكتّاب يطلقون عليه منظور الإنسان الأعلى، أو النفس العليا، كنت فضوليًا لأعرف ما إذا كانت كاثرين تستطيع الوصول لهذه الحالة، إن وجدت، فإذا استطاعت فستكون هذه تقنية علاجية مؤثرة، وطريقًا مختصرًا للمعلومة والفهم.

- «إنّه لا يريدنا مطلقًا»، همست بلطف، «هو يشعر بأنّنا نتطفل على حياته (...) إنّه لا يريدنا».

- «أخوك كذلك؟». سألتها.

- «نعم. أخي بدرجة أكبر، لم يخططوا لإنجابه، لم يكونا متزوجين حين خلق».

هذه أثبتت أنّها معلومة جديدة لكاثرين. لم تكن تعلم بالحمل ما قبل الزواج، أكدّت والدتها لاحقًا دقة ما كشفت عنه كاثرين، على الرغم من أنّ كاثرين كانت تعيد اختبار فترة حياة، فإنّها الآن قد أظهرت حكمة ومنظورًا حول حياتها، التي كانت في السابق مقيدة بالحالة البينية أو الروحية،

يبدو أنّ حالة من الوعي الفائق موجودة في الجزء العلوي بعقلها، ربما هي ما تدعى بـ «النفس العليا» التي وصفها آخرون، بالرغم من أنّها لم تكن متصلة مع المعلمين ومعرفتهم المذهلة، فقد نجحت في حالة من وعيها الفائق، بالحصول على معلومات وإضاءات مهمة، مثل تلك المتعلقة بحمل أخيها. فكاثرين الواعية حين تكون حاضرة، تصبح أكثر قلقًا ومحدودية، ونسبيًّا أكثر بساطة وسطحية، فهي لم تستطع الدخول في هذه الحالة من الوعي الفائق. أتساءل عمّا إذا كان الأنبياء والحكماء من الأديان الشرقية والغربية، أصحاب الإنجازات، قد استطاعوا استغلال حالة الوعي الفائق للحصول على الحكمة والمعرفة!! إذا كان الأمر كذلك، فإننا جميعًا نستطيع القيام بذلك، ويجب علينا جميعًا الحصول هذا الوعي الفائق.

المحلل النفسي كارل يونغ كان واعيًا بالفروقات بين مستويات الوعي. وقد كتب حول اللاوعي الجمعي، وهي حالة تشبه حالة الوعي الفائق لكاثرين.

أصبحتُ أكثر ضجرًا بازدياد الفجوة التي لا يتمّ جسرها بين وعي كاثرين وهي حاضرة الذهن ومستيقظة، وبين حالة التنويم والعقل والوعي الفائق؛ فحين تكون منوّمة تحصل بيننا حوارات فلسفية رائعة على مستوى الوعي الفائق. ولكن حين تستيقظ فإنّها لا تبدي اهتمامًا بالفلسفة، أو بالمواضيع ذات الصلة. كانت تعيش في عالم تفاصيل الحياة اليومية غافلة عن العبقرية التي بداخلها.

في هذه الأثناء كان أبوها يؤلمها، والأسباب تحولت لدلائل، فسألتها عمّا إذا كان ما يزال أمامه الكثير لتعلمه؛ فأجابت مؤكدةً:

- «نعم هو كذلك، لديه العديد من الدروس ليتعلمها». سألتها عمّا إذا كانت على علم بما يجب عليه أن يتعلم؟ فقالت:

- «هذه المعرفة لم تكشف لي»، كانت نبرتها منفصلة وبعيدة، «ما كشف لي هو ما يهمني، وما يعنيني. كلّ شخص عليه أن يهتم بنفسه، أو بنفسها (...) بأن يجعل من نفسه، أو تجعل من نفسها - كاملة، لدينا جميعًا دروس نتعلمها (...) كلٌّ على حدة، يجب علينا تعلم كلّ الدروس (...) بالترتيب، حينها فقط نستطيع أن نتعرف على احتياجاتنا، ماذا يفقد أو تفقد أو ماذا نفقد لنصبح كاملين». تحدثت بهمس خفيف، وهمسها كشف عن شعورها بحبّ الانفصال.

حين تحدثت كاثرين مجددًا، عاد لها الصوت الطفولي: «إنّه يجعلني أمرض! إنّه يرغمني على أكل هذه الأشياء التي لا أريدها، إنّه نوع من الطعام، خسّ، بصل، أشياء أكرهها. إنّه يرغمني على آكلها، وهو يعلم أنني سأمرض. لكنّه لا يكترث!».

بدأت كاثرين تختنق. إنّها تريد هواء، حينها اقترحت عليها مجددًا أن تنظر للأمر من منظور أعلى، وأنّها بحاجة لأن تفهم لماذا يقوم أبوها بهذا التصرف، تحدثت كاثرين بهمس وخشونة:

- «لا بدّ أنّ ذلك يملأ بعض الفراغ داخله، إنّه يكرهني بسبب ما قام به؛ إنّه يكرهني لذلك السبب، وهو يكره نفسه».

لقد نَسيتْ تمامًا حادثة تحرشه الجنسي بها حين كانت في الثالثة من عمرها!!

- «لذلك هو يعاقبني (...) لا بدّ أنّني قد قمت بشيء يدفعه لذلك».

كان عمرها ثلاث سنوات فقط، وكان أبوها ثملاً، ومع ذلك حملت معها هذا الشعور بالذنب داخل أعماقها منذ ذلك الحين. فقمت بشرح ما هو واضح:

- «كنت مجرد طفلة، لا بدّ أن تحرري نفسك من الشعور بالذنب، لم تقومي بأيّ شيء، ماذا يمكن لطفلة في الثالثة أن تفعل؟ لم تكن غلطتك؛ بل غلطة أبوكِ».

- «لا بدّ أنّه كان يكرهني حينها أيضًا»، همست برفق، «أعرفه من قبل، ولكني لا أستطيع الحصول على هذه المعلومات الآن، يجب عليَّ أن أعود لذلك الزمن».

وعلى الرغم من مرور عدة ساعات، إلّا أنّني أردت أن أعود بها إلى علاقتهما السابقة؛ فأعطيتها التوجيهات المفصلة.

- «مع العد العكسي من ثلاثة إلى واحد. ستكونين في حالة عميقة وتكونين بأمان تام. سيكون ذهنك صافيًا للعودة في الزمن، إلى الوقت الذي بدأت فيه علاقتك بوالدك في الحياة الحالية، رجوعًا إلى الزمن الذي أحدث أبلغ الأثر بينكما في طفولتك. حين أقول واحد ستعودين لتلك الحياة وتتذكرينها، هذا أمر مهم لعلاجك، تستطيعين القيام بذلك، ثلاثة (...) اثنان (...) واحد». كان هناك وقفة طويلة.

- «لا أراه (...) ولكنّني أرى أشخاص يُقتَلون!»، أصبح صوتها قويًا وأجشّ، «ليس لدينا الحقّ في إيقاف حياة الناس فجأةً، قبل أن يختبروا كرامتهم، ونحن نقول بذلك، ليس لدينا الحقّ. سيعانون أكثر إذا تركناهم يعيشون. حين يموتون ويذهبون للبعد التالي؛ سيعانون هناك، سيُتركون في وضع غير مستقر، لن يكون لديهم سلام، وسيعودون مجددًا، ولكنّ حياتهم ستكون صعبة للغاية، ويجب عليهم أن يعوضوا الأشخاص الذين آذوهم ولم يكونوا عادلين معهم، إنّهم يوقفون حياة هؤلاء الأشخاص ولا يحقّ لهم ذلك، فقط الله يستطيع أن يعاقبهم ليس نحن. سيعاقبون».

دقيقة صمت مرت.

- «لقد ذهبوا»، همست، «لقد أعطتنا أرواح المعلمين درسًا إضافيًا اليوم - درسًا قويًا وواضحًا، لا نملك الحقّ في قتل أحدٍ، بغض النظر عن الظروف، الله وحده من يملك حق العقاب».

كانت كاثرين مرهقة. قررت أن أؤجل محاولتنا التواصل في الحياة السابقة مع والدها، وأخرجتها من حالة التنويم، لم تتذكر شيئا، باستثناء تقمصها ككريستيان وكاثرين الشابة، كانت متعبة ولكنها مسالمة ومسترخية، كما لو أنّ ثقلاً كبيرًا قد أزيح عن كاهلها، التقت عيناي بعيني كارول. كنّا نحن مرهقَين كذلك، لقد ارتجفنا وتصببنا عرقًا وتشبثنا بكلّ كلمة، لقد تشاركنا تجربة مذهلة.

الفصل السادس

أعيش حياتي هناك

من الآن فصاعدًا سأقوم بجدولة جلسات كاثرين الأسبوعية في نهاية اليوم، لأنّها تستمر لساعات عديدة، كان لا يزال يبدو عليها النظرة المسالمة حين جاءت في الأسبوع التالي، كانت قد تكلمت مع والدها على الهاتف، من دون أن تعطيه أيّة تفاصيل، كانت بطريقتها الخاصة قد سامحته. لم أرها من قبل بهذا الهدوء، تعجبت من سرعة تقدمها، كان من النادر على مريض بهذه الأمراض، والقلق العميق والمخاوف أن يتطور بهذا المستوى الجذري، ولكن بالطبع لم تكن كاثرين مريضة عادية، وكذلك فقد أخذت مسيرة علاجها طابعًا فريدًا.

- «أرى دمية من البورسلين تجلس على وشاح»، لقد دخلت بسرعة في تنويم عميق، «هناك كتب بجانب الموقد على كلا الطرفين، إنّها غرفة داخل منزل ما، هناك شموع بجانب الدمية، ولوحة (...) لوجه، وجه رجل. إنّه هو».

كانت تتفحص الغرفة. سألتها: «ماذا ترين».

- «نوع من الغطاء على الأرضية، إنّه غير واضح، ربما يكون (...) جلد حيوان، نعم (...) نوع من جلد الحيوان كغطاء على الأرضية، إلى اليمين هناك بابان زجاجيان (...) يقودان لشرفة، هناك أربع درجات وأعمدة أمام المنزل، أربع درجات للأسفل. إنّها تقود لطريق. أشجار كبيرة محيطة بالمكان (...) هناك عدد من الأحصنة في الخارج. الأحصنة مربوطة (...) ببعض الأعمدة الموجودة في الأمام».

- «هل تعلمين أين هذا المكان؟». سألتها.

أخذت كاثرين نفسًا عميقًا، «لا أرى اسمًا»، همست، «ولكنّ السنة يجب أن تكون في مكان ما. إنّه القرن الثامن عشر، ولكني لا (...) هناك أشجار وورود صفراء، ورود صفراء جميلة»، كانت مشغولة بهذه الورود، «رائحتهم جميلة؛ رائحتهم حلوة، الورود (...) وورود غريبة، وورود كبيرة (...) وورود صفراء ووسطها أسود».

توقفت وهي مركزة في الورود، تذكرتُ وجود حقلٍ من ورود عباد الشمس في جنوب فرنسا، فسألتها عن طبيعة الجو.

- «إنّه معتدل للغاية ولكن من دون وجود نسائم، إنّه ليس حارًا وليس ببارد».

نحن لم نحرز أيّ تقدم في تحديد المكان. عدت بها إلى المنزل، بعيدًا عن الورود الصفراء الباهرة، وسألتها: «صورة من كانت في أعلى الرف؟».

- «لا أستطيع (...) أستمر بسماع آرون (...) اسمه آرون».

سألتها عمّا إذا كان صاحب المنزل، فقالت: «لا ابنه صاحب المنزل. أنا أعمل هناك».

مجددًا هي تعمل كخادمة، فهي لم تقترب ولو حتى عن بعد من وضع كليوبترا أو نابليون، المتشككون بإعادة التجسّد، بما فيهم ذاتي العلمية المدربة وحتى الشهرين الماضيين، عادة ما يشيرون للتقمصات ذات الذبذبات فوق المتوقعة بالأشخاص المشهورين، والآن أجد نفسي في موقع غير اعتيادي، بحيث تمّ إثبات إعادة التجسّد علميًا في مكتبي في القسم النفسي، وتمّ الكشف عمّا هو أكثر من إعادة التجسّد.

- «قدمي ...»، تابعت كاثرين، «ثقيلة للغاية. إنّها تؤلمني؛ تبدو كما لو أنّها غير موجودة (...) رجلي تؤلمني، لقد رفسني الحصان»، طلبت منها أن تنظر لنفسها، «لدي شعر بني، شعر بني أجعد، عليّ غطاء، نوع من غطاء أبيض (...) فستان أزرق عليه مئزر من دون أكمام (...) مريول. أنا صغيرة، ولكنّي لست طفلة، ولكن رجلي تؤلمني، لقد حدث ذلك للتوّ، إنّها تؤلمني بشكل فظيع»، كانت تتألم بشكل واضح، «الحافر (...) الحافر، لقد ركلني بحافره؛ إنّه حصان حقير للغاية»، بدأ صوتها يصبح ناعمًا مع تراجع الألم أخيرًا، «أستطيع أن أشمّ القشّ، والأعلاف في الحظيرة، هناك أناس آخرون يعملون في منطقة الحظيرة». سألتها عن واجباتها.

- «كنت مسؤولة عن الخدمة (...) الخدمة في المنزل الكبير، كما كان لدي مهمة حلب الأبقار». أردت أن أعرف المزيد عن مالكي المكان.

- «الزوجة ممتلئة الجسم إلى حدّ ما، وهناك ابنتين (...) لا أعرفهما»، أضافت، متوقعة سؤالي التالي عمّا إذا كانتا قد ظهرتا في حياة كاثرين الحالية، سألتها عن عائلتها في القرن الثامن عشر.

- «لا أدري، لا أراهم؛ لا أرى أحدًا معي». سألتها عمّا إذا كانت تعيش هنا؟ «نعم ولكن ليس في المنزل الرئيسي، إنّه صغير جدًا، المنزل الذي أعدّ لنا. هناك دجاجات، نحن نجمع البيض، بيضها بنيّ، بيتي أبيض وصغير جدًا (...) هو عبارة عن غرفة واحدة، أرى رجلاً، أعيش معه، شعره جعد جدًا وعيناه زرقاوان».

سألتها عمّا إذا كانا متزوجين.

- «ليس بمفهومنا للزواج، لا».

- « هل ولدت هناك؟».

- «لا، لقد أُحضِرت إلى المقاطعة حين كنت صغيرة جدًا، عائلتي كانت فقيرة جدًا». لم يكن زميلها مألوفًا، وجهتها أن تمضي قدمًا في الزمن للحدث الهام التالي في حياتها.

- «أرى شيئًا أبيض (...) أبيض مع أشرطة عليه. ربما يكون قبعة، نوع من الغطاء، مع ريش وأشرطة بيضاء».

- «من يلبس القبعة؟».

- «إنّه»، قاطعتني، «عرس إحدى الابنتين، كلّ المقاطعة انضمت للاحتفال». سألتها عمّا إذا كان هناك تغطية ما في الصحف عن العرس، إن وجدت؛ أردتها أن تنظر إلى التاريخ.

- «لا، لا أعتقد أنّهم يملكون جريدة هناك، لا أرى شيئًا كهذا». إنّ التوثيق يبدو صعبًا في هذه الحياة.

- «هل ترين نفسك في العرس؟». سألتها.

أجابت بسرعة بهمس مرتفع: «نحن لسنا في العرس، نحن نستطيع فقط مشاهدة الناس يذهبون ويغادرون، الخدم غير مسموح لهم بالتواجد».

- «بماذا تشعرين؟».

- «بالكراهية».

- «لماذا؟ هل يعاملونك بسوء؟».

- «لأنّنا فقراء»، أجابت برفق، «ومرتبطون بهم، ولأننا نملك القليل بالمقارنة معهم».

- «هل تسنى لك مغادرة المقاطعة؟ أم هل تعيشين حياتك هناك؟».

أجابت بحزن: «أعيش حياتي هناك».

أستطيع أن أشعر بحزنها، كانت حياتها صعبة ويائسة، أخذتها قدمًا ليوم وفاتها.

- «أرى منزلاً. أنا مستلقية على السرير، إنّهم يعطونني مشروبًا دافئًا، له رائحة النعناع، صدري ثقيل للغاية، يصعب عليَّ التنفس، وأعاني ألمًا في صدري وظهري (...) إنّه ألم شديد (...) من الصعب أن أتحدث».

بدا تنفسها سريعًا وسطحيًا ومصحوبًا بألم بالغ، بعد بضع دقائق، ارتاح وجهها واسترخى جسمها وعاد تنفسها طبيعيًا.

- «لقد تركت جسدي»، وبصوت أجشّ عالٍ، قالت: «أرى نورًا جميلاً (...) هناك أشخاص قادمون نحوي، إنّهم قادمون لمساعدتي، أشخاص رائعون؛ إنّهم ليسوا خائفين (...) أشعر بالخفّة ...». كانت هناك وقفة طويلة.

- «هل لديك فكرة عن الحياة التي غادرتِها للتوّ؟».

- «لاحقًا. الآن أشعر بالسلام وحسب، إنّه وقت الراحة، يجب أن يكون المكان مريحًا، الروح وجدت السلام هنا، أنت تترك جميع آلام الجسد وراءك، روحك مسالمة وهادئة، إنّه شعور رائع (...) رائع، كما لو أن الشمس تشرق دومًا عليك. النور رهيب للغاية! كلّ شيء يأتي من النور!

الطاقة تأتي من هذا النور، أرواحنا تذهب إلى هناك مباشرة. إنّها كما يبدو قوة مغناطيسية ننجذب إليها؛ إنّها رائعة، تبدو وكأنّها مصدر طاقة».

تعرف كيف تشفي!! «هل ترين لها لونًا؟».

- «إنّها مكونة من عدة ألوان». توقفت ترتاح عند هذا النور.

- «ماذا تختبرين؟». تجرأت قائلاً.

- «لا شيء (...) فقط السلام. أنت مع أصدقائك، إنّهم هنا جميعًا؟ أرى العديد من الأشخاص، بعضهم مألوف، والبعض الآخر لا، ولكنّهم ينتظرون».

تتابع الانتظار، والدقائق تمرّ ببطء، قررت أن أسرّع العملية: «لدي سؤال أود طرحه».

- «لمن؟». ردت كاثرين.

- «لشخص ما، لك أو للمعلمين»، تملصت، «أعتقد أنّ فهم ذلك يساعدنا، السؤال هو كالتالي: هل نحن نختار وقت وظروف ولادتنا وموتنا؟ هل نستطيع اختيار وضعنا؟ هل نستطيع اختيار وقت وفاتنا مجددًا؟ أعتقد أنّ فهم ذلك سيحلّ عدة مخاوف، هل يوجد أحد ما يمكن أن يجيب على هذا السؤال؟».

بدت الغرفة باردة، حين تحدثت كاثرين مجددًا، كان صوتها أعمق وأكثر صدى. لقد كان صوتًا لم أسمعه من قبل، كان صوت الشاعر: «نعم نحن نختار متى سنأتي للحالة الجسدية ومتى سنغادر، نحن نعلم متى سنحقق ما أرسلنا لتحقيقه هنا، نحن نعلم متى ينتهي وقتنا، وستقبل بموتك. وبالنسبة لك، عليك أن تعلم بأنّك لن تستخرج شيئًا إضافيًا من هذه الحياة، حين تملك الوقت، للراحة وإعادة شحن طاقة روحك، يسمح لك أن تختار إعادة دخولك للحالة الجسدية، أولئك الأشخاص المترددون غير المتأكدين من عودتهم لها هنا، قد يخسرون الفرصة الممنوحة لهم، فرصة تحقيق ما يتوجب عليهم حين يكونون بالحالة الجسدية».

أعلم مباشرة، وعلى نحوٍ أكيد، أنّها ليست كاثرين من كانت تتكلم: «من يتكلم معي، من يتكلم؟».

أجابت كاثرين بطريقتها الرقيقة الهامسة: «لا أعلم، صوت أحد (...) أحد يتحكم بالأمور، ولكنّي لا أعلم من يكون؛ فقط أستطيع أن أسمع صوته وأحاول أن أخبرك بما يقول».

كانت تعلم كذلك أن هذه المعلومات لم تأتِ منها، ليس من اللاوعي ولا من العقل الباطن؛ ولا حتى الذات صاحبة الواعي الفائق، كانت بشكل ما تسمع وتنقل لي الحديث؛ كلمات وأفكار شخص مهم، شخص «يتحكم بالأمور» يبدو أنّ معلمًا جديدًا قد ظهر، يختلف عن الآخرين الذين مرّروا لي الحكم التي تجلّت على لسان كاثرين.

كانت هذه روح جديدة مع صوت مميز وأسلوب شاعري هادئ. كان هذا معلم تحدّث عن الموت من دون أيّ تردد، ومع ذلك فصوته وأفكاره كانت غارقة بالحبّ، حبّ دافئ وحقيقي، وهو مع ذلك منفصل وكوني، كان شعورًا بالنعمة غير متعلق أو عاطفي أو ملزم، لقد ظهر شعور بالحبّ المنفصل اللطيف، وهو يبدو مألوفًا.

ثم زاد صوت همس كاثرين: «ليس لدي إيمان بهؤلاء الأشخاص».

- «عدم إيمان بمن، بالمعلمين؟». سألتُها.

- «لا لدي ضعف بالإيمان؛ لهذا فإنّ حياتي كانت صعبة للغاية، لم يكن لدي إيمان في هذه الحياة».

كانت تقيّم بهدوء حياتها في القرن الثامن عشر، سألتها ماذا تعلمت من تلك الحياة؟

- «تعلمت عن الغضب والاستياء».

- «وعن احتواء مشاعرك تجاه الناس؟».

- «كان عليَّ أن أعرف بأنّني لا أجيد التحكم بحياتي، علمًا بأنّني أردت ذلك، ولكنّني لم أستطع، يجب أن يكون لدي إيمان بالمعلمين، سيرشدونني خلال الطريق، ولكن لم يكن لدي الإيمان (...) شعرت وكأنّه قد حكم عليَّ بالفشل منذ البداية، لم أنظر للأمور بشكل جميل، يجب أن نملك الإيمان (...) يجب أن نملك الإيمان. أما أنا فشككت، اخترت استبدال الشك باليقين». توقفت.

- «الآن ماذا يجب علينا أنا وأنت أن نفعل، لنجعل وضعنا أفضل؟ هل مساراتنا متشابهة؟» سألتها.

فجاءت الإجابة من المعلم الذي تحدّث في الأسبوع الماضي عن القوى الحدسية وعن العودة من الغيبوبة، الصوت والطريقة، كانا مختلفين تمامًا عن كاثرين، وعن المعلم الشاعري الرجل الذي تحدّث للتوّ: «كلّ المسارات متشابهة. لذلك يجب علينا جميعًا أن نتعلّم سلوكياتٍ محددة حين نكون في الحالة الجسدية، بعضنا أسرع في تقبلها من البعض الآخر. عمل الخير والأمل والإيمان والحبّ (...) يجب علينا جميعًا أن نتعلّم هذه الأمور، وأن نتمكن منها، وليس من أمل واحد وإيمان واحد وحبّ واحد، بل هنالك الكثير من الأشياء التي تغذي هذه الأمور، وهناك العديد من الطرق لتطبيقها، ومع ذلك فقد تعرفنا على جزء بسيط من كلّ واحدة منهم (...) الأشخاص ذوو الالتزام الديني هم الأكثر قربًا من أيٍّ منّا، ذلك لأنّهم أخذوا هذه الوعود من العفة والطاعة، لقد تخلّوا عن الكثير، من دون أن يطلبوا شيئا بالمقابل، أمّا البقية منا فقد استمرينا في طلب العوائد والتبريرات لسلوكياتنا، حيث لا توجد عوائد، العوائد التي نريدها هي في العمل، ولكن العمل من دون توقع شيء بالمقابل (...) العمل من دون أنانية». أضافت كاثرين بصوتها الهامس الرقيق: «لم أتعلم هذا».

أمّا أنا فقد كنت مشوشًا للحظة من كلمة «العفة» ولكنّي تذكرت أنّ جذرها يعني «النقاء»، في إشارة لحالة مختلفة عن الإمساك عن الجنس.

- «... من دون مبالغة»، واصلت كاثرين، «أي شيء يحدث للتجاوز أو الزيادة سوف تفهمه، أنت تعي حقًّا».

توقفت مجددًا، فقلت: «أنا أحاول». ثم قررت أن أركّز على كاثرين، فربما لم يغادر المعلمون بعد؛ تساءلت عمّا يمكنني أن أفعله كي أساعدها على تجاوز مخاوفها وقلقها وتعلّم دروسها، وهل هذه أفضل وسيلة، أم عليَّ أن أغيّر شيئًا ما؟ أم هل عليَّ المتابعة في جزء معين؟ كيف يمكن أن أساعدها بأفضل طريقة؟

جاء الجواب من خلال الصوت العميق للمعلم الشاعري، فملت بكرسيي إلى الأمام: «أنت تقوم بالصواب، ولكن هذا من أجلك وليس من أجلها». ثانيةً جاءت الرسالة، أنّ هذا كان لمصلحتي أكثر من كاثرين.

- «من أجلي؟».

- « نعم. ما نقوله هو من أجلك».

لم يكن فقط يشير لكاثرين كطرف ثالث، ولكنه قال «نحن» كان يوجد بالتأكيد أرواح لعدة معلمين حاضرة: «هل أستطيع أن أعرف أسماءهم؟»، سألت، ثمّ جفلت فجأة من الطبيعة الدنيوية لسؤالي، «أحتاج لإرشاد؛ لدي الكثير لأتعلمه».

أمّا الجواب فقد كان قصيدة حبّ، قصيدة عن حياتي ومماتي. كان الصوت رقيقًا وناعمًا، وشعرت بالانفصال المحبّ لروح كونية، استمعت بتعجب!

- «سيتمّ توجيهك في الوقت المناسب؛ سيتم توجيهك (...) في الوقت المناسب، حين تحقق ما يجب عليك تحقيقه، حينها ستنقضي حياتك، وليس قبل ذلك، لديك الكثير من الوقت أمامك».

كنت حينها قلقًا ومسترخيًا في ذات الوقت، ممتنًا لأنّهم لم يكونوا أكثر تحديدًا. أصبحت كاثرين غير مستقرة، وشرعت تتحدث بهمس قليل:

- «أنا أسقط، أسقط (...) أحاول أن أجد حياتي (...) أسقط».

تنفست الصعداء وكذلك فعلت هي، كان المعلمون قد ذهبوا، فكرت بالرسائل الإعجازية والخاصة جدًا وذات المصادر الروحانية للغاية، كانت التبعات غامرة، النور بعد الموت، والحياة بعد الموت، واختيارنا لموعد ولادتنا وموعد موتنا، توجيهات المعلمين الأكيدة والخاطئة، الحيوات التي تحتسب بالدروس التي نتعلمها، والمهام التي نحققها، وليس بالسنوات؛ عمل الخير والأمل والإيمان والحب، العمل من دون توقع العوائد؛ هذه المعرفة كانت من أجلي. ولكن لماذا؟ ما الذي أُرسِلت من أجل تحقيقه هنا؟

الرسائل والأحداث المثيرة المتتالية بالنسبة لي في المكتب عكست تغييرات عميقة في حياتي الشخصية والعائلية، تسلل التغيير تدريجيًا إلى وعيي، فعلى سبيل المثال، كنت أقود السيارة مع ابني متوجهَين لحضور لعبة بيسبول جامعية، حين علقنا في زحمة مرورية، لطالما كنت أتضايق من زحمة المرور، ونحن في هذه المرة سنفوت جولة أو جولتين، ولكنّي كنت واعيًا لضرورة عدم تضايقي، لم أكن أُسقِط اللوم على سائق غير متمرس، كانت عضلات عنقي وكتفيّ مسترخيةً، لم

أنفّس عن تضايقي بنقله لابني، بل أخذنا نقطع الوقت بالحديث سويةً، كنت واعيًا بأنّ ما أريده فقط هو تمضية أمسية جميلة مع جوردان، فنشاهد لعبة يستمتع بها كلانا، كان هدف الأمسية أن نقضي وقتنا سويةً، وإذا ما أبديت استياءً أو غضبًا، فإنّ النتيجة ستفسد كليًّا.

كنت أنظر لأطفالي وزوجتي وأتساءل عمّا إذا كنّا سوية من قبل، هل اخترنا أن نتشارك (...) التجارب والمصائب ومباهج الحياة؟ هل كنّا لا نشيخ؟ شعرت بحبّ عظيمٍ تجاههم، أدركت أنّ أخطاءهم قليلة، هذه أمور ليست في غاية الأهمية، الحبّ موجود هنا، لقد وجدت نفسي أتفحّص أخطائي الخاصة لنفس الأسباب، لم يعد لزامًا عليَّ أكون مثاليًا أو متحكمًا طوال الوقت، لم تعد هناك من ضرورة بالفعل لإبهار أيّ شخص، كنت ممتنًا لقدرتي على مشاركة هذه التجربة مع كارول، كنّا عادة ما نتحدث بعد العشاء لأرتب مشاعري وانفعالاتي في جلسات كاثرين. كارول لديها عقل تحليلي متجذر للغاية، وكانت تعلم مدى حماسي لمواصلة التجربة مع كاثرين بطريقة حذرة وعلمية، فأخذت تلعب دور الشيطان لمساعدتي على تفحّص هذه المعلومات بشكل موضوعي، ومع ظهور الأدلة الملموسة بأنّ كاثرين تكشف عن حقائق عظيمة، تحمّست كارول وشاركتني مخاوفي وابتهاجي.

الفصل السابع
هذا الجسد لك وليس لها

حين جاءت كاثرين لموعدها التالي بعد أسبوع، كنت مستعدًا لتشغيل شريط الأسبوع الماضي الذي يتضمّن ذلك الحوار المثير، وما تخلله من شعر سماوي، بالإضافة لاستدعاء الحياة السابقة، أخبرتها أن لديها معلومات ذات صلة بتجارب الاقتراب من الموت، بالرغم من أنّها لا تمتلك ذاكرة للحالة البينية أو الروحية. لكنّها كانت مترددة في الاستماع. وقالت بأنّها قد تطورت بشكل كبير، وأنّها أكثر سعادة، وليست بحاجةٍ لسماع هذه المادة، ولكنّي مع ذلك، قد أقنعتها بالاستماع. وكان لذلك أثرٌ رائعٌ وجميل ومحفز لمروره عن طريقها، لذلك أردت أن أتشارك المادة معها، فاستمعت إلى همسها الرقيق في الشريط لبضع دقائق، ثم جعلتني أوقفه، وقالت بأنّها كانت غريبة للغاية ما جعلها غير مرتاحة. تذكرتُ بصمت «أنّ هذا لك وليس لها».

تساءلت كم يجب لهذه الجلسات أن تستمر، فكاثرين تتحسن كلّ أسبوع، ولم يتبقَ الآن سوى تموجات قليلة في بركتها المضطربة، كانت لا تزال تخاف من الأماكن المغلقة، والعلاقة مع ستيوارت كانت لا تزال متباعدة، فيما عدا ذلك فقد كان تحسنها ملفتًا، لم يكن لدينا جلسة نفسية تقليدية لشهور، إذ لم تعد ضروريةً، كنا نتحادث لدقائق حول أحداث الأسبوع، ثم ننتقل بسرعة إلى التنويم بالرجوع في الزمن، سواء أكان ذلك بسبب ذكريات حقيقية لصدمات رئيسية، أم بسبب صدمات يومية صغيرة أو عملية تحرير للتجارب، فإن كاثرين كانت قد تعافت. كانت مخاوفها ونوبات الهلع قد تلاشت، ولم يعد لديها خوف من الموت، لم تعد تخشى من فقدان السيطرة. إنَّ أطباء النفس اليوم يستخدمون جرعات عالية من المهدئات والأدوية المضادة للاكتئاب لعلاج الناس الذين لديهم أعراض كاثرين، بالإضافة للأدوية فإنّ المرضى يحضرون عادة علاجًا نفسيًا مكثفًا أو

جلسات علاج مجموعة الفوبيا. العديد من أطباء النفس يعتقدون بأنّ أعراضًا كالتي عند كاثرين هي ذات أساس بيولوجي، بحيث أنّ هناك خللاً في واحد أو في مجموعةٍ من كيميائيات الدماغ.

مع تنويمي لكاثرين لدرجة عميقة، فكرت كيف كانت مؤثرة ورائعة خلال فترة من الأسابيع، ومن دون استخدام الأدوية أو العلاج التقليدي أو علاج المجموعات، كانت قد شفيت تقريبًا، لم يكن ذلك عبارة عن كبت الأعراض أو الضغط على الأسنان والتعايش معها، أو احتمال حياة تتعذب بالمخاوف، كان ذلك علاجًا، واختفاءً للأعراض. وها هي كاثرين مشرقة وهادئة وسعيدة أكثر من المتوقع.

عاد صوتها هامسًا برقة: «أنا داخل مبنىً، شيء مع سقف على شكل قبة، السقف أزرق وذهبي، هناك أشخاص آخرون معي، إنّهم يلبسون (...) لباسًا (...) قديمًا، قديم للغاية ومتسخ، لا أدري كيف وصلنا إلى هنا، هناك العديد من الأشياء في الغرفة، هناك أيضًا بعض القطع، بعض القطع مصمودة على هيكل حجري. هناك رمز ذهبي كبير في نهاية الغرفة، إنّه يبدو (...) كبيرًا للغاية، ذو أجنحة وشرير للغاية، إنّ الغرفة حارة جدًا، حارة جدًا (...) إنّها حارة، فلا فتحات فيها، يجب علينا أن نبقى بعيدين عن القرية، هناك شيء ما أصابنا».

- «هل أنت مريضة؟».

- «نعم كلّنا مرضى، لا أدري ما الذي جرى لنا، ولكن جلدنا يموت، إنّه يصبح أسودًا للغاية، أشعر بالبرد الشديد. الهواء جافٌ وعفنٌ جدًا، ولا نستطيع العودة للقرية يجب أن نبقى في الخارج، بعض الوجوه مشوهة».بهذا المرض يبدو فظيعًا كأنّه الجذام، قد يكون لديها حياة باهرة لمرة واحدة، ولكننا لم نعثر عليها بعد.

- «كم يجب عليك البقاء هناك؟».

- «للأبد»، أجابت بقسوة، «حتى نموت، ليس هناك من علاج لذلك».

- «هل تعلمين اسم المرض؟ أو ماذا يسمى؟».

- «لا، الجلد يجف للغاية ثم يتلاشى، كنت هناك لسنوات، هناك آخرون وصلوا لتوهم؛ ليس هنالك من طريق للعودة؛ نحن جُمعنا هنا لنموت»، لقد عانت من رداءة إقامتها، فهي تعيش في

كهف، «يجب علينا أن نصطاد لنحصل على الطعام، أرى نوعًا من الوحوش البريّة ونحن نتعقبه (...) إنّه بني وذو قرون، قرون كبيرة».

- «هل هناك من يزوركم؟».

- «لا، لا يمكنهم الاقتراب، خشية أن يطالهم الشر، الذي أصابتنا لعنته لأذىً كنا قد تسببنا به، وهذه عقوبتنا».

كانت الرمال اللاهوتية تتقلب باستمرار في الساعة الرملية لحياتها، فقط بعد الموت، في الحالة الروحية كان هناك ترحيب وطمأنة باستمرار.

- «هل تعلمين في أي سنة أنت؟».

- «لقد فقدنا إحساسنا بالزمن، نحن مرضى ننتظر الموت فقط».

- «ألا يوجد أمل؟». شعرت بيأس معدٍ.

- «لا يوجد أمل، سنموت، وهناك الكثير من الألم في يدي، كلّ جسدي ضعيف وأنا مسنّة، ومن الصعب عليَّ الانتقال».

- «ماذا يحدث حين لا تستطيعين الحركة بعد الآن؟».

- «نُنقل إلى كهف آخر ونترك هناك لنموت».

- «ماذا يفعلون بالأموات؟».

- «يغلقون مدخل الكهف بإحكام».

- «هل يقفلون الكهف قبل أن يموت الشخص؟». كنت أبحث عن دليل لخوفها من الأماكن المغلقة.

- «لا أدري، لم أتواجد هناك مطلقًا، أنا في غرفة مع أشخاص آخرين؛ الجو حار للغاية، أجلس مقابل الجدار مستلقية هناك فقط».

- «ما هو الغرض من الغرفة؟».

- «إنّها للعبادة (...) هناك العديد من الآلهة، الجو لا يطاق»، أخذتها قدمًا في الوقت، «أرى شيئًا أبيض، أرى شيئًا أبيض، كأنّه مظلة، إنّهم ينقلون أحدهم».

- «هل هو أنت؟».

- «لا أدري، سأرحب بالموت، جسدي يتألّم للغاية».

كانت شفاه كاثرين تظهر الألم، وكانت تلهث من حرارة الكهف، أخذتها ليوم وفاتها، كانت لا تزال تلهث، فسألتها: «هل يصعب عليك التنفس؟».

- «نعم (...) الجو هنا مظلمٌ وشديد الحرارة (...) ولا أستطيع الرؤية أو الحركة».

كانت تموت، مشلولة ووحيدة، في كهف حار ومظلم، كان مدخل الكهف قد أغلق؛ كانت خائفة، وبوضعٍ مزرٍ، وتنفسها يزداد سرعة وعشوائية، ها قد ماتت برحمة أنهت هذه الحياة المكروبة.

- «أشعر بخفة شديدة (...) وكأنني أطفو. المكان ساطع هنا (...) إنه رائع!».

- «هل تتألمين الآن؟».

- «لا»، توقفت منتظرةً المعلمين، ثم قالت بعد القيام بحركةٍ واسعة: «أنا أسقط بسرعة فائقة، أنا أعود لجسد آخر!»، كانت متفاجئة مثلي، «أرى مبانٍ، مبانٍ ذات أعمدة مستديرة، هناك العديد من الأبنية، نحن في الخارج؛ وهناك أشجار - أشجار زيتون - في المحيط، إنّها جميلة، نحن نشاهد شيئًا... يرتدي الناس أقنعة مضحكة، يغطون بها وجوههم، إنّه نوع من المهرجانات، إنّهم يلبسون أرديةً طويلة، وعليهم أقنعة تغطي وجوههم، إنّهم يظهرون ما يخالف حقيقتهم، وهم على منصة (...) تعلو مكان جلوسنا».

- «هل تشاهدون عرضًا؟».

- «نعم».

- «ماذا يبدو؟ انظري لنفسك».

- «لدي شعر بني مجدول».

توقفت. إنّ وصفها لنفسها وحضور شجر الزيتون ذكرني بشخصية كاثرين اليونانية قبل ألف وخمسمئة سنة قبل الميلاد، حين كنت معلمها ديوجينز (الفيلسوف اليوناني) قررت التأكّد بسؤالها: «هل تعرفين التاريخ؟».

- «لا».

- «أيوجد معك أشخاص تعرفينهم؟».

- «نعم زوجي يجلس بجواري، لا أعرفه (في حياتها الحالية)».

- «هل لديك أطفال؟».

- «أنا مع طفل الآن». كان اختياراتها للكلمات مثيرة وقديمة نوعًا ما، كما أنّها ليست مطابقة لنمط كاثرين.

- «هل أبوك هناك؟».

- «لا، لا أراه، وأنت موجود هناك في مكان ما (...) ولكن ليس معي!».

فقلت لها: «إذا كنت مصيبًا، لقد كنا قبل خمس وثلاثين قرنًا، فماذا كنت أفعل هناك؟».

- «أنت تشاهد فقط، ولكنك تدرس أيضًا، أنت تدرس (...) لقد تعلمنا منك (...) المربعات والدوائر وأشياء مضحكة. أنت ديوجينز هناك».

- «ثمّ ماذا؟ ماذا تعرفين عني أيضًا؟».

- «أنت مسنّ ونحن أقرباء بطريقةٍ ما (...) فأنت شقيق والدتي. أعرف زوجتك (...) وأطفالك، لديك أولاد، اثنان منهما أكبر مني، أمي متوفية، ماتت وهي شابة».

- «هل رباك أبوك؟».

- «نعم ولكنني متزوجة الآن».

- «هل تنتظرين طفلاً؟».

- «نعم، أخشى ذلك؛ لا أريد أن يموت الطفل أثناء عملية الولادة».

- «هل هذا ما حدث لوالدتك؟».

- «نعم».

- «وهل تخشين من تكرار ذلك معك؟».

- «إنّه يحدث كثيرًا».

- «هل هذا طفلك الأول؟».

- «نعم، أنا مذعورة؛ أظنّ أنّ الولادة قريبة، جسمي صار كبيرًا، ولم أعد أستطيع الحركة (...) الجو بارد»، لقد تقدمت بنفسها في الزمن، «الطفل على وشك الولادة». كاثرين لم يكن لديها طفل من قبل، وأنا لم أولّد امرأةً منذ أربع عشرة سنة.

سألتها: «أين أنت؟».

- «أنا مستلقية على صخرة، والجو بارد للغاية وأنا أتألم (...) يجب على أحد أن يساعدني، يجب على أحد أن يساعدني».

أخبرتها أن تتنفس بعمق، وأنّ الطفل سيولد من دون ألم، كانت تلهث وتئن في نفس الوقت، استمر الأمر عدة دقائق مؤلمة، ثم ولد طفلها. كانت طفلة.

- «هل تشعرين بتحسن الآن؟».

- «أنا ضعيفة للغاية (...) هناك الكثير من الدماء!».

- «هل تعلمين ماذا ستسمينها؟».

- «لا أنا متعبة للغاية (...) أريد طفلتي».

- «طفلتك هنا». أخبرتها بأنّها أنجبت طفلة صغيرة.

طلبت منها أن تأخذ غفوة صغيرة لتصحو وهي نشيطة، بعد دقيقة أو اثنتين، أيقظتها من الغفوة.

- «هل تشعرين بتحسن الآن؟».

- «نعم (...) أرى حيوانات، إنّهم يحمّلون شيئًا على ظهورها، هناك سلال عليها، هناك الكثير من الأشياء في السلال (...) طعام (...) بعض الفواكه...».

- «هل هي أرض جميلة؟».

- «نعم وفيها الكثير من الطعام».

- «هل تعلمين اسم هذه الأرض؟ ماذا تسمونها حين يسأل غريب عن اسم القرية؟».

- «كاثرينا (...) كاثرينا».

- «تبدو كقرية يونانية». أضفت.

- «لا أعلم، هل تعلم ذلك؟ لقد كنتَ بعيدًا عن القرية وعدتَ، أمّا أنا فلم أعد».

بما أنني في تلك الحياة، كنت خالها، وأكبر منها وأكثر حكمة، فقد كانت تسألني إنّ كنت أعرف الإجابة على سؤالي الخاص؛ لسوء الحظ لم يكن لدي إحاطة بهذه المعلومة!

- «هل عشتِ كلّ حياتك في القرية؟». سألتها.

- « نعم»، همست، «ولكنّك تسافر، لتعرف ما تدرس، أنت تسافر لتتعلم، لتعرف عن الأرض (...) طرق التجارة المختلفة بحيث تستطيع رسمها على خرائط (...) أنت مسن، أنت تعمل مع شباب لأنّك تعرف الرسوم البيانية، أنت حكيم للغاية».

- «أي رسوم تعنين؟ رسوم النجوم؟».

- «أنت تفهم الرموز، أنت تستطيع مساعدتهم لعمل خرائط».

- «هل تعرفت على أشخاص آخرين من القرية؟».

- «لا أعرفهم (...) ولكنّي أعرفك».

- «حسنًا، كيف هي علاقتنا؟».

- «علاقة متينةٌ جدًا، أنت لطيف جدًا، وما أحبّه حقًّا هو الجلوس بجوارك، إنّه أمر مريح (...) لقد ساعدتنا، وساعدت أخواتي».

- «سيأتي وقت أتركك فيه فأنا رجلٌ مسنّ».

- «لاا». لم تكن جاهزة بعد للتعامل مع موتي، «أرى خبزًا، خبز مسطح ورفيع».

- «هل يأكل الناس الخبز؟».

- «نعم أنا وأبي وزوجي وأشخاص آخرون في القرية».

- «ماهي المناسبة؟».

- «إنّه نوع من الاحتفال».

- «هل والدك هناك؟».

- «نعم».

- «وطفلتك؟».

- «نعم، ولكنّها ليست معي، إنّها مع أختي».

فاقترحت عليها، لأرى إن كانت قد تعرّفت على شخص مهم في حياتها الحالية: «انظري عن كثب إلى أختك».

- «نعم (...) لا أعرفها».

- «هل تعرفت على أبيك؟».

- « نعم (...) نعم (...) إنّه إدوارد، هناك تين، تين وزيتون وأغنام؛ إنّهم يشوون خروفًا»، هناك وقفة طويلة، «أرى شيئًا أبيض ...»، لقد تقدمت بنفسها في الزمن، «إنّه أبيض (...) صندوق مربع، إنّه ما يضعون فيه الناس حين يموتون».

- «هل مات أحد ما؟».

- «نعم، إنّه أبي، لا أحبّ أن أنظر إليه، لا أريد أن أراه».

- «هل يجب أن تنظري؟».

- «نعم، سيأخذونه إلى المقبرة، أشعر بالحزن».

- «نعم أعلم، كم طفلاً لديك؟» شخصيتي المسؤولة لم تدع لها مجالاً لتحزن.

- «لدي ثلاثة، ولدان وبنت»، بعدما أجابتني بإخلاص، عادت لحزنها، «لقد وضعوا جثمانه تحت غطاء...»، كانت تبدو حزينة للغاية.

- «هل متُّ أنا أيضًا؟».

- «لا نحن نشرب بعضًا من عصير العنب في أكواب».

- «إذًا كيف أبدو الآن؟».

- «أنت مسنٌّ جدًا جدًا».

- «هل تشعرين بتحسن؟».

- «لا حين تموت سأصبح وحيدة».

- «هل عشت فترة أطول من أطفالك؟ سيعتنون هم بك».

- «ولكنك تعرف الكثير». بدت كطفلة صغيرة.

- «ستحصلين على تلك العناية، أنت تعلمين هذا، ستكونين بأمان»، أكدّت عليها، فبدا أنّها تسترخي بسلام، «أأنت أكثر سلامًا؟ أين أنت الآن؟».

- «لا أدري».

يبدو بأنّها قد انتقلت نحو الحالة الروحية، بالرغم من أنّها لم تختبر وفاتها في تلك الحياة، في هذا الأسبوع مررنا خلال حياتين بتفصيل معقول، انتظرت المعلمين، ولكن كاثرين استمرت في الاستراحة، بعد بضع دقائق، سألتها عمّا إذا كان من الممكن أن تتحدث لأرواح المعلمين، فأجابت:

- «لم أصل إلى هذا البعد، لا أستطيع أن أتحدث حتى أصل إلى الحالة». لم تصل إلى هذه الحالة، بعد انتظار طويل أيقظتها من التنويم.

الفصل الثامن
كل شيء يتجلى في أوانه

ثلاثة أسابيع مضت قبل جلستنا التالية، خلال إجازتي، وأنا مستلقٍ على شاطئ استوائي، كان لدي الوقت والمساحة للتأمل في ما رشح عن كاثرين؛ العودة بالتنويم لحيوات سابقة مع مشاهدات مفصّلة، وشرح عن أشياء وعمليات وحقائق - والتي لم تكن على علم بها في حياتها العادية - تحسن في أعراضها من خلال العودة للحيوات السابقة، تحسنٌ لم يتحقق فقط عن بعد من خلال الطبّ النفسي التقليدي، خلال أول ثمانية عشر شهرًا من العلاج، الكشوفات الدقيقة بشكل يقشعر له البدن من مرحلة ما بعد الموت، والحالة الروحية ونقل معلوماتٍ لم تكن على علم بها، شعر روحاني ودروس عن أبعاد ما بعد الموت وعن الحياة والموت، الولادة وإعادة الولادة، من أرواح المعلمين الذين تحدثوا بالحكمة وبطريقة أبعد من قدرات كاثرين. كان هناك الكثير للتأمل بالتأكيد، خلال سنوات عالجت المئات، وربما الآلاف من المرضى النفسيين الذين عكسوا كامل طيف الاضطرابات العاطفية، لقد وجّهت وحدات المرضى الداخليين في أربع كليات طبّ رئيسة، أمضيت سنوات في غرف الطوارئ النفسية والعيادات الخارجية، والعديد من الترتيبات الأُخرى، أقيّم وأعالج المرضى الخارجيين، أعرف كلّ شيء عن السمع والهلوسة البصرية وأوهام الفصام، لقد عالجت العديد من المرضى على حدود أمراض الاضطرابات الشخصية الهستيرية، بما في ذلك الانقسام أو الشخصيات المتعددة، كنت في وظيفة معلّم في مجال إدمان المخدرات والكحول، بتمويل من المؤسسة الوطنية للإدمان على المخدرات، وكان من المألوف لديَّ سلسلة تأثيرات المخدرات على الدماغ.

لم يكن لدى كاثرين أيًّا من تلك الأعراض. ما حدث لم يكن عبارة عن مرض نفسي؛ لم تكن كاثرين مريضة نفسية، وليست منفصلة عن الواقع، ولم تعانِ قط من هلوسة - مشاهدة أو سماع

أشياء ليست موجودة - أو أوهام - اعتقادات خاطئة - لم تجرب المخدرات، وليس لديها اعتلالات اجتماعية. لم يكن لديها شخصية هستيرية، ولم يكن لديها ميول نحو العزلة. لقد كانت واعية بشكل عام بما تعمل وتفكر، حيث لم تكن منقسمة على نفسها أو لديها شخصيات متعددة.

كانت الأمور التي تكشف عنها عادة وراء قدراتها الواعية، سواء من حيث الطريقة أو المحتوى. بعضها كان نفسيًا، مثل الإشارة إلى أحداث محددة وحقائق من الماضي الخاص بي - كمعرفة أبي وابني - بالإضافة إلى المعرفة عنه، كان لديها معرفة لم يكن لها إحاطة بها من قبل، أو في حياتها الحاضرة. هذه المعرفة، بالإضافة إلى عموم التجربة، كانت غريبة عن ثقافتها وتربيتها وتعاكس الكثير من اعتقاداتها.

إنّ كاثرين شخصية بسيطة نوعًا ما وأمينة، هي ليست باحثة، ولم يكن بوسعها أن تخترع الوقائع والتفاصيل والأحداث التاريخية والشعر الذي نقل عن طريقها. وأنا كطبيب نفسي وعالم، كنت متأكدًا من أن الأمور التي كُشفت من عقلها الباطن، كانت حقيقية من دون أدنى شكّ. وحتى لو كانت كاثرين ممثلة بارعة، فإنّه ليس بوسعها أن تعيد اختراع هذه الأمور. المعرفة كانت دقيقة ومحددة للغاية، وأبعد من إمكاناتها.

تأملت في الغرض العلاجي لاستكشاف حيوات كاثرين السابقة. حالما نتعثر بكشف جديد، فإن تحسنها يتطور بشكل جذري، ومن دون أي دواء؛ هناك قوة علاجية في هذا العالم، قوة أكبر وأكثر فعالية من العلاج التقليدي بالأدوية الحديثة. هذه القوة لا تتضمن فقط استذكار واستعادة وإحياء لحظات وأحداث الصدمة، بل وحتى الإساءة اليومية المرتبطة بأجسادنا وعقولنا والأنا الخاصة بنا، في أسئلتي، وأثناء مرورنا على الحيوات، كنت أبحث عن أنماط لتلك الإساءات، مثل الاستغلال العاطفي أو الجسدي، الفقر والجوع والمرض والإعاقة والاضطهاد المستمر والتحامل، الفشل المتكرر ... إلخ. كما كنت أراقب المآسي الفائقة، مثل الصدمة وتجربة الموت أو الاغتصاب أو الكارثة الجماعية أو أي شيء آخر من أحداث مروعة، وما قد يترك بصمة دائمة.

كانت التقنية مشابهة لمراجعة وضع الطفولة خلال علاج تقليدي، باستثناء أنّ الإطار الزمني كان آلاف السنوات بدلاً من عشر سنواتٍ أو خمس عشرة سنة، لذلك فإن أسئلتي كانت مباشرة وأكثر توجيهًا من العلاج التقليدي، ولكن نجاح استكشافنا كان غير عاديّ، فكاثرين - وغيرها ممن كنت سأعالجهم لاحقًا بالعودة بالزمن من خلال التنويم - قد تمّ علاجها بسرعة فائقة، ولكن هل كان

هناك تفسيرات أُخرى لذكريات كاثرين من الحيوات السابقة؟ هل من الممكن لذكرياتها أن تنقل من خلال الجينات؟ هذه الفرضية مستبعدةٌ علميًا، فالذاكرة الوراثية تتطلّب مرورًا غير متقطع للمواد الوراثية من جيل إلى آخر، وكاثرين عاشت في مختلف أرجاء الأرض، ومسارها الجيني قد تمّ قطعه مرارًا، حيث كانت تموت بطوفان مع أولادها أو من دونهم، وقد تموت شابة، كانت جيناتها تنقطع ولا تنتقل، وفي حالة نجاتها بعد الموت والحالة البينية، فلن يكون هناك بالتأكيد مواد جينية، ومع ذلك فقد استمرت ذكرياتها، لا يجب أن يتمّ إنكار التفسير الجيني.

ماذا عن فكرة يونغ حول الوعي الجمعي؛ خزان الذاكرة والتجربة البشرية، والتي يمكن الوصول إليها بشكل ما؟ بعض الثقافات تحتوي رموزًا مشابهة، حتى في الأحلام، بحسب يونغ، فإنّ الوعي الجمعي لم يتمّ الحصول عليه بشكل شخصي، ولكن تمّت «وراثته» بشكل ما من خلال تصميم الدماغ. فهو يحوي المحفزات والصور التي تزهر في كلّ ثقافة، من دون الاعتماد على التقليد التاريخي أو الانتشار، أعتقد أن ذكريات كاثرين كانت محددة للغاية، بحيث لا يمكن وصفها بمفهوم يونغ. فهي لم تكشف عن رموز أو صور وحوافز كونية. وإنّما كشفت عن وصف تفصيلي لأشخاص وأماكن محددة، إنّ فكرة يونغ بدت غامضة للغاية، وقد كانت هناك حالة بينية ينبغي أيضًا أخذها بالحسبان؛ ومن بين كلّ هذه الاحتمالات فإنّ إعادة التجسّد كانت الأكثر منطقية.

لم تكن معرفة كاثرين تفصيلية ومحددة فحسب، ولكنّها كانت أبعد من قدراتها الواعية، علمت أشياء لم يكن بالإمكان استخراجها من كتاب ثمّ نسيانها مؤقتًا، ولم يكن بإمكانها تحصيل معرفتها أثناء الطفولة أو كبتها أو حجبها عن الوعي، ثمّ ماذا عن المعلمين ورسائلهم؟ لقد نُقلت عبر كاثرين وليس منها، لقد انعكست حكمتهم على ذكريات كاثرين عن حيواتها.

أُعلن أنّ هذه المعلومات والرسائل صحيحة، وأنّ هذه لم تكن فقط دراسة متأنية للأشخاص وعقولهم وأذهانهم وشخصياتهم، لقد عرفت هذا بشكل حدسي حتى قبل زيارة أبي وابني. وأؤكد ومن خلال تدريبي العلمي الحذر لسنوات بأنّ عقلي وجسدي قد علما بهذا أيضًا.

- «أرى أوانيًا بها نوع من الزيت»، بالرغم من توقفنا لمدة ثلاثة أسابيع، فإنّ كاثرين دخلت بسرعة في تنويم عميق. كانت قد دخلت بجسد آخر وفي زمنٍ آخر.

- «هناك زيوت مختلفة في الأواني، يبدو كمستودع أو مكان لتخزين الأغراض، الأواني حمراء (...) مصنوعة من التراب الأحمر، تتلون أعلاها بخطوط زرقاء، أرى هناك رجال (...) هناك رجال في الكهف، إنّهم يحركون الجرار والأواني ويرتبونها في مكان معين. إنّهم حليقو الرؤوس تمامًا، ذوو بشرة بنية اللون».

- «هل أنت هناك؟».

- «نعم، أنا (...) أنا أغلق بعض الجرار بنوع من الشمع (...) أغلق أعلى الجرار بالشمع».

- «هل تعلمين لماذا تستخدم هذه الزيوت؟».

- «لا أعلم».

- «هل ترين نفسك؟ انظري لنفسك، أخبريني كيف تبدين؟».

توقفت بينما تراقب نفسها، «لدي جديلة، شعري مضفور على شكل جديلة، أرتدي نوعًا من الملابس الطويلة ذات حواف ذهبية حول الأطراف».

- «هل تعملين عند هؤلاء الكهنة ـ أو الرجال ـ حليقي الرؤوس؟».

- «إنّ مهمتي هي إغلاق الجرار بالشمع، هذه هي وظيفتي».

- «ولكن ألا تعلمين لم تستخدم هذه الجرار؟».

«يبدو بأنّها تستخدم بنوع من الطقوس الدينية، ولكنني لست قـ (...) ـادرةً على تحديدها، هناك بعض الدهن، شيء ما على الرؤوس (...) شيء على رأسك ويديك».

- «يديك!».

- «أرى طائرًا، طائرًا ذهبيًا حول رقبتي. إنّه مسطح، له ذيل مسطح، ذيل مسطح للغاية، ورأس يشير نحو الأسفل (...) إلى قدمي!».

- «إلى قدميك؟».

- «نعم، هذه هي الطريقة التي يجب أن تلبس بها، وهناك (...) مادة لزجة سوداء؛ لا أعلم ما هي».

- «أين هي؟».

- «إنّها في حاوية من الرخام، إنّهم يستخدمون ذلك أيضًا، ولكنّني لا أعرف لماذا».

- «هل هناك شيء في الكهف يمكنك قراءته بحيث تخبريني اسم الدولة، أو المكان أو التاريخ، حيث تعيشين؟».

- «لا يوجد شيء على الجدران، إنّها فارغة، لا أعرف الاسم»، أخذتها قدمًا في الزمن، «هناك جرّة بيضاء، نوع من الجرار البيضاء، ذات يد ذهبيّةٍ في الأعلى، مرصعة بالذهب».

- «ماذا يوجد بداخل الجرة؟».

- «نوع من المراهم، إنّه متعلق بالانتقال إلى العالم الآخر».

- «هل أنت الشخص الذي ينتقل الآن؟».

- «لا بل شخصًا لا أعرفه».

- «هل هذه وظيفتك؟ أنت تحضرين الناس لذلك الانتقال؟».

- «لا، الكاهن هو من يقوم بذلك، لست أنا، نحن فقط نوفر كميات كافية من المراهم والبخور».

- «كم يبدو عمرك الآن؟».

- «ستة عشر».

- «هل تعيشين مع أهلك؟».

- «نعم في منزل حجري، مسكن من الحجارة، إنّه ليس كبيرًا للغاية، إنّه حارّ وجاف. الجو حارّ جدًا».

- «اذهبي لمنزلك».

- «أنا هناك».

- «هل ترين أحدًا في الجوار من عائلتك؟».

- «أرى أخي وأمي هناك، وطفل أحدهم».

- «هل هو طفلك؟».

- «لا».

- «ما هو الشيء المهم الآن؟ اذهبي لحدث هام يفسر أعراضك في هذه الحياة؛ يجب أن نفهم. التجربة آمنة، اذهبي للأحداث».

أجابت هامسةً وبلطف: «لكلّ شيءٍ أوان (...) أرى أناسًا يموتون».

- «أناسٌ يموتون؟».

- «نعم، لا أعرف ما السبب».

- «أهو مرض؟». فجأة بدا لي بأنّها تدخل مجددًا إلى حياة قديمة اختبرتها قبلاً، في تلك الحياة قتل الطاعون الذي ينتقل بالماء والد كاثرين وأحد أشقائها، وقد أصيبت هي أيضًا بالمرض، ولكنّها لم تمت بسببه، استخدم الناس الثوم وغيره من النباتات في محاولة منهم لدرء الطاعون، كانت كاثرين منزعجة لأنّ القتلى لم يعد يجري تحنيطهم بشكل صحيح. ولكنّنا الآن نتعامل مع هذه الحياة من زاوية مختلفة.

- «هل الأمر متعلق بالماء؟». سألتها.

- «إنّهم يعتقدون ذلك، الكثير من الناس يموتون».

أنا أعلم النهاية مسبقًا، «ولكنك لم تموتي بسبب الطاعون؟».

- «لا لم أمت».

- «ولكنك تمرضين».

- «نعم (...) أشعر ببردٍ شديد، وأحتاج إلى الماء (...) ماء، إنّهم يعتقدون أنّ الماء هو مصدر المرض (...) وشيء أسود (...) أحدهم يموت».

- «من يموت؟».

- «والدي يموت، وأحد أشقائي كذلك. أمي بخير، إنّها تتعافى، لكنّها ضعيفة جدًا، يجب أن يدفنوا الناس، يجب أن يدفنوهم، الناس مستاؤون بسبب تجاهل الممارسات الدينية».

- «ماهي تلك الممارسات؟». تعجبت من دقّة تذكّرها لحقيقة تلو الأُخرى، ومع أنّها تذكرت تلك الحياة منذ بضعة أشهر، لكنّها استاءت مجددًا من إهمال عادات الدفن المعتادة.

- «كان الأشخاص يوضعون بكهوف، ويجري ترك أجسادهم هناك، ولكن أولاً يجب تجهيز الأجساد من قبل الكاهن. يجب لفّهم ودهنهم، كانوا يُتركون بالكهوف، ولكن الأرض تغصّ بهم (...) إنّهم يقولون أنّ الماء سيء، وأنّ علينا ألّا نشربه».

- «هل هناك طريقة لمعالجته؟ هل نجحت طريقة ما؟».

- «لقد زودونا ببعض الأعشاب، أعشاب مختلفة الرائحة (...) أستنشق الأعشاب، أستطيع شمّها!».

- «هل تعرفت على الرائحة؟».

- «إنّها بيضاء يعلقونها من السقف».

- «هل هي مثل الثوم؟».

- «إنّها تشبهه (...) خصائصها شبيهة به، نعم تضعها على فمك وأذنيك وعلى أنفك وفي كلّ مكان، الرائحة قوية، يعتقدون بأنّها تصدّ الأرواح الشريرة، وتمنعها من دخول جسدك؛ فاكهة بنفسجية شيء دائري بقشرةٍ بنفسجية».

- «هل تعرفت على الثقافة التي أنت فيها؟ هل تبدو مألوفة؟».

- «لا أدري».

- «هل هذه البنفسجية نوع من الفاكهة؟».

- «إنّها التانس».

- «هل هذا يساعدك؟ هل يخفف من المرض؟».

- «كانت كذلك في ذلك الزمن».

- «تانس»، كررت الكلمة في محاولة لمعرفة ما إذا كان ما تقصده هو الطنطاليك أو حمض التانيك، «هل هذا ما يسموه؟ تانس».

- «استمر بسماع (...) تانس».

- «ما الذي يوجد في هذا العمر وما زال مخبوءًا في حياتك الحالية؟ لماذا تستمرين بالعودة إلى هنا؟ ما هو الشيء غير المريح؟».

- «الدين»، همست كاثرين، «الدين في ذلك الوقت، كان دين خوف (...) خوف؛ كان هناك الكثير من الأشياء للخوف منها (...) والكثير من الآلهة. أرى عيونًا، أرى بنات آوى وأسود، أنّها عند التمثال. إنه حارس (...) أرى امرأة، آلهة مغطاة الرأس».

- «هل تعرفين اسم هذه الآلهة؟».

- «أسيريس (...) سيراس (...) شيء من هذا القبيل، أرى عين (...) عين فقط، عين على سلسلة، إنّها ذهبية».

- «عين؟».

- «هاثور!».

- من هذا!».

لم أسمع بهاثور من قبل، على الرغم من معرفتي بأوسيريس، إذا كانت التهجئة صحيحة، كان أخو زوج آيسيس، معبود رئيسي في مصر، وقد علمت لاحقًا أنّ هاثور كان إله الحبّ والمرح والبهجة في مصر.

- «أهو أحد الآلهة؟». سألتها.

- «هاثور، هاثور»، كان هناك وقفة طويلة، «عصفور (...) إنّه مسطح (...) مسطح، طائر العنقاء...»، عادت للصمت مجددًا.

- «تقدمي بالزمن الآن نحو آخر يوم في حياتك هذه؛ اذهبي إلى آخر يوم في حياتك، ولكن قبل أن تموتي أخبريني ماذا ترين؟».

أجابت بهمس رقيق: «أرى أناسًا ومبانٍ، أرى صنادل وملابس خشنة، نوع من الملابس الخشنة».

- «ماذا يحدث؟ اذهبي لزمن موتك الآن، ماذا يحدث لك، تستطيعين رؤيتها؟».

- «لا أراها (...) لا أرى نفسي بعد الآن».

- «أين أنت؟ ماذا ترين؟».

- «لا شيء (...) ظلام وحسب (...) أرى نورًا، نور دافئ»، كانت قد ماتت وانتقلت إلى الحالة الروحية. بالنهاية لم تعد تحتاج أن تختبر موتها مجددًا.

- «هل تستطيعين الاقتراب من النور؟». سألتها.

- «أنا ذاهبة»، كانت ترتاح بسلام، تنتظر ثانيةً.

- «هل يمكنك الآن النظر وراءً إلى دروس هذه الحياة؟ هل أنت مدركة لها؟».

- «لا». همست قائلة واستمرت بالانتظار، ثمّ تنبهت فجأة، على الرغم من استمرارها بإبقاء عينيها مغلقتين، كما يحدث دائمًا عندما تكون في حالة تنويم، كان رأسها يتحرك من طرف إلى آخر.

- «ماذا ترين الآن؟ ماذا يحدث؟».

كان صوتها أعلى، «أشعر بأنّ شخص ما يتحدث إلي!».

- «ماذا يقول؟».

- «يتحدث عن الصبر، على الإنسان أن يكون صبورًا».

- «نعم تابعي».

جاءت الإجابة من المعلم الشاعر: «الصبر والوقت المناسب؛ كلّ شيء يتجلى في أوانه، ليس علينا الاستعجال في الحياة، لا يمكن التعامل معها كجدول مواعيد، كما يفضل الكثير من الناس. يجب أن نقبل بما نحصل عليه في وقت محدد، وألّا نطلب المزيد. الحياة لا متناهية، ونحن حينما نموت، لا نكون قد ولدنا حقيقةً، إنّنا فقط ننتقل خلال مراحل مختلفة، ليس هنالك نهاية؛ للبشر أبعاد عديدة؛ ولكنّ الزمن ليس كما نراه، إنّه الدروس التي نتعلمها».

كان هنالك وقفة طويلة؛ ثمّ واصل المعلم الشاعر: «كلّ شيء سيصل إليك في الوقت المناسب، ولكن يجب أن يكون لديك فرصة لاستيعاب المعلومات التي أعطيناك إياها».

صمتت كاثرين، فسألتها: «هل هناك المزيد مما يجب عليَّ تعلّمه؟».

همست برفق: «لقد ذهب، لا أسمع أحدًا».

الفصل التاسع
الموت من أجل لا شيء

مع انقضاء كلّ أسبوع، صارت كاثرين تتخلص من طبقة أُخرى من المخاوف العصبية والقلق، وبمرور كلّ أسبوع صارت تبدو أكثر هدوءًا ورّقة، أكثر صبرًا وثقة، أخذ الناس ينجذبون إليها، ملأ الحبّ قلبها، وبادلها الآخرون نفس الحبّ، الألماسة الداخلية التي تعكس شخصيتها الحقيقية، توهجت أمام أنظار الجميع.

امتدت حيوات كاثرين لآلاف السنين، في كلّ جلسة تنويم، لا أدري أيّ حياة ستدخل - من كهوف ما قبل التاريخ إلى مصر القديمة، وصولاً إلى العصور الحديثة - لقد كانت هناك، وتمّ الاطلاع على جميع حيواتها السابقات بحبّ وراء الزمن من قبل المعلمين، في جلسة اليوم دخلت في القرن العشرين، ولكن ليس بكونها كاثرين.

- «أرى جسم طائرة ومهبط طائرات، كأنّه مهبط للطائرات». همست برفق.

- «هل تعلمين أين هي؟».

- «لا أستطيع أن أرى (...) ألساتيان؟»، ثم قالت على نحوٍ أكيد: «ألساتيان في فرنسا؟ لا أدري فقط ألساتيان (...) أرى اسم فون ماركس، فون ماركس (لفظيًا) خوذة بنية أو قبعة (...) قبعة مع نظارات واقية عليها، القوات دُمّرت، يبدو أن المنطقة بعيدة، لا أعتقد أن هناك قرية بالجوار».

- «ماذا ترين؟».

- «أرى مبانٍ مهدمة، أرى مباني (...) الأرض مشققة من (...) قوة التفجيرات، هنالك منطقة مخفية بشكل جيد للغاية».

- «ماذا تعملين؟».

- «أنا أساعد الجرحى، إنّهم ينقلونهم بعيدًا».

- «انظري لنفسك؛ صفي نفسك، انظري للأسفل؛ وصفي ما تلبسين».

- «أرتدي معطفًا، شعري أشقر وعيناي زرقاوان، معطفي شديد الاتساخ، هناك الكثير من الناس الجرحى».

- «هل أنت مدربة على مساعدة الجرحى؟».

- «لا».

- «هل تعيشين هناك أم أنّهم أحضروك إلى المكان؟ أين تعيشين؟».

- «لا أعلم».

- «كم عمرك الآن؟».

- «خمسة وثلاثون».

كان عمر كاثرين تسعة وعشرين عامًا، وعيناها عسليتان، وليستا زرقاوين.

استمريت في التساؤل، «هل لك اسم؟ هل هو على المعطف؟».

- «هنالك أجنحة على المعطف، أنا طيار».

- «هل تقودين الطائرات؟».

- «نعم يجب عليَّ ذلك».

- «من يدفع لذلك؟».

- «أنا في خدمة الطيران، هذه وظيفتي».

- «هل تقومين بإلقاء القنابل أيضًا؟».

- «لدينا مدافع على الطائرة، وهناك ملّاح».

- «ما نوع الطائرات التي تقودينها؟».

- «طائرة مروحية لها أربع مراوح، إنّها من نوع الجناح الثابت».

أنا منبهر، فكاثرين لم تعرف شيئًا عن الطائرات، وأتساءل ماذا تعرف عن «الجناح الثابت»! ولكنّ هذا مثل عملية صنع الزبدة وتحنيط الموتى، فهي تحت التنويم، ولديها مخزون من المعرفة لا يتوفر لعقلها الواعي في الحياة اليومية سوى جزءٍ منه فقط.

واصلت الضغط: «هل لديك عائلة؟».

- «إنّهم ليسوا معي».

- «هل هم بأمان؟».

- «لا أدري أنا خائفة (...) أخشى من عودتهم، أصدقائي يموتون!».

- «تخافين من عودة من؟ الأعداء؟ من هم؟».

- «الإنجليز (...) والقوات الأمريكية المسلحة (...) الإنجليز».

- «هل تتذكرين أفراد عائلتك؟».

- «أتذكر؟ هناك الكثير من الضبابية».

- «لنعد في نفس الحياة إلى زمن سعيد، قبل الحرب، الزمن الذي كنت فيه مع عائلتك في المنزل، تستطيعين رؤية ذلك، أعلم أنّ ذلك صعب، ولكنّي أريدك أن تسترخي، حاولي التذكر».

توقفت كاثرين، ثم همست: «أسمعُ اسم إيريك (...) إيريك (...) أرى طفلة شقراء».

- «هل هي ابنتك؟».

- «نعم ينبغي أن تكون هي (...) مارغوت».

- «هل هي قريبة منك؟».

- «إنّها معي ونحن في نزهة، اليوم جميل».

- «هل هناك شخص آخر معك؟ إلى جانب مارغوت؟».

- «أرى امرأة بنيّة الشعر تجلس على العشب».

- «هل هي زوجتك؟».

- «نعم (...) لا أعرفها». أضافت مشيرة إلى عدم معرفتها في الحياة الحالية.

- «هل تعرفين مارغوت؟ انظري إليها عن قرب هل تعرفينها؟».

- «نعم ولكن لا أعرف كيف (...) أعرفها من مكان ما».

- «سيظهر لك؛ حدقي في عينيها».

- «إنّها جودي». أجابت.

جودي في الحياة الحاضرة هي صديقة كاثرين المفضلة؛ كان هناك علاقة مباشرة بينهما منذ اللقاء الأول، أصبحتا صديقتين حقيقيتين تثقان ببعضهما، وتعرف كلّ منهما ما تفكر به الأُخرى وما تحتاجه، حتى قبل أن تتكلم.

- «جودي؟». كررتُ.

- «نعم إنّها جودي، تبدو مثلها (...) ورائحتها تشبهها».

- «نعم هذا جيد، هل أنت سعيدة في المنزل أم هناك مشاكل؟».

- «ليست هنالك مشاكل»، (وقفة طويلة) «نعم (...) نعم إنّه وقت اضطرابات، هنالك مشكلة عميقة في الحكومة الألمانية، في الهيكلية السياسية، الكثير من الأشخاص يريدون الانتقال لأماكن مختلفة، هذا سيؤدي بالنهاية لتمزيقنا (...) ولكن يجب أن أقاتل من أجل بلدي».

- «هل لديك عاطفة قوية تجاه بلدك؟».

- «لا أحبّ الحرب، أشعر أنّ القتل خطأ، ولكن يجب أن أؤدي واجبي».

- «عودي الآن إلى حيث كنت، إلى الطائرة على الأرض حيث القصف والحرب، حيث تبدأ الحرب لاحقًا، الإنجليز والأمريكان يقصفون القنابل بالقرب منك، عودي، هل ترين الطائرة مجددًا؟».

- «نعم».

- «هل لا زال لديك نفس الشعور حول الواجب والقتل والحرب؟».

- «نعم نحن سنموت من أجل لا شيء».

- «ماذا؟».

- «نحن سنموت من أجل لا شيء»، كررت بهمس عالي.

- «لا شيء؟ ماذا تقصدين؟ هل صحيح أنّه لا يوجد مجد في ذلك؟ الدفاع عن أرضك أو أحبائك؟».

- «نحن سنموت من أجل الدفاع عن أفكار بضعة أشخاص».

فسألتها: «حتى ولو كانوا قادة الدولة؟».

قاطعتني بسرعةٍ: «يمكن أن يكونوا مخطئين، إنّهم ليسوا بقادة، إذ لو أنّهم كانوا قادة، لما كان هناك الكثير من الصراع الداخلي (...) في الحكومة».

- «بعض الناس يصفونهم بالمجانين، هل هذا منطقي بالنسبة لك؟ - جنون - السلطة».

- «لا بدّ أن نكون جميعنا مجانين لنكون مدفوعين من قبلهم، للسماح لهم بقيادتنا (...) لنقتل الناس! ونقتل أنفسنا».

- «هل بقي لك أي أصدقاء؟».

- «نعم بقي البعض أحياء».

- «هل هناك قريب محدد منك بينهم؟ من طاقم الطيران؟ هل لا زال الشخص المسؤول عن المدفعية والملّاح حيّيَن؟».

- «لا أراهما، ولكنّ طائرتي لم تتحطم».

- «هل تطيرين مجددًا بالطائرة؟».

- «نعم يجب أن نسرع لنطير بالطائرة المتبقية بعيدًا عن المكان قبل أن يعودوا».

- «اذهبي إلى الطائرة».

- «لا أريد الذهاب».

كانت تبدو وكأنّها تتفاوض معي: «ولكن يجب عليك ذلك، لتطيري بها عن الأرض».

- «الأمر غير منطقي للغاية».

- «ما طبيعة مهنتك قبل الحرب؟ هل تتذكرين؟ ماذا فعل إيريك؟».

- «كنت الثانية في القيادة (...) في طائرة صغيرة، طائرة تنقل البضائع».

- «إذًا كنت طيار أيضًا؟».

- «نعم».

- «هذا ما جعلك تغيب عن المنزل طويلاً؟ تقدمي في الزمن»، قلت لها، «نحو الرحلة التالية، هل تستطيعين ذلك؟».

- «لا توجد رحلة تالية».

- «هل حدث شيء لك؟».

- «نعم». كانت أنفاسها تتسارع، وأخذت تبدو قلقةً.

تقدمت في الزمن إلى يوم وفاتها، «ماذا يجري؟».

- «أنا أهرب من النيران، تمّ تمزيق فصيلنا بالنار.

- «هل تنجين منها؟».

- «لا أحد ينجو (...) لا أحد ينجو من الحرب، أنا أموت!»، أصبح تنفسها ثقيلاً، «دم! الدم في كلّ مكان! لدي ألم في صدري؛ لقد أصبت في صدري (...) ورجلي (...) وعنقي، هذا مؤلم للغاية». كانت تحتضر، بعد قليل تباطأ تنفسها وأصبح أكثر اعتيادية، عضلات وجهها استرخت وعلت قسماتها مسحة سلام، عرفت من خلالها بأنّها تمرّ في حالة هدوء انتقالية.

- «أنت تبدين أكثر راحة، هل انقضى الأمر؟».

توقفت ثم أجابت برفق: «أنا أطفو بعيدًا (...) عن جسدي؛ ليس لدي جسد؛ أنا في حالة الروح مرةً أُخرى».

- «جيد؛ استرخي، لقد مررت بحياةٍ صعبة، وبموت صعب، تحتاجين للراحة، استعيدي طاقتك، ماذا تعلّمت من هذه الحياة؟».

- «تعلّمت أنّ الكراهية (...) والقتل اللامنطقي (...) الكراهية الموجهة بشكل خاطئ (...) الناس الذين يكرهون ولا يعرفون لماذا، تعلّمتُ أنّنا مدفوعون لها (...) من خلال الشر، حين نكون في الحالة الجسدية».

- «هل هناك واجب آخر سوى الواجب تجاه الدولة؟ شيء يمنعك من القتل؟ حتى ولو أمرت بذلك؟ واجب تجاه ذاتك؟».

- «نعم». ولكنها لم توضح.

- «هل تنتظرين شيئًا الآن؟».

- «نعم (...) أنا أنتظر أن أنتقل لمرحلة التجديد، يجب أن أنتظر (...) سيأتون من أجلي (...) سيأتون».

- «جيد أودّ أن أتكلم معهم حين يأتون».

انتظرنا لعدة دقائق؛ ثمّ وبشكل مفاجئ أصبح صوتها مرتفعًا وأجشّ، وروح المعلم الرئيسي هي من كانت تتكلم، وليست روح المعلم الشاعر:

- «كنت محقًّا في افتراض هذا العلاج الصحيح لهؤلاء الذين في الحالة الجسدية، يجب عليك القضاء على المخاوف في أذهانهم؛ إنّ الخوف يضيّع طاقتهم، ويلجمهم عن القيام بما أتوا إلى هنا من أجل القيام به، احصل على الإشارة من محيطك، يجب وضعهم بمرحلة عميقة للغاية (...) بحيث لا يشعرون بعد الآن بأجسادهم، بعد ذلك تستطيع الوصول إليهم. إنّ المشاكل تكمن فقط على السطح، في عمق الداخل حيث الروح وحيث تصنع الأفكار، يجب عليك الوصول إلى هناك. الطاقة (...) كلّ شيءٍ هو عبارةٌ عن طاقة. الكثير منها ضاع، تأمل الجبال (...) أنت تراها ساكنة، وهادئة من الداخل، وأنّ المشاكل تتوضع على السطح، ذلك لأنّ البشر يستطيعون رؤية الخارج فقط، ولكن بإمكانك أن تغوص بشكل أعمق كي ترى البركان؛ لعمل ذلك يجب عليك التغلغل عميقًا في بواطن الأمور، وحين تكون في الحالة الجسدية فإنّ ذلك غير طبيعي. أمّا حينما تنتقل إلى الحالة الروحية، فإنّ ذلك يصبح هو الطبيعي بالنسبة لك؛ حين تعود إلى هنا، يبدو الأمر كما لو أنّك تُرسل لمكان لا تعرف عنه شيئًا، سيتطلب الأمر وقتًا أطول، في عالم الروح يجب أن تنتظر، حتى يتمّ تجديدك، هناك حالة من التجديد، إنّها بُعدٌ مثل بقية الأبعاد، وقد نجحت إلى حدّ ما في الوصول إلى هذه الحالة».

فاجأتني عباراته!

- «كيف يمكنني الوصول إلى حالة التجديد؟ هل أنا على وشك الوصول إليها؟». سألت متشككًا.

- «نعم، أنت تعلم ما يفوق معارف الآخرين، وما تدركه أكثر من مدركاتهم بكثير، فكن صبورًا معهم، إنّهم لا يعرفون المعلومات التي تعرفها. وسيتمّ إرسال الأرواح لمساعدتك؛ ولكنك محقّ فيما تفعل (...) استمر؛ لا يجب إهدار هذه الطاقة، يجب عليك التخلص من الخوف، سيكون هذا أكبر سلاح تملكه».

كانت روح المعلم صامتة، تأملت في معنى الرسائل المذهلة، علمت أنني أقوم بإزالة مخاوف كاثرين بنجاح، ولكن كان للرسالة معنىً عالميًا، إنّها أكثر من مجردِ تأكيدٍ على فعالية

التنويم كوسيلة علاج. لقد شملت أكثر من جلسات العودة بالزمن لحيوات سابقة، والتي يصعب تطبيقها على عموم الناس كلّ على حدة، لا أحد يصدق أنّها معنية بالخوف من الموت، والذي هو الخوف العميق داخل البركان.

الخوف من الموت، هذا الخوف المستمر المخفي والذي لا تستطيع القوة أو المال تحييده، هذا هو الجوهر. ماذا لو علم الناس أن «الحياة لا متناهية! وبالتالي نحن لا نموت؟ وأنّنا في الحقيقة لم نولد!» حينها سيتلاشى هذا الخوف، وإذا علموا أنّهم عاشوا لمرات لا متناهية، وأنّهم سيعيشون مرات لا متناهية أيضًا. فبأيّة طمأنينةٍ سيشعرون؟ وإذا علموا أنّ الأرواح تحيط بهم لمساعدتهم حينما يكونون في الحالة الجسدية، وأنّهم بعد الموت وفي الحالة الروحية سينضمون لتلك الأرواح، بمن فيهم أحباؤهم الموتى، كم سيشعرون بالارتياح! وإذا علموا أن «الملائكة» الحارسة موجودة بالفعل، كم سيشعرون حينها بالأمان! إذا علموا أن الأعمال العنيفة والظالمة ضد البشر لن تذهب من دون حساب، لأنّ عليهم إعادة تسديدها في حيوات قادمة، وكم ستقلل هذه المعرفة من غضبهم ورغبتهم في الانتقام! وبالتأكيد «إذا تقربنا إلى الله من خلال المعرفة» فكيف سنقيّم أهمية الممتلكات المادية أو القوة، حين تكون في النهاية مطلبًا، وليست وسيلة لذلك التقرب؟ أن تكون طمّاعًا أو متعطشًا للسلطة ليس لذلك قيمة مهما كان!

ولكن كيف ستوصل هذه المعرفة للناس؟ معظم الناس يتلون الصلوات في الكنائس والكُنس والمساجد والمعابد، صلوات تدعي خلود الروح، ومع ذلك فإنّهم وبمجرد انتهاء طقوس العبادة، يعودون لتنافسهم وممارسة الجشع والتلاعب والتركيز على الذات، هذه الصفات تؤخر تقدم الروح، لذا إذا لم يكن الإيمان كافيًا فربما يساعد العلم، ربما التجارب، مثل التي حصلت لكاثرين والتي يجب دراستها وتحليلها وعمل تقرير حولها بشكل علمي ومستقل من خلال أناس دربوا بشكل علمي وفيزيائي، على الرغم من أنّ كتابة بحث علمي أو كتاب كان أبعد ما يكون عن خاطري في هذا الوقت، واحتمال غير مرجح.

تساءلت عن الأرواح التي أرسلت لمساعدتي، مساعدتي على القيام بماذا؟ تحركت كاثرين وبدأت تهمس: «شخص ما اسمه جيديون، شخص اسمه جيديون (...) جيديون».

- «إنّه يحاول التحدث إلي، ماذا يقول؟».

- «إنّه حولنا، لن يتوقف، إنّه حارس (...) لشيء ما، ولكنّه يلعب معي الآن».

- «أهو أحد الملائكة الحراس لك؟».

- «نعم ولكنّه يلعب (...) إنّه فقط يقفز هنا وهناك، أظن أنّه يريدك أن تعلم بأنّه يحيط بي (...) في كلّ مكان».

- «جيديون؟». كررت.

- «إنّه هنا».

- «هل يجعلك تشعرين بأنّك أكثر أمانًا؟».

- «نعم، سيعود حين أحتاجه».

- «جيد، هل هذه الأرواح تحيط بنا؟».

أجابت وهي تهمس من منظور وعيها الفائق: «آه نعم (...) الكثير من الأرواح، إنّهم فقط إنّهم يأتون حين يريدون (...) فقط حين يريدون، نحن جميعنا أرواح، بعضنا في الحالة الجسدية والبعض الآخر في مرحلة التجديد. وآخرون عبارة عن حراس؛ لكننا جميعًا سنذهب إلى هناك، لقد كنّا حراسًا أيضًا».

- «لماذا نعود لنتعلم؟ لمَ لا نستطيع التعلم ونحن أرواح؟».

- «هناك مستويات من التعلم، ويجب أن نتعلم بعضها ونحن من لحم ودم، ينبغي أن تشعر بالألم، حين تكون في الحالة الروحية فأنت لا تشعر بالألم. إنّها مرحلة تجديد، يتمّ فيها تجديد روحك، أمّا حينما تكون في الحالة الجسدية فإنّك تستطيع أن تشعر بالألم، يمكنك أن تتأذى، في الحالة الروحية أنت لا تشعر؛ ليس هناك من سعادة، ولا إحساس بالراحة، هي مرحلة تجديد لنا، التعامل بين الناس في الحالة الروحية مختلف (...) حين تكون في الحالة الجسدية (...) تستطيع أن تختبر العلاقات».

- «أتفهم، سيتحسن الأمر». عادت للصمت مجددًا، مرّت دقائق ثمّ بدأت تقول:

- «أرى عربة، عربة زرقاء».

- «عربة أطفال؟».

- «لا عربة بأحصنة (...) شيء أزرق! قماش أزرق على القمة، أزرق من الخارج (...) لها عجلات كبيرة، لا أرى أحدًا داخلها، مجرد حصانين مربوطين بها (...) أحدهما رمادي والآخر بني، الرمادي يدعى آبل، لأنّه يحبّ التفاح، والآخر اسمه دوك، إنّهما لطيفان، ولا يعضان، لديهما أقدام كبيرة (...) أقدام كبيرة».

- «هل هناك حصان سيء أيضًا؟ حصان مختلف؟».

- «لا، فقط هذان الحصانان اللطيفان».

- «هل أنت هناك؟».

- «نعم، أستطيع أن أرى أنفه، إنّه أكبر مني بكثير».

- «هل تركبين العربة؟». من خلال طبيعة إجاباتها عرفت أنّها كانت طفلة.

- «هنالك أحصنة، وهنالك صبي أيضًا».

- «كم عمرك؟».

- «صغيرة للغاية، لا أدري، لا أظن أنني أعرف العد».

- «هل تعرفين الصبي؟ هل هو صديقك؟ أخوك؟».

- «إنّه جاري، إنّه هناك من أجل حفلة ما، لديهم عرس».

- «هل تعلمين من سيتزوج؟».

- «لا أوصونا فقط بألّا نلوث ثيابنا، لدي شعر بني».

- «هل هذه ملابسك للحفلة؟ هل هي جيدة؟».

- «إنّها بيضاء (...) فستان أبيض مموج ذو ربطة في الخلف».

- «هل بيتك قريب؟».

- «إنّه بيت كبير». أجابت الطفلة.

- «هل هو بيتك الذي تقيمين فيه؟».

- «نعم».

- «ممتاز، تستطيعين النظر داخل المنزل الآن».

- «ذلك ممكن، إنّه يوم مهم، أشخاص آخرون يلبسون بشكل جيد أيضًا، يلبسون ملابس خاصة، إنّهم يطبخون الطعام، الكثير من الطعام».

- «هل تستطيعين شمّه؟».

- «نعم، إنّهم يصنعون نوعًا من الخبز؛ خبز (...) ولحم (...) لقد طلبوا منّا أن ننتظر في الخارج».

ثانيةً كنت مذهولاً من ذلك، أخبرتها أنّه لا بأس من دخولها، والآن تمّ أمرها بالبقاء في الخارج مجددًا: «هل ينادون على اسمك؟».

- «ماندي (...) ماندي وإدوارد».

- «أهو صبي؟».

- «نعم».

- «إنّهم لا يدعونك تبقين داخل المنزل؟».

- «لا، إنّهم مشغولون للغاية، ونحن لا نهتم، ولكن من الصعوبة علينا المحافظة على نظافة ثيابنا، لا نستطيع فعل شيء».

- «هل تذهبون للعرس؟ لاحقًا في ذلك اليوم؟».

- «نعم (...) أرى الكثير من الناس، الغرفة مزدحمة (...) الجو حارّ، إنّه يوم حارّ، يوجد كاهن هناك، يعتمر قبعة مضحكة (...) سوداء، وهي تغطي جزءًا من وجهه (...) يا لأساليب لباسهم».

- «هل هذا وقت سعيد لعائلتك؟».

- «نعم».

- «هل تعلمين من سيتزوج؟».

- «فقط أختي».

- «هل هي أكبر منك بكثير؟».

- «نعم».

- «هل ترينها الآن؟ هل ترتدي فستان العرس؟».

- «نعم».

- «هل هي جميلة؟».

- «نعم، يوجد الكثير من الورود على شعرها».

- «انظري إليها عن قرب، هل تعرفينها في زمن آخر؟ انظري لعينيها، لفمها...».

- «نعم أظن أنّها بيكي (...) ولكنّها أصغر، أصغر بكثير».

كانت بيكي صديقة كاثرين وزميلتها في العمل، كانتا مقربتين، ولكن كثيرًا ما استاءت كاثرين من تصرفات بيكي وأحكامها وتدخلاتها، وعلى الرغم من ذلك فقد كانت صديقة، ربما ليست من العائلة، ولكنّ الفرق ليس واضحًا جدًا الآن.

- «إنّها (...) إنّها تحبّني (...) وأستطيع الوقوف في المقدمة لأنّها تحبّني».

- «جيد، انظري حولك، هل والداك هناك؟».

- «نعم».

- «هل يحبانك بنفس القدر؟».

- «نعم».

- «هذا جيد، انظري إليهما عن قرب (...) لوالدتك أولاً، انظري إذا ما كنت تتذكرينها؛ انظري لوجهها».

أخذت كاثرين نفسًا عميقًا ثمّ قالت: «لا أعرفها».

- «انظري لوالدك الآن، انظري إليه عن قرب، تفحصي ملامحه، عينيه وفمه أيضاً، هل تعرفينه؟».

- «إنه ستيوارت». أجابت بسرعة.

إذًا ظهر ستيوارت مجددًا، كان ذلك يستحق الاستكشاف أكثر: «ما هي طبيعة علاقتك معه؟».

- «أحبّه كثيرًا (...) إنّه ممتاز في التعامل معي، ولكنّه يراني مزعجة، إنّه يعتقد أنّ جميع الأطفال مزعجون».

- «هل هو جاد للغاية؟».

- «لا، إنّه يحبّ أن يلعب معنا، ولكنّنا نسأل أسئلة كثيرة، وهو جيد معنا، لولا أننا نسأل أسئلة كثيرة».

- «هل هذا يزعجه بعض الأحيان؟».

- «نعم، يجب أن نتعلم من المعلم وليس منه، لهذا نذهب للمدرسة (...) لنتعلم».

- «يبدو أنّه هو من يقول هذا، هل هو يخبرك بذلك؟».

- «نعم، لديه أشياء أكثر أهمية للقيام بها، يجب عليه أن يدير المزرعة».

- «هل هي مزرعة كبيرة؟».

- «نعم».

- «هل تعلمين أين تقع؟».

- «لا».

- «هل ذكروا اسم المدينة أو الولاية؟ أو حتى اسم القرية؟».

توقفت مصغيةً بحرص، «لا أسمع ذلك».

عادت للسكوت مجددًا: «حسنًا، هل تريدين استكشاف هذه الحياة أكثر؟ وأن تتقدمي بالزمن أم أنّ هذا كافٍ؟».

قاطعتني ... خلال العملية بأكملها مع كاثرين، كنت مترددًا في مناقشة كشوفاتها مع مختصين آخرين، باستثناء كارول وآخرين ممن كانوا «أمينين».

لم أشارك هذه المعلومات الملفتة مع آخرين على الإطلاق، علمت أنّ المعلومات المستقاة من جلساتنا كانت صحيحة ومهمة للغاية، ولكنّ القلق من ردة فعل زملائي في المهنة جعلني أفضل الصمت، كنت لا أزال قلقًا على سمعتي ووظيفتي، وما قد يظنّه بي الآخرون.

شكوكي الشخصية تلاشت من خلال الأدلة التي تظهر على شفتيها أسبوعًا بعد الآخر؛ كنت عادة أعيد سماع الأشرطة وأعيد اختبار الجلسات مع كلّ الدراما والتجاوب، ولكنّ الآخرين يجب أن يعتمدوا على تجاربي القوية، وليس على تجاربهم الخاصة، أحسست أنني مدفوع لجمع بيانات أكثر.

ومع إيماني التدريجي بالرسائل، أصبحت حياتي أكثر بساطة واكتفاءً، لم يكن هناك حاجة للعب ألعاب، أو التظاهر بأدوار تقدّمني بغير ما أنا عليه، العلاقات أصبحت أكثر أمانة ومباشرة.

الحياة العائلية كانت أقلّ ضبابية وأكثر استرخاءً، ترددي في مشاركة الحكم التي مُررت إليَّ من خلال كاثرين قد بدأ بالتلاشي. وبشكل مفاجئ أصبح معظم الناس مهتمين للغاية ويريدون أن يعرفوا المزيد، والكثيرون أخبروني بتجاربهم الخاصة للأحداث البارسيكولوجية.

سواء كانت ما وراء الإحساس، أم الديجافو، أم تجارب الخروج من الجسد، أم أحلام الحيوات السابقة أو غيرها، الكثيرون لم يخبروا أقرباءهم حول تلك التجارب، كان الناس خائفين من مشاركة هذه التجارب وغيرها، حتى عائلاتهم ومعالجيهم كانوا يعتبرونهم غريبين أو مختلفين. ولكن تلك الأحداث الباراسيكولوجية منتشرة، أكثر مما يعتقد الناس، ولكنّ التردد بإخبار الآخرين عن تلك الظواهر النفسية هو ما يجعلهم نادرين. والملفت أنّ الأكثر تدربًا وخبرة، هم الأكثر ترددًا في المشاركة.

رئيس قسم الأمراض الرئيسة في المستشفى الذي أعمل فيه، رجل محبوب عالميًا لخبرته، يتكلم مع أبيه المتوفى، والذي قد حماه لعدة مرات من خطر جسيم.

بروفيسور آخر كانت لديه أحلام توفر له الخطوات الناقصة أو الحلول لتجارب بحثه المعقد، الحلم صحيح بشكل أكيد.

طبيب مشهور آخر يعرف عادة من يتصل به على الهاتف قبل أن يجيب.

زوجة رئيس القسم النفسي في جامعة ميدويسترن الحائزة على شهادة دكتوراه في الطبّ النفسي، التي طالما خططت ونفذت مشاريعها البحثية بعناية فائقة، لم تخبر أحدًا على الإطلاق بأنّها حين زارت روما لأول مرة، وتنقّلت في أرجائها، كما لو أنّ لديها خريطة مطبوعة في ذاكرتها، كانت تعرف ومن دون أيما خطأ، ما الذي يوجد حول الزاوية التالية؛ على الرغم من أنّها لم تزر إيطاليا من قبل ولم تعرف اللغة، وحاول الكثير من الإيطاليين التحدث معها بالإيطالية بشكل متكررٍ، ظنًّا منهم بأنّها إيطالية؛ لقد عانت في استيعاب تجربتها في روما.

أنا أتفهم لماذا ظلّ هؤلاء المحترفون المتمرسون صامتين؛ فقد كنت واحدًا منهم. لم نكن نستطيع إنكار مشاعرنا وتجاربنا، ولكنّنا راكمنا خلال تدريباتنا بطرق شتى، معلومات وتجارب ومعتقدات مختلفة، لذلك بقينا صامتين.

الفصل العاشر

خيار العودة متروك لنا

مضى الأسبوع بسرعة، وقد استمعت مرارًا وتكرارًا لتلك الأشرطة الخاصة بجلسة الأسبوع الماضي، والطريقة التي أصل فيها لحالة التجديد، لم أشعر بشكل عملي بالتنوير، والآن سيتم إرسال الأرواح لمساعدتي، ولكن ماذا يتوجب عليَّ فعله؟ متى سأكتشف ذلك؟ هل سأكون على قدر المهمة؟ أعلم أنّ عليَّ الانتظار والصبر، فقد تذكرت كلمات المعلم الشاعر:

- «الصبر والتوقيت (...) كلّ شيءٍ سيتجلى في وقته الصحيح (...) كلّ شيءٍ سيتوضح لك في الوقت المناسب، ولكن يجب أن يكون عندك الفرصة لاستيعاب المعرفة التي منحت لك». لذا سأنتظر.

في بداية هذه الجلسة ربطت كاثرين أجزاءً من حلم مرّ بها قبل بضع ليالٍ، في الحلم كانت تعيش في منزل أهلها، حين شبَّ حريق في المنزل ليلاً، وكانت حاضرةً للمساعدة في إخلاء المنزل، ولكنّ والدها كان يضيّع الوقت، غير مبالٍ بالحدث الطارئ، أسرعت به للخارج، ولكنّه تذكّر شيئًا نسيه في المنزل، فأرسل كاثرين وسط النيران المتأججة لاستعادته، لم تتذكر ماذا كان ذلك الشيء، قررت ألّا أفسر الحلم بعد، بل أن أنتظر لأرى إن كانت ستسنح الفرصة بينما هي منومة.

لقد دخلت بسرعة بحالة التنويم: «أرى امرأة بقبعة على رأسها وتغطي وجهها». ثم عادت للصمت.

- «هل تستطيعين رؤيتها الآن؟ القبعة؟».

- «لقد أضعتها (...) أرى نوعًا من المادة السوداء المزركشة بتصميم ذهبي منقوشٍ عليها (...) أرى مبنى وعليه نقاط هيكلية (...) بيضاء».

- «هل تعرفين المبنى؟».

- «لا».

- «هل هو مبنى كبير؟».

- «لا، هنالك جبل وراءه يغطي الثلج قمّته، كما أنّ العشب أخضر في الوادي (...) حيث نحن موجودون».

- «هل تستطيعين الدخول إلى المبنى؟».

- «نعم إنّه مصنوع من رخام بارد الملمس».

- «هل هو شبيه بمعبد أو بمبنى ديني؟».

- «لا أعرف».

ظننت بأنّه قد يكون سجنًا، فسألتها: «أهو سجن؟ هل هناك أشخاص داخل المبنى أو حوله؟».

- «نعم بعض الجنود يلبسون سترات سوداء، سوداء مع بطانة ذهبية على الأكتاف (...) وقماش ذهبي معلق، خوذ سوداء وعليها القليل من اللون الذهبي (...) شيء منقط وعلى رأسه ذهب (...) على الخوذة، ووشاح أحمر، وشاح أحمر حول الخصر».

- «هل هناك جنود في الجوار؟».

- «ربما اثنان أو ثلاثة».

- «هل أنت هناك؟».

- «أنا في مكان ما، ولكنّني لست في المبنى، أنا في الجوار».

- «انظري في الجوار؛ هل تجدين نفسك (...) الجبال هناك (...) والعشب (...) والمبنى الأبيض، هل هناك مبانٍ أُخرى كذلك؟».

- «إذا كان هنالك مبانٍ أُخرى، فهي ليست بجوار هذا المبنى، أرى واحدًا (...) معزولاً مع حائط مبني خلفه».

- «حائط؟ هل تعتقدين أنّه حصن أو سجن أو شيء مشابه؟».

- «ربما يكون، ولكنّه (...) معزول للغاية».

- «لماذا هو مهم بالنسبة لك؟ (وقفة طويلة) هل تعلمين اسم القرية أو الدولة التي أنت فيها؟ أين الجنود؟».

- «إنّني أواصل النظر، إنّها أوكرانيا».

- «أوكرانيا؟»، سألتها مذهولاً بتنوع حيواتها، «هل ترين عامًا؟ هل تستطيعين تحديد الفترة الزمنيّة؟».

- «سبعة عشر... سبعة عشر»، أجابت بتردد ثم صححت لنفسها «ألف وسبعمئة وثمانية وخمسون (...) ألف وسبعمئة وثمانية وخمسون. هناك العديد من الجنود، لا أعلم ما هدفهم. مع سيوف طويلة محنية».

- «ماذا ترين أو تسمعين كذلك؟». سألتها.

- «أرى نافورة، نافورة، حيث يسقون الأحصنة».

- «هل يركب الجنود الأحصنة؟».

- «نعم».

- «هل يعرف الجنود باسم آخر؟ هل يطلقون على أنفسهم مسمىً خاص؟».

أصغت كاثرين: «لا أسمع ذلك».

- «هل أنت معهم؟».

- «لا».

كانت إجابتها مجددًا طفولية، قصيرة وغالبًا أحادية، كان عليَّ أن أكون محاورًا فعّالاً: «ولكنك ترينهم في الجوار؟».

- «نعم».

- «هل أنت في القرية؟».

- «نعم».

- «هل تعيشين هناك؟».

- «أعتقد ذلك».

- «جيد، انظري إذا استطعت أن تجدي نفسك وأين تعيشين».

- «أرى بعض الثياب الرثة، أرى طفلاً فقط، صبي ملابسه رثة، ويشعر بالبرد».

- «هل يملك منزلاً في القرية؟». كان هناك وقفة طويلة.

- «لا أرى ذلك»، تتابع وهي تواجه متاعبًا في الاتصال مع هذه الحياة على ما يبدو، كانت ضبابية في إجاباتها، «غير متأكدة إلى حدّ ما».

- «حسنًا هل تعرفين اسم الصبي؟».

- «لا».

- «ماذا حدث له؟ رافقيه، وانظري ماذا يحدث له».

- «إنّه على صلةٍ بسجين ما هناك».

- «صديق أم قريب؟».

- «أعتقد بأنّه والده». كانت إجابتها مختصرة.

- «هل أنت ذلك الصبي؟».

- «لست متأكدة».

- «هل تعرفين كيف يشعر حيال سجن أبيه؟».

- «نعم (...) إنّه خائف للغاية، خائف من أن يقتلوه».

- «ماذا فعل أبوه؟».

- «لقد سرق شيئًا من الجنود، بعض الأوراق أو ما شابه».

- «ألا يفهم الصبي إطلاقًا؟».

- «لا، إنّه على الأغلب لن يرى أباه ثانية!».

- «هل يعلمون إلى متى سيظلّ أبوه في السجن؟ أم إذا كان سيعيش؟».

- «لا». أجابت، بصوت مرتعش، كانت حزينة لأقصى حدّ، لم تتحصل على تفاصيل كافية، ومع ذلك فقد كانت قلقة جرّاء ما كانت تشهده وتختبره من أحداث.

- «تستطيعين أن تشعري بما يشعر به الصبي؟»، تابعتُ، «هذا المستوى من الخوف والقلق، هل تشعرين به؟».

- «نعم». مجددًا عادت للصمت.

- «ماذا حدث؟ تقدمي في الزمن الآن، أعلم أنّ الأمر صعب، تقدمي في الزمن. شيء ما يحدث».

- «تم إعدام أبيه».

- «كيف يشعر الآن؟».

- «أعدموه عقابًا على أمرٍ لم يفعله، إنّهم يعدمون الناس من دون سبب إطلاقًا».

- «لابدّ أن يكون الصبي حزين للغاية حيال ذلك».

- «لا».

- «لا أعتقد أنّه يدرك ما حدث بشكل كامل! هل لديه أشخاص آخرين يلجأ إليهم؟».

- «نعم ولكن حياته ستكون صعبة للغاية».

- «ماذا يحدث للصبي؟».

- «لا أدري ولكنّه سيموت على الأرجح». كانت تبدو حزينة جدًا.

عادت للصمت ثانيةً، ثم بدأت تنظر حولها، «ماذا ترين؟».

- «أرى يدًا (...) يدًا تغلق على شيء (...) أبيض، لا أدري ما هو». ومرت بضع دقائق من الصمت.

- «ماذا ترين أيضًا؟». سألتها.

- «لا شيء (...) ظلام وحسب». ربما تكون قد ماتت وانفصلت بطريقةٍ ما عن الصبي الحزين الذي عاش بأوكرانيا منذ أكثر من مئتي سنة.

- «هل تركت الصبي؟».

- «نعم». همست بينما كانت ترتاح.

- «ماذا تعلمت من تلك الحياة؟ لماذا كانت مهمة؟».

- «لا يمكن الحكم على الناس بسرعة، يجب أن تكون عادلاً مع الآخرين، الكثير من الحيوات تم تدميرها بسبب التسرع في الأحكام».

- «بسبب هذا الحكم على والده، كانت حياة هذا الصبي قصيرة وصعبة».

- «نعم». أجابت ثمّ صمتت.

- «هل ترين شيئًا آخر الآن؟ هل تسمعين أي شيء؟».

- «لا». ردّت باختصار مواصلةً صمتها.

لسبب ما، كانت هذه الحياة بالتحديد منهكة، لذلك أعطيتها توجيهات للراحة: «ارتاحي الآن؛ اشعري بالسلام، فجسمك يشفي نفسه، وروحك ترتاح (...) هل تشعرين بتحسنٍ أو راحة؟ كان الأمر صعبًا على الصبي الصغير، صعبٌ للغاية، ولكن الآن أنت ترتاحين مجددًا، ذهنك يستطيع أخذك لأماكن أُخرى، لأزمنة أُخرى (...) لذكريات أُخرى، هل تشعرين بالراحة؟».

- «نعم».

قررت متابعة أجزاء من حلم المنزل الذي يحترق، وإضاعة والدها للوقت من دون اكتراث، وإرسالها مجددًا للحريق لإحضار أحد أغراضه:

- «لدي سؤال الآن حول الحلم الذي حلمت به (...) مع أبيك، تستطيعين تذكره الآن، الوضع آمن وأنت في حالة تنويم عميقة، هل تتذكرين؟».

- «نعم».

- «لقد عدت إلى المنزل لعمل شيء ما، هل تتذكرين ذلك؟».

- «نعم (...) لقد كانت علبة معدنية».

- «ماذا كان بداخلها، بحيث كان يريد إرسالك لداخل منزل يحترق من أجلها؟».

- «طوابعه وعملاته (...) التي يجمعها». أجابت.

إن استذكارها بالتفصيل لفحوى حلمها تحت التنويم، يعاكس تمامًا تذكرها السطحي أثناء اليقظة، التنويم وسيلة فعالة، ليس فقط للوصول إلى أكثر مناطق الدماغ بعدًا وخفاءً وحسب، ولكن أيضًا للكشف عن تفاصيل أكثر في الذاكرة.

- «هل كانت طوابعه وعملاته مهمة له لتلك الدرجة؟».

- «نعم».

- «ولكن لدرجة المخاطرة بحياتك للعودة إلى منزل يحترق فقط من أجل الطوابع والعملات؟».

قاطعتني: «هو لم يعتقد أنّها مخاطرة».

- «هل كان يعتقد أنّ ذلك آمن؟».

- «نعم».

- «إذا لماذا لم يذهب بنفسه بدلاً عنك؟».

- «لأنّه ظنّ بأنني أستطيع الذهاب أسرع».

- «آها، هل كان عليك خطر مع ذلك؟».

- «نعم، ولكنّه لم يدرك ذلك».

- «هل كان هناك معنى أكثر للحلم بالنسبة لك؟ عن علاقتك بأبيك؟».

- «لا أدري».

- «لم يكن يبدو عليه أنّه مستعجل للخروج من المنزل الذي يحترق».

- «لا».

- «لماذا كان متمهلاً؟ وأنت كنت سريعة».

- «أنا رأيت الخطر، لأنّه يحاول أن يختبئ من الأمور».

وقفت في هذه اللحظة لأحاول تفسير هذا الجزء من الحلم: «نعم إنّه سلوكه القديم، وأنت تقومين بالأمور من أجله، مثل جلب الصندوق، أتمنى أن يتعلم منك، أشعر أن الحريق يشير للوقت الذي ينقضي، وأنت تدركين الخطر الذي لا يدركه، بينما يقوم هو بإضاعة الوقت، يرسلك من أجل أغراض مادية، أنت تعلمين الكثير (...) ولديك الكثير لتعلميه إياه، ولكن لا يبدو أنّه يريد التعلم».

- «لا»، كانت موافقة على ذلك، «إنّه لا يريد».

- «هكذا أرى الحلم، ولكن لا يمكنك إجباره، هو فقط يستطيع إدراك ذلك».

- «نعم»، وافقتني ثانيةً، أصبح صوتها أجشًّا: «من غير المهم أن تحترق أجسادنا في النار إذا كان لا يحتاجها». كانت روح معلّم.

قد سلط الضوء بمنظور مختلف على الحلم، كنت متفاجئًا من هذا الدخول اللحظي، وأنا فقط أستطيع تقليد الفكرة مجددًا: «نحن لا نحتاج أجسامنا؟».

- «لا، فنحن نمرّ عبر مراحل كثيرة حين نكون هنا، فنحن نبدأ بجسم رضيع ثم ننتقل لجسم طفل، ومن طفل لراشد، ومن راشد لمسنّ».

- «لمَ لا ننتقل خطوة أبعد وننتقل من جسد راشد إلى المرحلة الروحية؟».

- «هذا ما نفعله، نحن لا نتوقف قط عن النمو، نحن نستمر بالنمو، حين نصل للمرحلة الروحية، نستمر بالنمو هناك أيضًا، بمراحل نمو مختلفة، حين نصل، يجب علينا أن نمرّ بمرحلة التجديد، ثمّ مرحلة التعلّم، ثمّ مرحلة القرار، فنحن نختار زمن العودة، ومكانها وأسبابها. البعض يختار عدم العودة. إنّهم يختارون الانتقال لمرحلة أُخرى من التطور، ويظلّون بالحالة الروحية (...) وبعضهم يظلّون لفترة أطول من الآخرين قبل أن يعودوا، كلّها عبارة عن مراحل نمو وتعلّم (...) وتطور مستمر، جسمنا فقط مركبة لنا بينما نحن هنا. إنّها روحنا التي تبقى للأبد».

لم أتعرّف إلى الصوت أو الأسلوب، كان هناك «معلّم جديد»، يتحدث ويتكلم عن معرفة مهمة، أردت أن أعرف المزيد عن عوالم الروح: «هل التعلّم بالحالة الجسدية أسرع؟ هل هناك أسباب لذلك؟ لمَ لا يبقى الناس في الحالة الروحية؟».

- «لا، التعلم في الحالة الروحية أسرع بكثير من الحالة الجسدية، ولكننا نختار ما يجب أن نتعلمه، إذا كنّا نحتاج العودة للتعامل مع علاقة فنحن نعود، إذا انتهينا منها، نستمر في الحالة الروحية، تستطيع باستمرار التواصل مع الذين في الحالة الجسدية إذا أردت، ولكن فقط إذا دعت الحاجة (...) إذا كان يجب أن تخبرهم بشيء يجب أن يعرفوه».

- «كيف تقومين بالتواصل؟ كيف تصل الرسالة؟».

ولتفاجأني أجابت كاثرين بهمسٍ أسرع وأكثر تأكيدًا: «في بعض الأحيان يمكن أن تظهر أمام الشخص (...) وتبدو بنفس الشكل حين كنت هنا، في أوقات أُخرى تقوم بتواصل ذهني، وفي بعض الأحيان تصل الرسالة مشفرة، ولكنّ الشخص يعرف عادةً بماذا تتعلق، إنّه يدرك أنه اتصال من ذهن لآخر».

تكلمت إلى كاثرين: «هذه المعرفة التي لديك الآن، هذه المعلومة وهذه الحكمة التي هي مهمة للغاية (...) لماذا لا يمكن الوصول إليها حين تكونين مستيقظة وفي الحالة الجسدية؟».

- «أتوقع أنني لن أفهمها، أنا لست قادرة على فهمها».

- «إذًا ربما أستطيع أن أساعدك على فهمها بحيث لا تخيفك لاحقًا، وبحيث تتعلمين».

- «نعم».

- «حين تسمعين أصوات المعلّمين، إنّهم يقولون أشياء تشبه ما تخبريني به الآن، لا بدّ أن تشاركي كمية كبيرة من المعلومات». كنت منبهرًا بالحكمة التي تمتلكها حين تكون في هذه الحالة.

- «نعم». ردت ببساطة.

- «وهذا يأتي من ذهنك؟».

- «ولكنهم غرسوها فيه». كانت ترجع الفضل للمعلّمين.

- «نعم»، أجبت، «كيف أُعيد نقلها لك بحيث تتطورين وتتخلصين من المخاوف؟».

- «لقد قمت فعلاً بذلك». أجابت برفق، كانت محقة، كانت مخاوفها تقريبًا قد تلاشت، ما إن تبدأ جلسات التنويم، حتى يتحسن وضعها الصحي بشكل جذري.

- «ما هي الدروس التي تحتاجين تعلمها الآن؟ ما هو أهم شيء تستطيعين تعلّمه خلال هذه الحياة بحيث تستمرين بالتطور والازدهار؟».

- «الثقة». أجابت بسرعة، لقد علمت مهمتها الأساسية.

- «الثقة؟» كررت، وقد فاجأتني سرعة ردّها.

- «نعم، يجب أن أتعلّم أن يكون لدي إيمان، وأن أثق بالناس أيضًا، لا أدري ولكنّي أشعر بأنّ الجميع يحاول إيذائي، وهذا ما يجعلني بعيدة عن الناس والأحداث التي ربما يجب ألّا أبقى بعيدة عنها، إنّها تبقيني مع أشخاص يجب أن أنفصل عنهم».

كانت معلوماتها مثيرة حين كانت في حالة الوعي الفائق، كانت تعلم نقاط ضعفها وقوتها، كانت تعرف المجالات التي تتطلب الانتباه والجهد، وكانت تعلم ما يجب فعله لتحسين الأمور، المشكلة الوحيدة هي وجوب وصول تلك المعلومات إلى عقلها الواعي، ومن ثمّ تطبيقها في حياتها اليومية، المعلومات من العقل الفائق كانت مذهلة، ولكنها ليست كافية لوحدها لصنع التغيير لديها.

- «من هم أولئك الأشخاص الذين ينبغي أن تنفصلي عنهم؟». سألتها.

توقفت: «أنا خائفة من بيكي؛ ومن ستيوارت (...) خائفةٌ من أن يتمّ إيذائي بشكل ما (...) من قبلهما».

- «هل تستطيعين الانفصال عن ذلك؟».

- «ليس بشكل تام، أريد الانفصال عن أفكارهم وحسب، ستيوارت يحاول أن يبقيني محبوسة، وهو ينجح في ذلك، لعلمه بأنّني أخاف البعد عنه، وهو يستخدم هذه المعرفة ليبقيني معه».

- «وبيكي؟».

- «إنّها تحاول باستمرار أن تكسّر من إيماني بالناس الذين أثق بهم، حين أرى محاسنهم، ترى هي مساوئهم، وتحاول غرس هذه الأفكار في ذهني، أنا أتعلّم الثقة (...) الثقة في الناس، ولكنّها تملؤني بالشكوك حولهم، هذه مشكلتها، لا أستطيع أن أسمح لها بأن تجعلني أفكر مثلها».

في حالتها من الوعي الفائق، كانت كاثرين قادرة على تحديد الجوانب السلبية في كلّ من شخصية بيكي وستيوارت، كاثرين المنومة باتت تشكل طبيبة نفسية بارعة، متعاطفة وحدسها لا يخطئ، أما كاثرين الواعية فلم تملك تلك القدرات، ومهمتي هي جسر هذه الهوة. كان تحسنها الصحي كبيرًا، ما يعني أنّ هناك تطورًا من اللاوعي إلى الوعي، لقد قمت بالمزيد من جسر الهوة.

- «بمن تثقين؟»، سألتها، «فكري بالأمر، من هم الأشخاص الذين تثقين بهم، وتتعلمين وتتقربين منهم، من هم؟».

- «أنا أثق بك». همست.

- «أعلم ذلك»، لكنّني أعلم أنها تحتاج لأن تثق بالناس في حياتها اليومية بشكل أكبر، «نعم، تستطيعين ذلك؛ أنت قريبة مني، ولكن يجب أن تكوني قريبة من أشخاص آخرين غيري في حياتك، أشخاص يمكن أن يكونوا بجوارك أكثر مني». أردتها أن تكون كاملة ومستقلة وألّا تعتمد عليّ.

- «أستطيع أن أثق بأختي، لا أعرف الآخرين، أستطيع أن أثق بستيوارت، إنّما لدرجة معينة فقط، إنّه يهتم بي، ولكنّه شخص حائر، وبحيرته قد يسبب لي الأذى من دون أن يدري».

- «نعم هذا صحيح، هل هناك رجل آخر تثقين به؟».

- «أثق بروبرت». أجابت، كان طبيبًا آخر في المستشفى، كان وكاثرين صديقين جيدين.

- «نعم ربما هناك المزيد بالنسبة لك لتعرفيه (...) في المستقبل».

- «نعم».

اعترفت بفكرة المعرفة المستقبلية، كانت مثيرةً للاهتمام! كانت كاثرين محقّة فيما يخصّ الماضي؛ فهي من خلال المعلمين قد توصلت لمعرفة حقائق سريّة بشكل محدد؛ فهل يمكن لهم أيضًا أن يعرفوا حقائق عن المستقبل؟ إذا كان الأمر كذلك فهل يمكن مشاركة هذه التنبؤات؟ ألف سؤال تبادر إلى ذهني.

- «حين تتصلين بعقل الوعي الفائق مثل الآن، وتحصلين على هذه الحكمة، هل تطورين القدرات أيضًا في العالم النفسي؟ هل يمكن لك النظر إلى المستقبل؟ لقد قمنا بالكثير في الماضي».

- «هذا ممكن»، أجابت، «ولكني لا أرى شيئًا الآن».

- «هذا ممكن!»، كررتُ

- «أعتقد ذلك».

- «هل يمكنك عمل ذلك من دون خوف؟ هل يمكنك الذهاب للمستقبل والحصول على معلومات من مصدر محايد من دون أن تخافي؟ هل تستطيعين رؤية المستقبل؟».

كان جوابها سريعًا: «لا أرى ذلك، لن يسمحوا لي بهذا». كانت تقصد المعلمين.

- «هل هم حولك الآن؟».

- «نعم».

- «هل يتحدثون معك؟».

- «لا، إنّهم يراقبون كلّ شيء».

إذًا لكونها مُراقَبة لا يمكنها النظر للمستقبل. ربما لم يكن لدينا شيء شخصيّ للحصول عليه من لمحة كهذه، ربما ستؤدي المغامرة إلى جعل كاثرين قلقة للغاية، ربما لا نكون مستعدين بعد للتعامل مع هذه المعلومة، لذلك لم أدفعها أكثر.

- «الروح كانت حولك قبل جيديون».

- «نعم».

- «ماذا يحتاج؟ لماذا جيديون قريب منك؟ هل تعلمين من هو؟».

- «لا، لا أعتقد ذلك».

- «ولكنّه يحميكَ من الخطر؟».

- «نعم».

- «المعلمون (...) لا أراهم، أحيانًا يحملون رسالة لي، رسائل تساعدك وتساعدني، هل هذه الرسائل متاحة لكِ، حتى وهم صامتون؟ هل يغرسون الأفكار في ذهنك؟».

- « نعم».

- «هل تراقبين مقدار المسافة التي تذهبين إليها؟ ماذا تتذكرين؟».

- « نعم».

- «إذًا هناك هدف في شرح الحيوات؟».

- «نعم (...) بالنسبة لكَ ولي (...) من أجل تعليمنا، ولنصل إلى درجة تلاشي المخاوف. هناك العديد من طرق الاتصال، إنّهم يختارون الكثير (...) ليظهروا بأنّهم موجودون».

سواء أكانت كاثرين تسمع أصواتهم، أو ترى صورًا وآراءً من الماضي وتختبر ظاهرة نفسية، أو أنّ لديها أفكارًا وخواطرَ تغرس في ذهنها، فالغرض يظلّ نفسه - ليظهروا أنّهم موجودون - بل إنّ الأمر ليذهب أبعد من ذلك، إنّهم يجهدون في مساعدتنا وإعانتنا في طريقنا من خلال تقديم المعلومات والمعرفة، لتقريبنا من الاتصاف بصفات الإله من خلال الحكمة!

- «هل تعلمين لماذا قاموا باختيارك؟».

- «لا».

- «لتكوني واسطة؟». كان هذا سؤالاً دقيقًا، بما أنّ كاثرين الواعية لم تكن تستطيع سماع الأشرطة.

- «لا». همست برفق.

- «هل يخيفك ذلك؟».

- «بعض الأوقات».

- «وفي أوقاتٍ أُخرى لا تخافين؟».

- «نعم».

- «يمكن أن يكون ذلك من باب التأكيد»، أضفت، «نحن نعلم الآن أنّنا خالدون، وبهذا نتخلص من الخوف من فكرة الموت».

- «نعم»، اتفقت معي؛ ثم توقفت، «يجب أن أتعلّم الثقة». عادت للدرس الرئيسي لحياتها «حين يخبرونني بشيء، فيجب أن أتعلّم الوثوق بما يتمّ إخباري به (...) من شخصٍ صاحب

معرفة».

- «بالتأكيد هناك أشخاص لا يوثق بهم». أضفت.

- «نعم ولكنني محتارة، والأشخاص الذين أعرف أنني يجب أن أثق بهم، أنا أواجه هذا الشعور، ولا أريد أن أثق بأيّ أحد». عادت للصمت وكنت معجبًا بمعلومتها.

- «في آخر مرة تحدثنا عنك كطفلة، في حديقة مع أحصنة، هل تذكرين؟ أثناء عرس أختك؟».

- «إلى حد ما».

- «هل هناك المزيد للاستفادة منه في تلك الحياة؟ هل من المفيد العودة إليها الآن واستكشافها؟».

- «لن أعود الآن، هناك الكثير من الأشياء في الحياة (...) هناك الكثير من المعرفة لتحصيلها (...) من كلّ حياة. نعم، يجب أن نستكشف ولكنني لن أعود الآن».

لذا عدت مجددًا إلى مشكلتها في العلاقة مع الأب: «علاقتك مع أبيك هي مجال آخر، مجال أثّر فيكِ بعمق في هذه الحياة».

- «نعم». أجابت ببساطة.

- «إنّه مجال إضافي لاستكشافه أيضًا، كان لديك الكثير لتتعلميه من هذه العلاقة؛ قارنيها بالطفل الأوكراني الصغير الذي فقد والده في سن مبكرة، وهذه الخسارة لم تحدث لك في هذا الزمن، ووجود والدك هنا، بالرغم من صعوبات معينة كان أقل».

- «كانت عبئًا أثقل»، قالت، «أفكار ...»، أضافت، «أفكار».

- «أيّة أفكار؟». أحسست أنّها كانت في مكان جديد.

- «أفكار عن التخدير، حين يعطونك مخدرًا هل تسمع؟ كنت لا أزال أسمع!». أجابت عن سؤالها الخاص، وقتذاك، كانت تهمس بسرعة وابتهاج: «عقلك يصبح واعيًا بما يحدث، كانوا

يتحدثون عن الاختناق، عن احتمالية حدوثه لي وهم يجرون جراحةً لحلقي».

أتذكر عملية الحبال الصوتية لكاثرين، والتي أجرتها قبل بضعة شهور من أول موعد لها معي.

كانت كاثرين قلقة قبل العملية، ولكنّها بدت في رعبٍ تامّ بعد الاستيقاظ في غرفة الإنعاش. وقد تطّلب الأمر من الممرضات ساعات لتهدئتها، وظهر الآن أنّ السرّ في الأمر هو ما قاله الجراحون أثناء العملية، وما سمعته كاثرين خلال الوقت الذي كانت فيه تحت التخدير العميق، هو ما كثّف رعبها، عاد ذهني إلى مدرسة الطبّ ودوري في الجراحة، تذكرت النقاشات العفوية أثناء العمليات بينما يكون المريض تحت التخدير، أتذكر النكات واللعنات والجدل ونوبات غضب الجراحين، وما يكون المرضى قد سمعوه في مرحلة اللاوعي! وما هو تأثير ما تمّ تخزينه على أفكارهم ومشاعرهم، وكم أثار فيهم من المخاوف والقلق بعد الاستيقاظ! هل كانت مرحلة بعد العملية – مرحلة التعافي بعد الجراحة - قد تأثرت بشكل إيجابي أو سلبي من خلال التعليقات أثناء العملية؟ هل مات أحد ما بسبب التوقعات السلبية التي قيلت فوق رأسه أثناء الجراحة؟ هل أحسّ البعض بفقدان الأمل واستسلم؟

- «هل تتذكرين ماذا كانوا يقولون؟». سألتها.

- «أتذكر أنّهم قالوا إنّ عليهم أن ينزعوا أنبوبًا، قد يتسبب نزعه بانتفاخ حنجرتي، لم يظنّوا أنني أستطيع السماع».

- «ولكنك سمعت».

- «نعم، وهو ما سبّب لي جميع المشاكل التي حصلت».

عقب هذه الجلسة لم يعد لدى كاثرين مخاوف من البلع أو الاختناق، لقد تابعت بالقول: «كان الأمر بهذه البساطة، كلّ القلق الذي عانيته كان سببه ظنّي بأنّني سأختنق».

فسألتها: «هل تشعرين بالتحرر؟».

- «نعم».

- «هل تستطيعين تغيير حوارهم؟».

- «هل أستطيع؟ نعم، يجب أن يكونوا حذرين فيما يقولون؛ أتذكر ذلك الآن؛ لقد وضعوا أنبوبًا في حلقي، ثم لم أستطع الحديث لأخبرهم بأيّ شيء».

- «الآن أنت حرة (...) لقد سمعتِهم».

- «نعم سمعتهم يتحدثون». صمتت لدقيقة أو اثنتين، ثم بدأت بتحريك رأسها من جهةٍ لأُخرى، بدا وكأنّها تصغي لحديث ما.

- «يبدو بأنّك تستمعين لرسائل معينة، هل تعرفين مصدرها؟». كنت آمل بظهور أحد المعلمين.

- «أحد ما أخبرني». كان جوابها خفيًّا!

- «هل حدّثك أحدهم؟».

- «نعم ولكنّهم اختفوا».

حاولتُ إعادتهم فقلت لها: «انظري إذا استطعت إعادة الأرواح مع رسائل لنا (...) لمساعدتنا».

فأجابت بصرامة: «إنّهم يأتون حين يريدون فقط، ليس لنا خيار في هذا».

- «ألا تملكين أيّ تحكّم بالموضوع؟».

- «لا».

ثمّ تابعتُ: «ولكن الرسالة حول التخدير كانت مهمة للغاية بالنسبة لك، كانت تفسر سبب شعورك بالاختناق».

- «كانت مهمة لك وليس لي». ردّت عليَّ، فتردد صدى إجابتها في ذهني، كانت تتعافى من خوف الاختناق، ومع ذلك فإنّ هذا الكشف كان أكثر أهمية لي مما كان بالنسبة إليها؛ كنت الشخص الذي يقوم بالعلاج، كانت إجابتها البسيطة تتضمن مستويات مختلفة من المعاني، شعرت بأنّني في

حال فهمي فعلاً لهذه المستويات، التي تشكل العديد من المعاني، فإنّني سأقفز قفزة متقدمة في فهم العلاقات البشرية، ربما كانت المساعدة أهم من العلاج.

- «هل قدمت الدروس لي من أجل مساعدتك؟». سألتها.

- «نعم، نعم فأنت تستطيع إعادة ما قاموا به، لقد كنت تعيد ما يقومون به». كانت تستريح، لقد تعلّم كلٌّ منا درسًا عظيمًا.

بعد عيد ميلادها الثالث بقليل، جاءت ابنتي آمي تركض باتجاهي، تعانقني حول رجلي، نظرت للأعلى وقالت: «أبي، لقد أحببتك لأربعين ألف سنة».

نظرت للأسفل إلى وجهها الصغير، وشعرت بسعادة كبيرة للغاية.

الفصل الحادي عشر
نبوءة

بعد عدة ليال استيقظت من نوم عميقٍ وأنا أرتجف، وما لفتني على الفور، هو أنّني قد حلمت بوجه كاثرين لعدة مرات بأكبر من حجمه في الحياة، كانت تبدو حزينةً، كما لو أنّها تريد مساعدتي، نظرت للساعة كانت تشير إلى الثالثة وستٍ وثلاثين دقيقة صباحًا، لم يكن هناك أصوات إزعاج في الخارج لتوقظني، وكارول كانت تنام إلى جانبي بسلام. تجاهلت الحادثة وعدت إلى النوم.

في تمام الثالثة ثلاثين دقيقةً وفي نفس الصباح، كانت كاثرين قد استيقظت من نوبة هلع إثر كابوس رأته؛ كانت تتعرق وقلبها يخفق بشدة، قررت التأمل والاسترخاء، وهي تتخيلني أنوّمها في المكتب، تخيلت وجهي، سمعت صوتي، ثمّ عادت بالتدريج إلى النوم.

كانت قدرات كاثرين النفسية تزداد بشكلٍ مطَّرد، وهكذا أصبحت. كنت أسمع أساتذة الطبّ النفسي القدماء يتحدثون حول التحولات وردود الفعل المضادة لها في العلاقات العلاجية، وما يحدث في هذه التحولات، أن يقوم المريض بإسقاط مشاعره وأفكاره وأمنياته على المعالج، الذي يمثل شخصًا من ماضي المريض، أمّا التحولات المعاكسة، فهي انعكاس ردود الفعل العاطفية اللاواعية للمعالج على المريض. هذه عبارة عن رابط أثيري عبر موجات خارج القنوات المعتادة، وبشكل ما، كان التنويم يفتح هذه القنوات، أو ربما كان الجمهور، مجموعة مختلفة من الأرواح - المعلمين والحراس والآخرين - هم المسؤولون عن طول الموجة الجديدة؟ كنت مندهشًا لأبعد درجة، في الجلسة التالية، انتقلت كاثرين بسرعة إلى مستوى التنويم بعمق. وكانت متنبهة على الفور:

- «أرى غيمة كبيرة (...) إنّها تخيفني». كانت هناك، كانت تتنفس بسرعة.

- «أما تزال هناك؟».

- «لا أدري، لقد أتت وذهبت بسرعة (...) شيء ما أعلى الجبل». ظلت متنبهة، واستمرت بالتنفس بصعوبة.

خشيت بأنّها قد رأت قنبلة: «هل يمكنكِ النظر إلى المستقبل؟ هل يمكنك رؤية الجبل؟ هل يشبه ما ترينه القنبلة؟».

- «لا أدري».

- «لماذا تخيفك؟».

- «إنّها لحظات مفاجئة، فيها الكثير من الدخان (...) دخان كثيف، إنّها كبيرة وبعيدة (...) أوه».

- «أنت بأمان، هل يمكنك الاقتراب منها؟».

- «لا أريد الاقتراب». أجابت بحزم.

كان من النادر بالنسبة لها أن تكون مترددة: «لمَ أنت خائفة منها؟»، سألتها ثانيةً، أعتقد أنّها نوع من الكيميائيات أو شيء مشابه ذلك، من الصعب التنفس حين تكون بجوارها، كانت تتنفس بصعوبة، «هل تشبه الغاز؟ هل هي تنبع من الجبل نفسه (...) كبركانٍ مثلاً؟».

- «أعتقد ذلك؛ إنها تشبه فطرًا كبيرًا، هذا ما تبدو عليه (...) لونها أبيض».

- «ولكنّها ليست قنبلة؟ ليست قنبلة ذرية أو شيء مشابه؟».

توقفت هنيهة ثم تابعت: «إنها بركان (...) كأنّها بركان أو ما شابه، أعتقد إنّها مخيفة للغاية، من الصعب التنفس؛ هناك غبار في الهواء. لا أريد أن أتواجد هناك». عاد تنفسها ببطء. طبيعيًا وعميقًا بالقياس لتنفس حالة التنويم.

- «لقد تركتِ المشهد المخيف، من السهل التنفس الآن؟».

- «نعم».

- «جيد، ماذا ترين الآن؟».

- «لا شيء (...) أرى قلادة على عنق شخص ما، إنّها زرقاء (...) قلادةٌ فضية وتحمل حجرًا أزرق معلق عليها، وهناك أحجار أصغر معلقة عليها».

- «هل هناك شيء ما على الحجر الأزرق؟».

- «لا إنّها شفافة، يمكن أن ترى من خلالها، المرأة ذات شعرٍ أسود وقبعة زرقاء عليها (...) ريشة كبيرة، وملابسها مصنوعةٌ من المخمل».

- «هل تعرفين المرأة؟ هل أنت هناك، أم هل أنت هي المرأة؟».

- «لا أدري».

- «ولكنك ترينها؟».

- «نعم، أنا لست المرأة».

- «كم عمرها؟».

- «امرأةٌ أربعينية، ولكنّها تبدو أكبر من عمرها الحقيقي».

- «هل هي تقوم بشيء ما؟».

- «لا، إنّها تقف بجانب الطاولة فقط، هناك زجاجة عطر على الطاولة، إنّها بيضاء وعليها ورد أخضر، وهناك فرشاة ومشط ذو يد فضية».

كنت مبهورًا بدقة ملاحظتها للتفاصيل: «هل هي في غرفتها أم أنّها في المحل؟».

- «في غرفتها، هناك سرير فيها (...) مع أربعة أغراض عليه، إنّه سرير بني. هناك جرة على الطاولة».

- «إبريق؟».

- «نعم، لا يوجد صور في الغرفة، هناك ستائر داكنة مضحكة».

- «هل من أحد آخر في الجوار؟».

- «لا».

- «ما هي علاقتك بهذه المرأة؟».

- «أنا أخدمها». عادت ثانيةً كخادمة.

- «هل كنت معها لفترة طويلة؟».

- «لا (...) لبضعة شهور».

- «هل تحبين تلك القلادة؟».

- «نعم، إنّها أنيقة للغاية».

- «هل ارتديت القلادة من قبل؟».

- «لا».

كانت إجاباتها القصيرة تتطلب مبادرةً نشيطةً منّي للحصول على المعلومات الأساسية، ذكرتني بابني الذي لم يدخل بعد مرحلة المراهقة: «كم هو عمرك الآن؟».

- «ثلاثة عشر عامًا أو أربعة عشر».

- «لماذا تركت عائلتك؟».

أوضحت لي قائلةً: «لم أتركها، أنا أعمل هنا لوقتٍ محدد».

- «أتعودين إلى منزلك بعد الانتهاء من العمل؟».

- «نعم».

- «أتسكنين على مقربةٍ من هنا؟».

- «أجل. نحن فقراء للغاية، من الضروري لنا أن نعمل (...) أن نخدم».

- «هل تعرفين اسم المرأة؟».

- «بيليندا».

- «هل تعاملك بشكل جيد؟».

- «نعم».

- «جيد، هل تعملين بجد؟».

- «ليس الأمر متعبًا لهذه الدرجة».

مقابلة المراهقين ليست بالأمر السهل، حتى في الحيوات السابقة، من حسن الحظ أنني متمرس جيد: «هل لا زلت ترينها الآن؟».

- «لا».

- «أين أنت الآن؟».

- «في غرفة أُخرى، هناك طاولة بغطاء أسود (...) قماش يتدلّى حتى أسفلها، رائحتها خليط من مجموعة أعشاب (...) عطر ثقيل».

- «هل كلّ هذا مرتبط بسيدتك؟ هل تستعمل الكثير من العطر؟».

- «لا إنّها غرفة أُخرى، أنا في غرفة أُخرى».

- «غرفة من هي؟».

- «إنّها تتبع لامرأة معتمة».

- «ماذا تعنين بمعتمة؟ هل تستطيعين رؤيتها؟».

- «تُجلِل رأسها بالكثير من الشالات»، همست كاثرين، «العديد من الشالات القديمة والمجعدة».

- «ماهي علاقتك بها؟».

- «ذهبت لأراها فقط».

- «لماذا؟».

- «إنّها تقوم برؤية بطاقات لي».

علمتُ بشكل حدسي أنّها ذهبت لعرافة، واحدة ممن تقرأن الطالع عن طريق أوراق التاروت، هذه نقلة غريبة! فبينما أنا وكاثرين منخرطان بمغامرة نفسية نتنقل خلالها بين الحيوات والأبعاد وما وراءها ربما قبل مئتي عامٍ، وإذ بها تزور عرافةً لتكشف لها عن مستقبلها! ما أعرفه أن كاثرين لم تزر عرافة في حياتها الحاضرة، ولم يكن لديها معرفة بأوراق التاروت لكشف الطالع، فهذه الأشياء تخيفها.

- «أهذه المرأة تقرأ الحظ؟». سألتها.

- «إنّها ترى الأمور».

- «هل لديك سؤال لها؟ ماذا تريدين أن تعرفي؟».

- «عن رجل ما (...) قد أتزوجه».

- «ماذا قالت حين قرأت الأوراق؟».

- «البطاقة (...) ذات الأقطاب (...) أقطاب وورود (...) هناك أعمدة (...) رماح، أو نوع من الخطوط (...) هناك بطاقة أُخرى عليها كوب (...) أرى بطاقةً مع رجل أو طفل يحمل درعًا، قالت لي بأنّني سأتزوج، ولكن ليس من هذا الرجل (...) لا أرى شيئًا آخر».

- «هل ترين المرأة؟ ألا زلت معها، أم أنت في مكان آخر؟».

- «أنا معها».

- «كيف تبدو العملات؟».

- «إنّها ذهبية، وحوافها ليست انسيابية، إنّها مربعة، هنالك تاج على أحد الجوانب».

- «انظري إن كان هنالك عام مطبوع على العملات، شيء تستطيعين قراءته (...) كتابة ما؟».

- «هناك أرقام أجنبية»، أجابت، «إكس وآي».

- «هل تعلمين أي عام هذا؟».

- «سبعة عشر (...) لا أدري متى». عادت للصمت مجددًا.

- «لماذا قراءة الحظ مهمة لك؟».

- «لا أدري ...».

- «هل تتحقق قراءتها؟».

همست كاثرين: «لقد ذهبت، لا أدري».

- «هل ترين شيئًا الآن؟».

- «لا».

- «لا؟»، كنت متفاجئًا بمكان تواجدها، «هل تعرفين اسمك في هذه الحياة؟». سألتها متأملاً أن ألتقط مسار تلك الحياة قبل عدة مئات من السنين، ولكنها كانت قد غادرت، وأخذت ترتاح، يمكنها أن تقوم بذلك بمفردها، لم يعد من الضروري بالنسبة لها أن تختبر موتها للقيام بذلك، انتظرنا لعدة دقائق، لم تكن هذه الحياة مثيرة، حيث تذكرت فقط بعض التفاصيل والزيارة المثيرة لقارئة الحظ.

- «هل ترين شيئًا الآن؟». سألت مجددًا.

- «لا». همست.

- «هل كنت تستريحين؟».

- «نعم (...) هناك جواهر من عدة ألوان».

- «جواهر؟ ماذا أيضًا؟». سألتها.

- «أنا فقط ...»، توقفت، ثم أصبح همسها عاليًا وحازمًا، «هنالك العديد من الكلمات والأفكار تطير في المحيط (...) إنّه حول التعايش والانسجام (...) توازن الأشياء».

علمتُ أنّ المعلمين كانوا قريبين.

- «نعم»، شجعتها، «أريد أن أعرف عن هذه الأمور، هل يمكن أن تخبريني؟».

فأجابت: «حتى الآن هي مجرد كلمات».

- «التعايش والانسجام». ذكرّتها.

فقالت: «كلّ شيء يجب أن يكون متوازنًا، الطبيعة متوازنة، الحيوانات تعيش فيها بانسجام، أمّا البشر فلم يتعلموا ذلك؛ إنّهم مستمرون في تدمير ذواتهم، ليس بينهم أيّ انسجام، وهم لا يخططون لما يقومون به، الأمر مختلف تمامًا في الطبيعة، الطبيعة متوازنة، الطبيعة هي الطاقة والحياة (...) والتجديد، البشر مُدمرون. إنّهم يدمرون الطبيعة، ويدمرون أخوتهم في الإنسانية، وفي النهاية سوف يدمرون أنفسهم».

كانت نبوءةً مشؤومة، فهذا العالم يتخبط في فوضى مستمرة وشغب، آمل ألّا يكون ذلك قريبًا! سألتها:

- «متى سيحدث ذلك؟».

- «سيحدث بأقرب مما يتوقعون؛ ستنجو الطبيعة والنباتات، ولكنّ البشر لن ينجوا».

- «هل يمكن عمل شيء للنجاة من الدمار؟».

- «لا. كلّ شيء يجب أن يكون متوازنًا».

- «هل سيحدث هذا الدمار في حياتنا؟ هل يمكنّنا أن نتجنبه؟».

- «لن يحدث في حياتنا، سنكون في عالم آخر، بُعد آخر حين يحدث، ولكننا سنراه».

- «ألا يوجد طريقة لتعليم البشرية؟».

- «ما زلت أبحث عن مخرج، لبعض الاحتمالات».

سيكون ذلك على مستوى آخر، سنتعلم من ذلك. أنا أنظر إلى الجانب المشرق: «حسنًا إذًا سترتقي أرواحنا في أماكن مختلفة».

- « نعم».

- «ليس الأمر بأكثر من ذلك؛ سنرى أرواحنا، على الشكل الذي نعرفها به».

- «نعم».

اعترفت بذلك: «لدي حاجة لتعليم هؤلاء الناس، ولكن لا أدري كيف أصل إليهم، هل هناك من طريقة لذلك؟ أم أنّ عليهم تعلّم ذلك بأنفسهم؟».

- «من أجل وقف التدمير عليك الوصول للجميع، وهذا أمرٌ غير ممكن، لذا لن يمكنك إيقاف التدمير، سيتعلمون فقط حين يتطورون (...) سيتعلمون، سيكون هناك سلام، ولكن ليس هنا، ليس في هذا البعد».

- «في النهاية هل سيكون هناك سلام؟».

- «نعم، ولكن في مستوىً مختلف».

- «يبدو ذلك بعيدًا! الناس يثيرون الشفقة الآن (...) طماعين، متعطشين للسلطة، طموحين؛ وقد تجاهلوا الحبّ والتفهم والمعرفة».

- «هناك الكثير مما يجب عليهم أن يتعلّموه».

- «أجل».

- «هل يمكن أن أكتب شيئًا لأساعد هؤلاء الناس؟ هل هناك طريقة ما؟».

فردّت: «أنت تعلم الطريقة، ليس علينا أن نخبرك، سيكون ذلك من دون فائدة، فجميعنا سنصل لذلك المستوى وسنرى، نحن جميعنا متشابهون؛ لا يوجد أحد أعظم من الآخر، وكلّ ذلك مجرد دروس (...) وعقوبات».

- «نعم أوافقك الرأي، كان هذا درسًا قيمًا، وقد احتجت وقتًا لاستيعابه».

عادت كاثرين للصمت. انتظرنا لبرهةٍ ريثما ترتاح، وأستوعب أنا تصريحات الساعة الماضية على نحوٍ مكثف، وأخيرًا كسرت كاثرين الصمت بالقول: «الجواهر اختفت (...) الجواهر اختفت، الأضواء (...) اختفت. نعم، لم أعد أرى شيئًا».

توقفت وبدأ رأسها يتحرك من طرف لآخر، فسألتها:

- «أهناك روح (...) تنظر إليك؟».

- «نعم».

- «هل تعرفين تلك الروح؟».

- «أنا لست متأكدة (...) أظنّ بأنّه ربما يكون إدوارد».

لقد مات إدوارد خلال العام الفائت، كان إدوارد متوفرًا ويبدو بأنّه يحيط بها دائمًا: «كيف تبدو الروح؟».

- «إنّها بيضاء (...) مثل النور، ليس لها وجه، أو ليس كما نعرف».

- «ولكنّه رجل؟ هل كان يتواصل معك؟».

- «لا كان يكتفي بالمراقبة».

- «هل كان يستمع لما أقول؟».

- «نعم، ولكنه ذهب الآن، كان يريد التأكد من أنّ أموري تجري بخير».

فكرتُ بطريقة صحيحة بالملاك الحارس، لقد كان إدوارد بكلّ تأكيدٍ وهو في طور الروح المحبّ والمحيط الذي يراقبها للتأكد فقط من أنّها بخير، قد قام بهذا الدور الملائكي، وقد تكلمت كاثرين سابقًا عن الأرواح الحارسة، فتعجبتُ من كمية «الأساطير» الطفولية المتجذرة في ماضٍ لا نتذكر منه إلّا القليل!

كما تساءلت عن تراتبية الأرواح، وعمن يكون فيها حارسًا، ومن يكون معلمًا، ومن لا يكون أيًا منهما، ويقتصر دوره على التعلّم، لا بدّ وأن تُبنى هذه التراتبية على قدر الحكمة والمعرفة، مع هدف نهائي، وهو الوصول إلى ما يشبه صفات الإله، أو ربما مقاربة الاندماج مع الإله، كان هذا هدف اللاهوتيين المتصوفين الذين وصفوه بعبارات مختلفة على مرّ القرون. كانوا يصلون إلى ومضات من هذا الاتحاد الإلهي، في ضوء الاقتصار على مثل هذه النماذج من التجارب، فإن وسائل عن طريق كاثرين، ومن خلال موهبتها الاستثنائية قد قدمت أفضل رؤية.

ذهب إدوارد، وعادت كاثرين للصمت. كان وجهها مسالمًا ويلفها الصفاء. أيُّ موهبة فذة امتلكتها كاثرين! القدرة على رؤية ما وراء الموت! والحديث مع «الآلهة» ومشاركتها حكمتها! لقد أتاحت لنا أن نأكل من شجرة المعرفة غير المحرمة بعد الآن، ما جعلني أتساءل عن عدد التفّاحات التي بقيت أمامنا!

كانت مينيت، أم كارول تموت من السرطان الذي انتشر من ثديها إلى عظامها وكبدها، استمر الأمر لأربع سنوات ولم يعد بالإمكان تخفيفه الآن، حتى من خلال العلاج الكيماوي، لكنّها كانت امرأة شجاعة احتملت مصاعب الألم والضعف، ومرضها آخذٌ في التزايد، وعلمت أنّ موتها قد اقترب، كانت الجلسات مع كاثرين مستمرةٌ بالتزامن مع تدهور حالتها، فأخذت أشارك التجارب والكشوفات مع مينيت، وما أثار استغرابي بأنّ امرأة أعمال واقعية مثلها، قد قبلت بهذه المعرفة وأرادت تعلّم المزيد.

أعطيتها بعض الكتب، فأقبلت على قراءتها بمنتهى اللهفة، وقامت بترتيب مواعيد معنا أنا وكارول لأخذ دروس في الكابالا والكتابات الصوفية اليهودية التي يمتد عمرها لقرون، إعادة التجسّد والعوالم البينية، هي من مبادئ وأدبيات الكابالا، وعلى الرغم من ذلك، فإنّ أكثر اليهود معاصرة ما زالوا غير واعين لذلك. كانت روح مينيت تقوى مع تدهور صحتها، فخوفها من الموت قد تلاشى؛ وبدأت بتوقع اجتماعها مع زوجها الحبيب «بين» آمنت بخلود روحها، وهذا ما ساعدها على تحمّل الألم، كانت متمسّكة بالحياة، بانتظار ولادة حفيدة جديدة، الطفلة الأولى لابنتها دونا، كانت قد قابلت كاثرين في المستشفى أثناء علاجها، وتلاقت عيونهم وكلماتهم بسلام وحماسة؛ لقد ساعد صدق وأمانة كاثرين باقتناع مينيت بأنّ وجود حياة أُخرى هو حقيقة.

قبل وفاتها بأسبوع واحد، قامت مينيت بالاعتراف بذلك في طابق الأورام في المستشفى!

أنا وكارول كنّا قادرَين على إمضاء وقت معها، نتحدث عن الموت والحياة، وعمّا ينتظرنا جميعًا بعد الموت؛ إنّها امرأة ذات كرامة عالية، لقد قررت الموت في المستشفى، بحيث يمكن للممرضات الاعتناء بها، دونا وزوجها وابنتهما ذات الستة أسابيع قد جاؤوا لتمضية وقت معها ووداعها، كنا باستمرار مع مينيت، وفي حوالي السادسة من المساء الذي ماتت فيه، كنت أنا وكارول قد وصلنا للتوّ إلى المنزل قادمَين من المستشفى، لكنّ كلينا قد أحسّ بدافع قوي لضرورة العودة إلى المستشفى، أمضينا معها ست أو سبع ساعات مليئة بالصفاء وتسامي الطاقة الروحية، وعلى الرغم من صعوبة تنفسها، لم تشعر مينيت بالألم، تكلمنا عن انتقالها للحالة البينية، والنور الساطع وحضور الروح؛ راجعت حياتها بصمت، وعانت في تقبّل الأجزاء السلبية فيها، بدا وكأنّها تعلم بعدم قدرتها على الانسحاب قبل اكتمال هذه العملية. كانت تنتظر وقتًا محددًا لتموت، في بداية الصباح أخذ صبرها ينفد وهي تنتظر هذا الوقت ليأتي. مينيت كانت أول شخص أُرشِده إلى الموت، ومن خلال هذه الطريقة، كانت قوية، وقد تراجع الحزن لدينا من التجربة برمتها.

وجدت أن قدرتي على علاج مرضاي قد توسعت بشكل جوهري، ليس بما يقتصر على المخاوف والقلق وحسب، ولكن أيضًا بما يتعلق باستشارات عن الموت أو الحزن خاصة، علمت بشكل حدسي مكمن المشكلة، وفي أيّ اتجاه يجب عليَّ أن أتجه بالعلاج.

كنت قادرًا على نقل مشاعر الهدوء والأمل. بعد وفاة مينيت؛ الكثير من الناس الذين كانوا يحتضرون أو الذين كان قد توفي أحد أفراد عائلاتهم قد جاؤوا طلبًا للمساعدة، والكثيرون لم يكونوا مستعدين بعد ليعرفوا عن كاثرين أو عن معلوماتٍ بشأن الحياة ما بعد الموت.

ولكن حتى من دون نقل مثل هذه المعرفة المحددة، شعرت بأنّه ما يزال بإمكاني توصيل الرسالة، من خلال نبرة الصوت، والفهم المتعاطف للعملية ولمخاوفهم ومشاعرهم، بنظرةٍ أو لمسة، يمكن للجميع الوصول إلى مستوى ما، ومقاربة الأمل بروحانية منسية، أو إنسانية مشتركة، وأكثر.

هؤلاء الأشخاص المستعدون للمزيد، ولاقتراح قراءات أُخرى، ومشاركتي لتجربتي مع كاثرين والآخرين، كانوا مثل نافذة مفتوحة تُدخِل الهواء العليل، هؤلاء المستعدون كانوا منتعشين، فقد حصلوا على المعلومات بشكل أسرع، أعتقد بقوة أنّ المعالجين يجب أن يكون لديهم أذهانًا متفتحة، كما أنّ مواصلة المزيد من العمل العلمي ضروري لتوثيق الموت وتجاربه، على نماذجٍ مثل كاثرين، مما يستدعي عملاً أكثر تجريبية في هذا المجال، ويجب على المعالجين أن يأخذوا

باعتبارهم الحياة ما بعد الموت، وأن يشملوها باستشاراتهم. وهم ليسوا مُلزَمين باستخدام التنويم، ولكن يجب أن يبقوا أذهانهم متفتحة، وأن يشاركوا معرفتهم مع المرضى، وألا يقللوا من تجارب مرضاهم. لقد تمّ تدمير الناس الآن بسبب تهديدات خلودهم. الإيدز والمحرقة النووية والإرهاب والمرض والعديد من الكوارث الأُخرى، تضغط على رؤوسنا وتعذبنا يوميًا. كثير من المراهقين يعتقدون بأنّهم لن يعيشوا الماضي كما كان في العشرينات، هذا أمر لا يصدق، مما يعكس الضغوط الهائلة في مجتمعنا.

على المستوى الفردي، فإنّ تجاوب مينيت مع رسائل كاثرين كانت مشجعة، فقد برأت روحها، وشعرت بالأمل في وجه الألم الجسدي وتدهور حالتها الصحية، ولكنّ الرسائل هي لنا جميعًا، وليست فقط للذين يحتضرون. هناك أمل لنا أيضًا، نحتاج أن يضع المزيد من الأطباء والعلماء تقارير عن آخرين غير كاثرين، لتأكيد ونشر رسائلها، والأجوبة موجودة؛ نحن خالدون؛ نحن سنبقى معًا إلى الأبد.

الفصل الثاني عشر
العوالم السبعة

مضت ثلاثة شهور ونصف منذ أول جلسة تنويم، لم تختفِ الأعراض التي أرهقت كاثرين وحسب، بل ذهبت إلى ما هو أكثر من التشافي، لقد كانت نابضة بالحيوية، ومحاطة بطاقة من السلام. كان الناس ينجذبون إليها، حين تتناول الفطور في كافتيريا المستشفى يسارع إليها الرجال والنساء لينضموا لها.

- «تبدين جميلة للغاية (...) أردت فقط أن أخبرك ذلك». يقول بعضهم. مثل بائع الأسماك، تلفّ بينهم بشكل مرئي، وقد كانت تأكل وهي غير ملاحظة في نفس الكافتيريا لسنوات.

كالعادة، دخلت في تنويم عميق في مكتبي ذي الإضاءة الخفيفة، شعرها الأشقر يتدلّى على الوسادة البيج المألوفة:

- «أرى مبنىً (...) مصنوعًا من الحجارة، وهناك شيء مثبتٌ في أعلاه، إنّها منطقة جبلية، إنّها رطبة جدًا (...) إنّها رطبة جدًا في الخارج، أرى عربة، أرى عربة تسير (...) في المقدمة؛ عربة فيها قشّ، نوعٌ من القشّ أو شيء من هذا القبيل، أو شيء لطعام الحيوانات، هناك بعض الرجال، إنّهم يرفعون نوعًا من اللافتات، شيء يرفرف في نهاية العصا. ألوان مشرقة جدًا، أسمعهم يتحدثون عن المغاربة (...) المغاربة، وحرب يجري خوضها، هناك نوع من المعادن، شيء معدني يغطي رؤوسهم (...) غطاء رأس مصنوع من المعدن، إنّه العام 1483. شيء ما متعلق بالدنماركيين».

- «هل نحن نحارب الدنماركيين؟».

- «هناك حرب يتم خوضها».

فسألتها: «هل أنت هناك؟».

- «لا أرى ذلك»، أجابت برفق، «أرى عربة ذات عجلتين، عجلتان والطرف الخلفي مفتوح، إنّها مفتوحة الأطراف بشرائح، شرائح خشبية، أرى (...) شيئًا معدنيًا يلبسونه حول أعنقاهم (...) معدن ثقيل جدًا على شكل صليب، ولكنّ نهايته معقوفة ودائرية (...) على الصليب، إنّه عيد بعض القديسين (...) أرى في أيديهم سيوفًا أو سكاكينًا ثقيلة للغاية، ذات نهايات حادة جدًا، إنّهم يتحضرون لمعركة ما».

فقلت لها: «انظري إذًا تستطيعين رؤية نفسك، انظري حولك، ربما تكونين جنديًا، أنت ترينهم من مكان ما، انظري حولك».

- «لقد أحضرت بعض المؤن، إنّها قرية، قرية ما». ثمّ عادت للصمت.

- «ماذا ترين الآن؟».

- «أرى لافتات، لافتات كثيرة، إنّها حمراء وبيضاء (...) بيضاء وعليها صليب أحمر».

- «هل هي لافتة قومك؟». سألت.

- «إنّها لافتة جنود الملك». أجابت.

- «أهو ملكك؟».

- «نعم».

- «هل تعلمين اسم الملك؟».

- «لا أسمع ذلك، إنّه ليس هنا».

- «هل تستطيعين تفحّص ملابسكِ، صفي ما ترتدين».

- «نوع من الجلد (...) سترة جلدية، قميص خشن للغاية وسترة جلدية (...) قصيرة، بعض الأنواع من الأحذية مصنوعة من جلد الحيوان (...) وهي ليست أحذية، إنّها شبيهة بجزمة أو خفّ، لا أحد يتحدث معي».

- «أتفهّم ذلك، ما لون شعرك؟».

- «إنّه فاتح، وفيه بعض الشيب، إنّني كبيرة».

- «ماذا تشعرين حيال هذه الحرب؟».

- «لقد أصبحت طريقة حياتي، وقد فقدت طفلاً في مناوشة سابقة».

- «ابنًا؟».

- «نعم». كانت حزينة.

- «من بقي لك؟ من بقي من عائلتك؟».

- «زوجتي (...) وابنتي».

- «ما اسم ابنتك؟».

- «لا أرى اسمها، لكنّي أتذكر موتها، أرى زوجتي».

كانت كاثرين ذكرًا وأحيانًا أنثى في العديد من المرات، وليس لها أطفال في بعض الحيوات، أو تكون قد ربّت العديد منهم في حيوات سابقة.

- «كيف تبدو زوجتك؟».

- «إنّها متعبة للغاية، إنّها مسنة ومتعبة جدًا، لدينا بعض العنزات».

- «ألا تزال ابنتك تعيش معك؟».

- «لا لقد تزوجت وتركتنا قبل فترة من الزمن».

- «هل أنت وحيدة، أعني أنت وزوجتك؟».

- «نعم».

- «كيف هي حياتك؟».

- «نحن متعبون، نحن فقراء للغاية، ليس الأمر سهلاً».

- «لا، لقد خسرتِ ابنًا هل تفتقدينه؟».

- «نعم». أجابت ببساطة وقد بدا عليها الحزن واضحًا، فغيّرت الموضوع:

- «هل كنت مزارعًا؟».

- «نعم، هناك طحين (...) طحين، شيء مثل الطحين».

- «هل كانت هناك حروب عديدة على أرضك خلال حياتك تخللتها مآسٍ كثيرة؟».

- «نعم».

- «ولكنّك عشت لتبلغي عمرًا مديدًا؟».

- «إنّهم يقاتلون بعيدًا عن القرية وليس ضمنها، يجب عليهم السفر إلى حيث يخوضون المعركة (...) على العديد من الجبال».

- «هل تعلمين اسم الأرض التي تعيشين فيها؟ أو القرية؟».

- «لا أراه».

- «ولكن لا بدّ أنّ لها اسمًا».

- «لا أراه».

- «هل هذا زمن ديني بالنسبة لك؟ ترين صلبانًا على الجنود؟».

- «بالنسبة للآخرين نعم، بالنسبة لي لا».

- «هل هناك أحد حي من عائلتك غير زوجتك وابنتك؟».

- «لا».

- «هل مات والداك؟».

- «نعم».

- «الإخوة والأخوات؟».

- «لدي أخت، إنّها حية، لا أعرفها». أضافت مشيرة لحياتها ككاثرين.

- «حسنا انظري إذا كنت قد تعرفتِ على أحد آخر في قريتك أو في عائلتك؟». فحين يعيد الناس التجسّد كمجموعات، من المحتمل أن تجد شخص ما هناك له دور مهم في حياتها الحالية.

- «أرى طاولة حجرية (...) وكرات خشبية».

- «هل هذا منزلك؟».

- «نعم، شيء مصنوع من الكير (...) شيء أصفر، من الذرة (...) أو شيء ما (...) أصفر، نحن نأكله».

حاولت تسريع الوتيرة بالقول:

- «حسنًا، كانت هذه حياة صعبة بالنسبة لك، حياة صعبة للغاية، بماذا تفكرين؟».

- «الأحصنة». همست.

- «هل لديك أو لدى أحد آخر أيّ حصان؟».

- «لا الجنود (...) يمشي معظمهم أغلب الوقت، ثمّ أنّها ليست أحصنة، إنّها حمير، أو أحصنة برية في الغالب».

- «تقدمي في الزمن الآن»، وجهتها، «أنت مسنة للغاية، حاولي الذهاب لآخر يوم في حياتك كرجل عجوز».

- «ولكنني لست كبيرًا للغاية». قالت معترضةً.

لم تكن متقبّلة للاقتراحات في الحيوات السابقة، ما كان يحدث يحدث، لم أستطع اقتراح الذكريات الفعلية، ولم أستطع جعلها تغير تفاصيل ما حدث وما تم تذكره.

- «هل هناك المزيد من الأحداث في هذه الحياة؟ «سألت مغيرًا من طريقتي، «من المهم بالنسبة لنا أن نعرف».

- «لا شيء مهم». أجابت من دون عواطف.

- «إذًا تقدمي، تقدمي في الزمن، لنجد ما تحتاجين إلى تعلّمه، هل تعلمين؟».

- «لا، أنا لا زلت هناك».

- «نعم، أعلم. هل ترين شيئًا؟».

مرّت دقيقة أو اثنتان قبل أن تجيب هامسةً: «أنا فقط أطفو».

- «هل غادرته الآن؟».

- «نعم أنا أطفو». لقد دخلت في الحالة الروحية مرةً أُخرى.

- «هل تعرفين الآن ما أنت بحاجةٍ إلى تعلّمه؟ لقد كانت حياة صعبة أُخرى بالنسبة لك».

- «لا أدري، أنا فقط أطفو».

- «حسنًا استرخي الآن، ارتاحي».

مضت المزيد من الدقائق بصمت، ثم بدت وكأنّها تصغي لشيء. ثم تكلمت بشكل مفاجئ. كان صوتها عميقًا وعاليًا، لم تكن كاثرين هي من يتحدث:

- «هناك سبعة عوالم (...) سبعة، كلّ واحد منها يتكون من عدة مستويات، إحداها هي عالم إعادة التجميع. في هذا العالم يسمح لك برؤية مجمع الأفكار، يسمح لك برؤية حياتك التي مضت.

وفي المستويات العالية يسمح لك برؤية التاريخ، يمكنهم العودة وتعلمينا من خلال تعلّم التاريخ، ولكن من غير المسموح لنا في المستويات الدنيا رؤية حياتنا الخاصة (...) التي مضت.

لدينا ديون يجب دفعها، فإذا لم تسدد هذه الديون، وجب أخذها إلى حياة أُخرى (...) من أجل التعامل معها. أنت تتقدم من خلال تسديد الديون، وبعض الأروح تتقدم أسرع من غيرها، حين تكون في الحالة الجسدية وحين تتعامل مع الديون، فأنت تتعامل مع الحياة (...) وإذا اعترض أمر ما قدرتك على سداد هذا الدين، وجبت عليك العودة إلى عالم إعادة التجميع، وهناك يتحتم عليك الانتظار حتى تأتي الروح التي أنت مدين لها لرؤيتك، وحين يكون كلٌّ منكما قادرٌ على العودة للحالة الجسدية في الوقت ذاته، حينها يسمح لك بالعودة، لتقرر ما يجب عمله لسداد الدين، لن تتذكر حيواتك الأُخرى (...) سوى الحياة التي جئت منها للتوّ، النفوس في المستوى الأعلى، وحدهم - الحكماء - من يُسمح لهم بالاتصال بالتاريخ والأحداث السابقة، لمساعدتنا وتعليمنا ما يجب علينا القيام به.

هناك سبعة عوالم (...) سبعة يجب أن نمرَّ من خلالها قبل أن نعود، عالم الانتقال هو واحدٌ منها، وستنتظر في ذلك العالم حتى يتقرر ما ستتمكن من إعادته معك إلى الحياة التالية، سيكون لكلّ منّا سمة مسيطرة، ربما تكون الطمع أو الشهوة أو أيًّا من الصفات التي تمّ تحديدها، يجب عليك تسديد ديونك لهؤلاء الناس. حينها سيكون عليك تجاوز ذلك في تلك الحياة، يجب عليك تعلّم تجاوز الطمع مثلاً، فإذا لم تفعل حين تعود، صار لزامًا عليك أخذ هذه الصفة معك، بالإضافة لصفة أُخرى إلى الحياة التالية. وبهذا تصبح الأعباء أكبر. مع كلّ حياة تمرّ بها ولم تقم بالوفاء بهذه الديون، فإنّ القادم سيكون أصعب. أمّا إذا نجحت في إيفاء ديونك لهم، فسوف تحصل على حياة سهلة، ويبقى عليك اختيار الحياة التي تريد الحصول عليها.

في المرحلة التالية، ستكون أنت المسؤول عن الحياة التي ستعيشها. أنت تختارها».

استغرقت كاثرين بالصمت. كان من الواضح أن هذا الكلام ليس للمعلّم، لقد عرّف عن نفسه بقوله «نحن من المستويات الدنيا» بالمقارنة مع الأرواح من المستويات العليا - الحكماء - ولكنّ المعرفة التي تمّ نقلها كانت واضحة وعملية، تساءلت عن بقية العوالم الخمسة وصفاتها! هل تعتبر مرحلة التجديد إحدى هذه العوالم؟ وماذا عن مرحلة التعلّم ومرحلة اتخاذ القرارات؟ جميع الحكم التي تمّ كشفها من خلال رسائل الأرواح في مختلف الأبعاد عن الحالة الروحية كانت متّسقة، أسلوب

التسليم يختلف، والعبارات واللغة كذلك، وتطور الآية والمفردات مختلف أيضًا، ولكنّ المحتوى ظلّ متماسكًا، كنت لا أزال أسعى إلى معرفة روحية نظامية، هذه المعرفة التي تتحدث عن الحبّ والأمل وعن الإيمان والعطاء.

إنّها تختبر الفضائل والرذائل والديون المستحقة للآخرين وللنفس أيضًا، كما تشمل الحياة السابقة والعوالم الروحية بين الحيوات. وتتحدث عن تقدم الروح من خلال الوئام والتوازن والحبّ والحكمة، والتقدم نحو الاتصال الباطني والنشوة مع الله. كانت هناك نصيحة عملية في سياق الطريق: قيمة الصبر والانتظار؛ الحكمة في ميزان الطبيعة، القضاء على المخاوف، وخاصة الخوف من الموت؛ والحاجة إلى تعلّم الثقة والتسامح؛ أهمية تعلّم عدم الحِكم على الآخرين، أو تعطيل حياة أيّ شخص، تراكم واستخدام القوى البديهية، وربما الأهمّ من ذلك كلّه، المعرفة التي لا تتزعزع بأنّنا خالدون. نحن أبعد من الحياة والموت، ووراء الفضاء والزمن، نحن الآلهة، وهم نحن.

- «أنا أطفو». كانت كاثرين تهمس بهدوء.

- «ما هي الحالة التي أنت فيها؟». سألت.

- «لا شيء (...) أنا أطفو (...) إدوارد مدين لي بشيء (...) إنّه مدين لي بشيء».

- «هل تعلمين بماذا هو مدين لك؟».

- «لا (...) إنّه مدين لي ببعض المعرفة، لديه شيء يريد أن يخبرني عنه، ربما عن طفلة أختي».

- «طفلة أختك؟». كررت.

- «نعم (...) إنّها بنت، وتدعى ستيفاني».

- «ستيفاني؟ وما الذي تحتاجين معرفته عنها؟».

فأجابت: «أحتاج لأن أعرف كيف يمكنني التواصل معها».

لم تذكر كاثرين شيئًا على الإطلاق عن ابنة أختها.

- «هل هي قريبة منك للغاية؟».

- «لا، ولكنها تريد العثور عليهم».

- «العثور على من؟». سألتها وكنت مشوشًا.

- «على أختي وزوجها، والطريقة الوحيدة لذلك هي عن طريقي، أنا الرابط، إنّه يملك المعلومات، أبوها طبيب، إنّه يشارك في ممارسة الطبّ في مكان ما في فيرمونت، الجزء الجنوبي من فيرمونت، ستتوفر لي المعلومات حين أحتاجها».

علمت لاحقًا أن أخت كاثرين وزوجها المستقبلي كانا قد وضعا طفلتهما الرضيعة للتبني، لقد كانا مراهقَين في ذلك الوقت، ولم يكونا متزوجَين بعد، وقد تمّ ترتيب التبني من خلال الكنيسة. ولم يكن هناك معلومات متوفرة بعد هذا الوقت.

- «عندما يحين الوقت الصحيح (...) حينها سيخبرني، سيخبرني».

- «ما هي المعلومات الأُخرى التي يحملها لك؟».

- «لا أدري، ولكن لديه أمور ليخبرني بها. وهو مدين لي بأمر ما (...) أمر ما، لا أدري ما هو، إنّه مدين لي بأمر ما». عادت للصمت.

- «هل أنت متعبة؟». سألتها.

- «أرى لجامًا»، كان جوابها الهامس، «ضعه على الحائط، لجام (...) أرى بطانية ملقاة على السطح الخارجي».

- «هل هي حظيرة؟».

- «إنهم يملكون أحصنة هناك، لديهم العديد منها».

- «ماذا ترين؟».

- «أرى العديد من الأشجار (...) وورود صفراء، والدي هناك، إنّه يعتني بالأحصنة».

أدركت بأنّني كنت أكلم طفلاً، «كيف يبدو؟».

- «إنه طويل للغاية، وشعره رمادي».

- «هل ترين نفسك؟».

- «أنا طفلة (...) صبية».

- «هل يملك أبوك الأحصنة أم أنّه يعتني بها فقط؟».

- «إنّه يعتني بها، ونحن نعيش في الجوار».

- «هل تحبين الأحصنة؟».

- «نعم».

- «هل تفضلين واحدًا منها؟».

- «نعم، حصاني، اسمه آبل».

أتذكر حياتها وهي ماندي، حين ظهر حصان اسمه آبل بنفس الوقت، هل كانت تكرر حياة قمنا سابقًا باختبارها؟ أم تتناولها من منظور مختلف.

- «إنّه كبير للغاية».

- «آبل؟».

- «نعم».

- «هل يسمح لك أبوك بامتطائه؟».

- «لا، ولكنّي أستطيع أن أطعمه أشياءً، إنّه معتاد على جرّ عربة السيد، إنه كبير جدًا، ولديه أقدام كبيرة، إذا لم تكن حذرًا، سيدوس عليك».

- «من معك أيضًا؟».

- «أمي هناك، أرى أختي (...) إنّها أكبر مني، لا أرى أحدًا آخر».

- «ماذا ترين الآن؟».

- «أرى أحصنة فقط».

- «هل هذا وقت سعيد بالنسبة لك؟».

- « نعم، أحبّ رائحة الحظيرة».

كانت محددة ودقيقة بإشارتها إلى تلك اللحظة من الوقت في الحظيرة: «هل تشمين رائحة الأحصنة؟».

- « نعم».

- «والقش؟».

- «نعم (...) وجوهها ناعمة للغاية. هنالك كلاب أيضًا (...) سوداء، بعضها سوداء، وهناك بعض القطط (...) والكثير من الحيوانات، يستخدمون الكلاب للصيد، حين يصطادون الطيور، يسمحون للكلاب بالانطلاق لإحضارها».

- «هل يحدث لك شيء ما؟».

- «لا».

- «كان سؤالي ضبابيًا، هل ترعرعت في هذه المزرعة؟».

- «نعم، الرجل الذي يعتني بالأحصنة!»، توقفت، «هو بالفعل ليس والدي، لا ولكنّه بمنزلة والدي، إنّه والد ثانٍ لي، إنّه لطيف جدًا معي، لديه عينان خضراوان».

- «انظري في عينيه - العيون الخضراء - وفكّري فيما إذا كان بإمكانك التعرّف عليه، إنه لطيف معك، وهو يحبك».

- «إنّه جدي (...) جدي، إنّه يحبنا للغاية، لقد أحبنا على الدوام، كان يأخذنا معه في جميع الأوقات، كنا نذهب معه إلى حيث يحتسي هو الشراب، ونشرب نحن المياه الغازية، لقد أحبنا».

سؤالي دفعها خارج حياتها، نحو مراقبة حالة الوعي الفائق، كانت تراقب حياة كاثرين الآن وعلاقتها الواقعية بجدها.

- «ألا زلت تفتقدينه؟».

- «نعم». أجابت برفق، فأوضحتُ لها محاولاً التخفيف من ألمها:

- «ولكن كما ترين فقد كان معك من قبل».

- «كان تعامله معنا جيدًا للغاية، لم يصرخ في وجوهنا قط، كان يعطينا النقود ويصطحبنا معه في كلّ الأوقات، لقد أحبّ ذلك، ولكنّه مات».

- «نعم، ولكنّك ستكونين معه مجددًا تعلمين ذلك».

- «نعم لقد كنت معه من قبل، لم يكن مثل والدي، إنهما مختلفان جدًا».

- «لماذا يحبك أحدهما كثيرًا، ويعاملك بلطف بينما يختلف عنه الآخر؟».

- «لأنّ أحدهما قد تعلّم وسدد ديونه التي كان مدينًا بها، أمّا والدي فلم يفعل، لقد عاد (...) من دون استيعاب، عليه إعادة المرحلة».

- «نعم، أتفق معك، عليه أن يتعلم الحبّ ليتربى».

- «نعم». أجابت.

فأضفت: «إنّهم لا يفهمون ذلك، ويعاملون الأطفال مثل الممتلكات، بدلاً من معاملتهم بالودّ والمحبّة».

- «نعم». اتفقت معي.

- «لا يزال على والدك أن يتعلّم ذلك».

- «نعم».

- «جدك يعرف ذلك مسبقًا».

- «أعلم»، قاطعتني، «لدينا الكثير من المراحل لعبورها، عندما نكون في الحالة الجسدية (...) مثل بقية مراحل التطور، فيجب أن نمرّ عبر الرضاعة، ثم نكون أطفالاً صغارًا، ثم مرحلة الفتوة (...) لدينا الكثير من المراحل لعبورها قبل الوصول (...) قبل أن نصل للهدف، المراحل في الحالة الجسدية صعبة للغاية، أمّا ما كان منها في العالم السماوي فسهل ويسير، فهناك يكفي أن نستريح وننتظر. أمّا هنا فأمامنا مراحل صعبة الآن».

- «كم مرحلةً تتضمنها الحالة السماوية؟».

- «هناك سبع مراحل». أجابت.

فسألتها متطلّعًا لتأكيد أسماء بقية المراحل الأُخرى، غير الاثنين الباقيَين اللذين ذكرتهما سابقًا في الجلسة: «ما هي؟ لقد أخبرتني باثنين منهما فقط! المرحلة الانتقالية ومرحلة إعادة التجميع».

- «هذان الاثنان اللذان أعرفهما، سنعرف البقية لاحقًا».

لقد تعلمنا في الوقت ذاته. لاحظتُ ذلك، لقد تعلمنا اليوم عن الديون، وهذه معرفةٌ هامة للغاية.

- «سأتذكر ما يجب عليَّ تذكره». أضافت بشكل محير. فسألتها:

- «هل ستتذكرين هذه العوالم؟».

- «لا، إنّها ليست مهمة بالنسبة لي، هي مهمة بالنسبة لك».

لطالما أكدت لي هذا المعنى، كان هذا من أجلي وليس لمساعدتها وحسب، بل لمساعدتي أولاً، ومع ذلك لم أفهم تمامًا ما هو الهدف الأسمى.

- «أنت تتحسن بشكل أفضل الآن». قالت لي.

فوافقتها بالقول: «نعم وأنت تتعلمين الكثير! ولكن أخبريني، لمَ - باعتقادكِ - صار الكثير من الأشخاص منجذبين إليك الآن؟».

- «لأنني تحررت من الكثير من المخاوف، والآن أستطيع مساعدة هؤلاء الناس، إنّهم يشعرون بانجذاب نفسي نحوي».

- «هل تستطيعين التعامل مع ذلك؟».

- «نعم، لا مجال للشكّ في ذلك، أنا لست خائفة». أضافت.

- «جيد سأساعدك».

الفصل الثالث عشر
العودة من جديد

تخلصت كاثرين من أعراضها المؤلمة، كانت تشعر بالعافية أكثر من المعتاد، أخذت تكرر حيواتها، فعلمت بأنّنا قد اقتربنا من نقطة النهاية، ولكن ما لم أدركه في ذلك اليوم الخريفي، وهي تستقر مرة أُخرى في حالة التنويم، أنّ خمسة أشهر سوف تنقضي بين جلسة التنويم هذه والجلسة التالية، والتي ربما تكون الأخيرة.

بدأت رحلتها بالقول: «أرى منحوتات، بعضها مصنوع من الذهب؛ أرى طينًا، الناس يصنعون القدور، إنّها حمراء (...) إنّهم يستخدمون مادة حمراء، أرى مبانٍ بنية اللون، هيكل بني، ونحن هناك».

- «هل أنت داخل المبنى البني أم قريبة منه؟».

- «أنا بداخله، نحن نصنع أشياء مختلفة».

سألتها: «هل تستطيعين رؤية نفسكَ وأنت تعملين؟ هل تستطيعين أن تصفي نفسكِ، وماذا تلبسين؟ انظري للأسفل، كيف تبدين؟».

- «أرتدي شيئًا أحمر (...) شيء أحمر طويل. وأنتعل حذاءً مضحكًا يشبه الصندل، شعري بني اللون، أنا أعمل على صنع تمثال لرجل (...) يمسك عصًا (...) بيده، الآخرون يصنعون أشياء من المعدن».

- «هل أنتم في مصنع؟».

- «إنّه مبنى فقط، مبنى مصنوع من الحجارة».

- «التمثال الذي تعملين عليه، الرجل مع العصاة، هل تعلمين من هو؟».

- «لا إنّه مجرد رجل يرعى الماشية (...) الأبقار، هناك الكثير من التماثيل حولنا، نحن فقط من يعرف ماهيتها، إنّها مادة سخيفة، من الصعب العمل عليها، فهي تستمر بالتفتت».

- «هل تعلمين اسم المادة؟».

- «لا أرى ذلك، إنّها حمراء، مجرد مادة حمراء».

- «ماذا سيحدث للتمثال بعد أن تصنعيه؟».

- «سيتم بيعه، بعضها سيباع في السوق، وبعضها الآخر سيعطى لنبلاء مختلفين، التماثيل ذات الصنعة المتميزة فقط هي التي تذهب لبيوت النبلاء، أمّا البقية فستباع».

- «هل تتعاملين مع النبلاء؟».

- «لا».

- «هل هذه مهنتك؟».

- «نعم».

- «هل تحبينها؟».

- «نعم».

- «هل قمت بهذا العمل لمدة طويلة؟».

- «لا».

- «هل أنت محترفة فيها؟».

- «ليس بدرجة كبيرة».

- «هل تحتاجين لخبرة أكبر؟».

- «نعم، أنا أتعلم وحسب».

- «أتفهم ذلك، هل لا زلت تعيشين مع عائلتك؟».

- «لا أدري، ولكنني أرى صناديق بنية».

- «صناديق بنية؟». كررت بعدها فتابعت حديثها:

- «فيها فتحات صغيرة، فيها مدخل وبعض التماثيل تقع داخل الباب، إنّها مصنوعة من الخشب، نوع من الخشب، يجب أن نصنع التماثيل من أجلهم».

- «ما هو الغرض من صنع التماثيل؟».

- «إنّها لأغراض دينية». أجابت.

- «ما هو الدين الموجود - التمثال - إلامَ يرمز؟».

- «هنالك العديد من الآلهة، العديد من الحافظين (...) آلهة عديدة، الناس خائفون للغاية، هناك الكثير من الأشياء مصنوعة هنا، نحن نصنع الألعاب، أيضًا (...) ألعاب لوحية مع حفر فيها، رؤوس الحيوانات تسقط في الحفر».

- «هل ترين شيئًا آخر هنا؟».

- «الجو حار للغاية، حار ومغبر (...) ورملي».

- «هل هناك مياه قريبة؟».

- «نعم إنّها تنزل من الجبال».

هذه الحياة أخذت تبدو مألوفة أيضًا. قمت بسؤالها: «هل الناس خائفون؟ هل يؤمنون بالخرافات؟».

- «نعم»، أجابت، «هناك الكثير من الخوف الجميع خائفون، أنا خائفة أيضًا، يجب أن نحمي أنفسنا، هنالك مرض، يجب أن نحمي أنفسنا».

- «ما نوع المرض؟».

- «هناك شيء يقضي على الجميع، الكثير من الناس يموتون».

سألتها: «بسبب الماء؟».

- «نعم المنطقة جافة للغاية (...) وحارة جدًا، لأنّ الآلهة غاضبة، وهي تعاقبنا».

كانت تسترجع حياتها، أدركت بأنّها تعني دين الخوف، دين أوسايريس وهاثور.

- «لماذا غضبت الآلهة؟». سألتها وأنا أعرف الإجابة.

- «لأنّنا عصينا القوانين».

- «أيّة قوانين قد عصيتم؟».

- «الجميع خائف من الآلهة».

- «هل تعلمين اسم إحداها؟».

- «لا أعلم الأسماء، فقط أرى مجسماتها، إحداها له جسد إنسان ورأس حيوان، هناك أُخرى تشبه الشمس، وثالثة تشبه الطير، إنّه أسود، وهم يعلّقون حبالاً في أعناقها».

- «هل تعيشين كلّ ذلك؟».

- «نعم، أنا لا أموت».

- «ولكنّ أفراد عائلتك يموتون». تذكرت.

- «نعم، أبي مات، لكنّ أمي بخير».

- «وأخوك؟».

- «أخي (...) ميت». تذكرت.

- «لماذا نجوت؟ هل تحظين بشيء خاص؟ هل قمت بعمل مختلف؟».

- «لا»، أجابت، ثم غيرت التركيز، «أرى شيئًا مختلطًا بزيت».

- «ماذا ترين؟».

- «شيئًا أبيض، يبدو مثل لؤلؤة، وحوض (...) فيه نفط».

- «أهي التي تستخدم لدهن الرؤوس، رؤوس الرهبان؟».

- «نعم».

- «ما هو عملك الآن؟ هل تساعدين بالزيت؟».

- «لا، أنا أعمل في صنع التماثيل».

- «هل هذا في نفس المبنى البُني؟».

- «لا (...) إنّه معبد». تتطلع بأسى لسبب ما.

- «هل من مشكلة لديك؟».

- «شخص ما قام بعملٍ في المعبد أغضب الآلهة، لا أدري...».

- «هل كان الشخص هو أنت؟».

- «لا، لا (...) أرى فقط رهبانًا يحضّرون نوعًا من القرابين، حيوان (...) إنّه خروف، رؤوسهم حليقة. ليس على وجوههم شعر على الإطلاق».

دخلت في صمت مطبق، ومرت الدقائق بطيئةً، ثمّ وبشكل مفاجئ تنبّهت، كما لو أنّها تستمع لشيء ما؛ حين تكلمت، صار صوتها عميقًا، كان المعلم حاضرًا:

- «في هذا العالم يسمح لبعض الأرواح أن تظهر نفسها للناس الذين لا يزالون في حالة الجسدية، يسمح لهم بالعودة (...) فقط حين يتركون اتفاقية غير محققة، في هذا العالم يُسمح بالتواصل، ولكن في العوالم الأُخرى (...) هنالك إمكانية أن تستخدم قدراتك النفسية للتواصل مع الناس بشكل فيزيائي، هنالك طرق عديدة لعمل ذلك. كأن يسمح للبعض بامتلاك قوة إبصار، أو إمكانية إظهار أنفسهم للآخرين الذين لا يزالون في الشكل الجسدي، وقد يمنح البعض الآخر قوة التحريك، فيسمح لهم بتحريك الأشياء بالذهن، أنت لا تذهب إلى هذا العالم إلّا إذا كان من المفيد لك أن تذهب إلى هناك، إذا تركت اتفاقًا لم يتحقق، يمكنك اختيار المجيء إلى هنا والتواصل بطريقة ما.

هذا كلّ شيء (...) حيث يجب تحقيق الاتفاق، إذا كانت حياتك قد انتهت بشكل مفاجئ، فهذا يعد سببًا لعودتك إلى هذا العالم، الكثير من الناس قد اختاروا القدوم إلى هنا كي يُسمح لهم برؤية أشخاص مقربين ولا زالوا في الشكل الجسدي، ولكن ذلك لا يعني أنّ جميع من هم في الحالة الجسدية يقبلون التواصل معهم، فقد يبدو الأمر مخيفًا بالنسبة لبعض الناس».

عادت كاثرين للصمت، وبدأت ترتاح، ثمّ أخذت تهمس بشكل رقيق: «أرى نورًا».

فسألتها: «هل يمدّكِ هذا النور بالطاقة؟».

- «إنّه مثل البدء من جديد (...) مثل ولادة جديدة».

- «كيف يمكن للناس في الحالة الجسدية أن يشعروا بالطاقة؟ كيف يمكنهم أن يتواصلوا معها وأن يتمّ شحنهم بها؟».

- «من خلال عقولهم». أجابت برفق.

- «ولكن كيف يمكن أن يصلوا إلى هذه الحالة؟».

- «لا بدّ أن يكونوا في حالة استرخاء، ليستطيعوا أن يتجددوا عبر النور. لا بد أن تكون مسترخيًا للغاية كي لا توسع الطاقة، وطاقتك تتجدد حين تنام».

كانت في حالة الوعي الفائق، لذلك قررت توسيع أسئلتي: «كم مرةً أُعيدت ولادتك؟ وهل كانت جميعها هنا في هذه البيئة، على الأرض، أم في مكان آخر كذلك؟».

- «لا ليست جميعها هنا».

- «ما هي العوالم الأُخرى التي ذهبتِ إليها؟».

- «لم أنهِ ما يجب عليَّ القيام به هنا، ولا أستطيع المضي حتى أختبر كلّ الحيوات، وهذا ما لم أفعله بعد، سيكون هناك الكثير من الحيوات (...) لتحقيق كلّ الاتفاقيات وكلّ الديون المستحقة».

- «ولكنّك تحققين إنجازًا»، لاحظت، نحن نحقق التقدم على الدوام، «كم مرة مررت بحيوات على الأرض؟».

- «ستٌ وثمانون».

- «ستٌ وثمانون؟».

- «نعم».

- «هل تتذكرينها جميعًا؟».

- «سأفعل، حين يكون من المهم لي أن أتذكرها».

لقد تذكرنا شذرات أو أجزاء كبيرة من عشر حيوات أو اثنتي عشرة حياة، وقد تكرر بعضها مؤخرًا، في النهاية لم تكن بها حاجة لتذكر الخمس والسبعين حياة الباقية، لقد قامت بإنجاز لافت على الأقل في العديد من الأمور، ما أنجزته هنا، انطلاقًا من هذه النقطة، قد لا يعتمد على جمع الحيوات، وإنجازها المستقبلي قد لا يعتمد عليَّ، ولا حتى على مساعدتي.

عادت لتهمس برفق من جديد: «بعض الناس يصلون للعالم السماوي من خلال استخدام المخدرات، ولكنّهم لا يدركون ما قاموا باختباره، ولكن سُمح لهم بالعبور».

لم أسألها عن المخدرات. كانت تدرس، وتشاركني المعرفة، سواء سألت بشكل محدد أم لا.

- «ألا يمكنك استخدام قواك النفسية للمساعدة على التقدم هنا؟ يبدو أنك تطورينها أكثر!».

- «نعم»، وافقت، «إنّه أمر مهم هنا، ولكنه ليس كذلك في موقع آخر».

- «كيف يبدو المنزل؟».

- «إنّه صغير، وعلى قمته برج (...) نافذة حيث بإمكانك النظر إلى البحر، في أعلاه منظار لرؤية السفن».

- «ماذا تفعلين؟».

- «نقوم بالإبلاغ عن السفن التجارية عند دخولها الميناء».

أتذكر أنّها قامت بذلك في حياة سابقة، حين كانت كريستان البحار الذي جُرحت يده أثناء معركة بحرية: «هل أنت بحار؟». سألتها لأتأكد.

- «لا أدري (...) ربما».

- «هل بإمكانك رؤية ما الذي ترتدينه؟».

- «نعم، قميص أبيض وبنطال بُني وأحذية عليها مشبك كبير (...) لاحقًا سأكون بحارًا في حياتي، ولكن ليس الآن».

صار بإمكانها النظر إلى مستقبلها، وقيامها بذلك أدى لقفزة نحو المستقبل، فقالت: «لقد تأذيت»، وهي تكتب بتألم، «يدي تؤلمني». كانت بالفعل كريستيان وكانت تعيش المعركة البحرية.

- «هل كان هناك انفجار؟».

- «نعم (...) شممت رائحة بارود!».

- «ستكونين على ما يرام». أكدّت لها، وأنا أعلم النتيجة مسبقًا.

كانت لا تزال قلقة حين قالت: «الكثير من الأشخاص يموتون! الأشرعة ممزقة (...) تمّ تفجير الجزء الجانبي من الميناء»، كانت تتفحص السفينة بحثًا عن الجزء المتضرر، «يجب أن نصلح الأشرعة، يجب إصلاحها».

- «هل تم إصلاحها؟». سألتها.

- «نعم من الصعب خياطة القماش على الأشرعة».

- «هل يمكنك أن تعملي بيدك؟».

- «لا، ولكنني أراقب الآخرين (...) يبحرون، إنّها مصنوعة القماش، نوع من القماش، من الصعب جدًا خياطتها (...) الكثير من الأشخاص يموتون. إنّهم يتألمون للغاية». توقفت.

- «ماذا هناك؟».

- «إنّه الألم (...) في يدي».

- «يدك تتعافى، تقدّمي في الزمن، هل تبحرين مجددًا؟».

- « نعم»، توقفت، «نحن في جنوب ويلز ويجب أن ندافع عن الساحل».

- «من يهاجمكم؟».

- «أعتقد بأنّهم من الإسبان (...) لديهم أسطول ضخم».

- «ماذا يحدث تاليًا؟».

- «فقط أرى السفينة، أرى الميناء، هناك محلات، في بعض المحلات يصنعون الشموع».

- «هل هناك محلات لشراء الكتب؟».

- «نعم».

- «هل ذهبت من قبل لمحلات كتب؟».

- «نعم، أنا أحبّها للغاية، الكتب جميلة (...) أرى الكثير من الكتب، الكتب الحمراء تختصّ بالتاريخ، لقد أُلّفت عن القرى (...) والأرض، هناك خرائط، أحبّ هذا الكتاب (...) هناك محل لبيع القبعات».

- «هل هناك مكان للشرب؟». تذكرت وصف كريستيان عن الجعة.

- «نعم، هناك الكثير، إنّهم يقدمون الجعة (...) داكنة للغاية، مع نوع من اللحم (...) لحم الضأن والخبز، خبز كبير الحجم، الجعة ذات مذاق مرّ، أستطيع تذوقها، لديهم خمر أيضًا وطاولات خشبية طويلة».

قررت أن أخاطبها باسمها، لأرى ردّة فعلها: «كريستيان». ناديتها بعطف.

فأجابت بصوت مرتفع، ومن دون تردد، «نعم! ماذا تريد؟».

- «أين عائلتك كريستيان؟».

- «إنّهم في قرية مجاورة، نحن نبحر من هذا الميناء».

- «من هم أفراد عائلتك؟».

- «لدي أخت اسمها ماري».

- «أين هي صديقتك؟».

- «ليس لدي صديقة، فقط المرأة في القرية».

- «لا أحد مميز؟».

- «لا، فقط المرأة (...) عدت للإبحار، حاربت في العديد من المعارك، ولكنني آمنٌ».

- «هل ستعيشين طويلاً؟».

- «نعم».

- «هل ستتزوجين؟».

- «أعتقد ذلك، أرى خاتمًا».

- «هل لديك أطفال؟».

- «نعم، ابني أيضًا سيبحر (...) هناك خاتم، خاتم على يد، يد تحمل شيئًا (...) لا أستطيع تمييزه، الخاتم هو يد، يد تحتضن شيئًا». بدأت كاثرين تختنق.

- «ماذا يجري؟».

- «الأشخاص في السفينة مرضى (...) ذلك بسبب الطعام، أكلنا طعامًا سيئًا، إنّه خنزير مملح».

استمر اختناقها، أخذتها قدمًا في الزمن، فتوقف الاختناق، قررت ألّا أستمر معها لحين حصول الذبحة القلبية لكريستيان مجددًا، كانت متعبة، فقمت بإخراجها من التنويم.

الفصل الرابع عشر
الحدس الخاص

مضت ثلاثة أسابيع قبل أن نلتقي مجددًا، كان مرضي الخفيف وإجازتها سببين في هذا التأجيل، استمرت كاثرين بالتحسن خلال هذه الفترة، وحين بدأنا الجلسة، بدت قلقة، كانت على ما يرام وتشعر بتحسن بحيث اعتقدت بأنّ التنويم لم يعد بمقدوره مساعدتها بأكثر مما فعل. كانت محقة بالتأكيد، فتحت ظروف معينة، كان من المفروض أن نوقف العلاج قبل أسابيع، ولكننا تابعنا جزئيًا بسبب اهتمامي بالرسائل من المعلمين ولأنّ بعض المشاكل البسيطة لا تزال قائمة في الحياة الحالية لكاثرين.

كانت كاثرين شبه متعافية، والحيوات صارت تتكرر، ولكن ماذا لو كان لدى المعلمين المزيد لإخباري به؟ كيف يمكننا التواصل من دون كاثرين؟ أعلم أنّها يمكن أن تواصل الجلسات إذا ما ألححت عليها، ولكّنني لا أشعر بأنّ ذلك مناسب، فوافقتها مع بعض الحزن، تناقشنا حول الأحداث التي جرت في الأسابيع الثلاثة الماضية، ولكن قلبي لم يكن هناك.

لقد مرت خمسة شهور (...) حافظت كاثرين خلالها على التحسن الصحي، قلّت مخاوفها، وتحسنت جودة حياتها وعلاقاتها بشكل جذري. كانت الآن تواعد رجلاً آخر، على الرغم من أنّ ستيورات كان في الصورة للمرة الأولى ومنذ أن كانت طفلة صغيرة، أحسّت ببعض البهجة والفرح الحقيقي في حياتها.

في بعض الأوقات كنا نصادف بعضنا في الردهة أو في الكافتيريا، ولكن لم يكن هناك تواصل رسمي بيننا كطبيب ومريضة، مضى الشتاء وحلّ الربيع. حددت كاثرين موعدًا في المكتب، كان لديها حلم يتكرر حول التضحية الدينية، اشتمل على أفاعٍ في حفرة. الأشخاص بمن فيهم

كاثرين، كانوا يُدفعون لحفرة، كانوا جميعًا داخلها، وكانت، كالآخرين، تحاول التسلق من خلال الحفر بيديها بالجدران الرملية، كانت الأفاعي تحتها، تستيقظ في هذه المرحلة، وقلبها يخفق بشدة. بصرف النظر عن الفجوة الكبيرة، أحست كاثرين بأنّها دخلت بسرعة في حالة تنويم عميق وبشكل غير مفاجئ، كانت تعود بشكل متكرر للوقت التاريخي.

- «الجو حار حيث أنا»، بدأت، «أرى رَجلين أسمرين يقفان بقرب جدران حجرية باردة ورطبة، يغطيان رأسيهما، هناك حبل مزينٌ بالخرز والشرائط حول الكاحل الأيمن لكلّ منهما، إنّهما يبنيان مستودعًا من الحجر والطين، لوضع القمح فيه، ونوع من الحبوب المسحوقة، تُجلب الحبوب في عربة بعجلات الحديد، الحصير المنسوج موضوع على العربة أو على جزء منها، أرى ماءً شديد الزرقة، وهناك شخص مسؤول يعطي التعليماتِ للآخرين، هناك ثلاث خطوات نحو أسفل الصومعة، وتمثال لإله في الخارج، لديه رأس حيوان، أعني رأس طير، وجسد رجل، إنّه إله الفصول، الجدران مطلية بنوع من القطران لمنع الهواء من الدخول والحفاظ على الحبوب طازجة، وجهي يحكني (...) أرى خرزًا أزرق على شعري، والبعوض حولنا، يجعل وجهي ويديّ تحكانني، أضع شيئًا لاصقًا على وجهي لإبعادهم عني (...) رائحته مريعة، عصارة نوع من الأشجار، شعري أسود داكنٌ مضفورٌ، وهناك خرز مع سلاسل ذهبيّة على الضفائر، وأنا جزء من منزل ملكي.

أنا هناك بسبب وجود وليمة، يجب عليَّ مشاهدة دهن الكهنة (...) احتفالية للآلهة من أجل الحصاد القادم، هناك قرابين من الحيوانات فقط، لا يوجد تضحية بالإنسان، الدماء التي تسيل من حيوان القربان وتتجه من مكان أبيض في الحوض (...) وتمتد إلى فم الثعبان، الرجال يلبسون قبعات ذهبية صغيرة، الجميع من ذوي البشرة السمراء، لدينا عبيد من أراض مختلفة، عبر البحار ...».

غرقت في الصمت، وكنا ننتظر كما لو أنّ الشهور لم تمرّ، كانت تبدو حذرة تستمع لشيء ما.

- «كلّ شيء سريع ومعقد (...) لماذا يخبرونني عن التغيير والنمو في عوالم متعددة؟ هناك عالم للوعي وعالم للانتقال، أتينا من حياة واحدة، وإذا اكتملت الدروس فسوف ننتقل إلى بعد آخر وحياة أُخرى. يجب أن نستوعب بشكل متكامل، إذا لم نقم بذلك، فلن يسمح لنا بالعبور... يجب علينا حينها تكرار التجربة لأنّنا لم نتعلم، ويجب علينا أن نختبر جميع الجوانب، وأن نعرف جانب

الرغبة، والعطاء أيضًا.... هناك الكثير لمعرفته، والعديد من الأرواح منخرطة، لهذا نحن هنا، المعلمون... هم نوع واحد في هذا العالم».

توقفت كاثرين، ثمّ واصلت الحديث بصوت المعلم الشاعر الذي كان يتحدث إلي:

- «ما نخبرك هو للحاضر، يجب أن تتعلّم من خلال حدسك الخاص». بعد عدة دقائق، تحدثت كاثرين من خلال حدسها الخاص، بصوت رقيق: «هناك سياج (...) بداخله شواهد القبور، هناك قبر».

- «قبري؟». سألت باندهاش حول هذه الرؤية.

- «نعم».

- «هل تستطيعين قراءة الكتابة؟».

- «الاسم هو النبيل: 1668- 1724، وهناك وردة عليه. إنّه في فرنسا أو روسيا، أنت بزي أحمر (...) ملقيًا من على الحصان (...) هناك خاتم ذهبي (...) له رأس أسد (...) يستخدم كشارة».

لم يكن هناك المزيد، ففسرت جملة المعلم الشاعر بأنّها تعني توقف أيّة كشوفات أُخرى عبر تنويم كاثرين. وهذا ما كان واقعًا بالفعل، قررنا ألّا نقوم بالمزيد من الجلسات فقد اكتمل علاجها، وقد تعلمتُ كلّ ما أستطيع تعلّمه من خلال العودة بالزمن، وبقية ما يكمن في المستقبل، عليَّ تعلّمه بنفسي من خلال حدسي.

الفصل الخامس عشر
القنوات الحدسية

مرّ شهران بعد جلستنا الأخيرة، اتصلت كاثرين ورتبت موعدًا تريد من خلاله إخباري عن أمرٍ ملفت حصل معها، حين دخلت المكتب، كانت تبدو كاثرين جديدة، سعيدة ومبتسمة وتشع بالسلام الداخلي ما جعلها متوهجة، لقد فاجأتني لأول وهلة، فكرت بكاثرين القديمة وما انتهت إليه الآن خلال فترة قصيرة.

ذهبت كاثرين لرؤية آيريس سولتزمان، وهي فلكية مشهورة متخصصة بقراءة الحيوات السابقة، في البداية فوجئتُ بالفكرة، ولكنني تفهمتُ فضول كاثرين وحاجتها للوصول لتوكيد تجربتها، كنت مسرورًا من ثقتها بالقيام بذلك، سمعت كاثرين عن آيريس من صديق، فاتصلت بها وحددت موعدًا من دون أن تخبر آيريس بأيّ شيء مما حصل معها في مكتبي.

طلبت منها آيريس فقط تاريخ ووقت ومكان ولادتها، من هذه المعلومات، شرحت لها آيريس بأنه سيتمّ رسم عجلة فلكية لها وبالاشتراك مع موهبة آيريس الحدسية، كان بإمكانها تمييز تفاصيل حياة كاثرين في الحيوات السابقة!

كانت هذه أول تجربة لها مع شخص حدسي، ولم تعرف فعلاً ماذا ستتوقع. ولدهشتها أكدت آيريس معظم ما اكتشفته كاثرين أثناء التنويم، عملت آيريس تدريجيًا على تغيير حالتها نحو الوعي عن طريق التحدث معها، ومن خلال وضع الرموز على رسمة العجلة الفلكية، بعد دقيقة من دخولها في هذه الحالة، اقتربت آيريس من حلقها وقالت لها بأنّ كاثرين قد خنقت، وقد تمّ قطع حنجرتها في حياة سابقة، كان قطع الحنجرة في زمن الحرب، وكان بإمكان آيريس رؤية النيران والدمار في القرية منذ قرون عديدة، وقالت بأنّ كاثرين كانت شابًا في ذلك الوقت، وقت موتها.

وصفت آيريس بعض الحيوات المبعثرة، كان هناك حياة قصيرة في باريس، حيث كانت كاثرين لمرةٍ أُخرى صبيًا وماتت وهي صغيرة بسبب الفقر، في وقت آخر كانت امرأة أمريكية هندية في الجنوب الغربي من ساحل فلوريدا، خلال هذه الحياة كانت معالجة سمراء البشرة ذات عيونٍ غريبة تمشي وهي حافية القدمين، كانت تعطي مراهمًا للجروح وتصف أعشابًا طبية، وكان حدسها عاليًا جدًا، وتحبّ التزين بأحجار من الجواهر الزرقاء والكثير من حجر اللازورد، المتداخل مع الحجر الأحمر.

في عمر آخر، كانت كاثرين إسبانية وعاشت عاهرة، بدأ اسمها بحرف اللام، وعاشت مع رجل مسنّ.

في حياة أُخرى كانت ابنة غير شرعية لأبٍ غنيّ؛ ذي ألقابٍ عديدة، رأت آيريس شجرة العائلة على أكواب في المنزل الكبير، قالت إنّ كاثرين كانت عادلة جدًا وكان لها أصابع طويلة ودقيقة، كانت تلعب بالقيثارة، كان زواجها قد تمّ ترتيبه، أحبّت كاثرين الحيوانات وخاصة الأحصنة، وعاملتها بطريقةٍ أفضل من معاملة الناس المحيطين بها، في حياة قصيرة أُخرى عاشت كصبي مغربي مات بسبب المرض وهو صغير، وعاشت مرة في هايتي متحدثة لغتها، وانخرطت في ممارسات سحرية.

وفي زمن ما من التاريخ، كانت مصرية وكانت منخرطة بطقوس الدفن لهذه الثقافة، كانت امرأة بشعر مضفور؛ عاشت عدة حيوات في فرنسا وإيطاليا؛ في إحداها عاشت في فلورانس وكانت متدينة، ثم انتقلت لاحقًا إلى سويسرا حيث التحقت بصومعة، وكانت أمًّا لولدين، كانت مولعة بالذهب ونحت الذهب، وارتدت صليبًا ذهبيًا، في فرنسا سجنت في مكان مظلم وبارد.

وفي حياة أُخرى، رأت آيريس كاثرين وهي رجل بزي أحمر وذهبي، وهو في الغالب زيٌّ روسي، ويصحبها جنود وأحصنة، في حياة أُخرى كانت سمراء نوبية في مصر القديمة، في مرحلة معينة قبض عليها وأُودعت السجن. وفي حياة أُخرى كانت كاثرين رجلاً يابانيًا متعلّقًا بالكتب والتعليم الأكاديمي للغاية، عملت في المدارس وعاشت لسنّ متقدم. وأخيرًا عاشت كاثرين حياة حديثة كجندي ألماني قتل في المعركة.

كنت مشدوهًا بدقّة التفاصيل لأحداث الحيوات السابقة التي سردتها آيريس. الرسائل الخاصة لكاثرين التي تمّ استدعاؤها وهي تحت التنويم كانت مذهلة، إصابة يد كريستيان في المعركة البحرية ووصف ملابسه وأحذيته؛ حياة لويزا كإسبانية بائعة هوى؛ أروندا ومهمة الدفن المصرية، جوهان الفارس الصغير والذي قطعت حنجرته في تقمص سابق لستيوارت، حين تمّ إحراق قرية ستيوارت، أيريك الطيار الألماني، وما إلى ذلك.

كانت هناك أيضًا رسائل لحياة كاثرين الحالية، فعلى سبيل المثال؛ أحبّت كاثرين أحجار الجواهر الزرقاء، وبخاصة اللازورد، ولم تكن ترتدي أيًّا منها أثناء القراءة مع آيريس، ولطالما أحبّت الحيوانات وخاصة الأحصنة والقطط وكانت تحسّ بالأمان معها أكثر من الناس. وإذا اختارت مكانًا واحدًا في العالم لزيارته فسوف يكون فلورانس.

لا توجد طريقة تمكنني من توصيف هذه التجربة على أنّها تجربة علمية موثوقة؛ لم يكن لدي وسيلة للتحكم بالمعطيات، ولكن كلّ ذلك قد حدث، وأعتقد أنّه من المهم ربما بالوقت الحاضر - لا أدري ماذا جرى في ذلك اليوم - ربما آيريس استخدمت التخاطر بشكل غير واعٍ، «وقرأت» ذهن كاثرين، بما أنّ الحيوات السابقة كانت أصلاً في اللاوعي الخاص بكاثرين، أو ربما كان بمقدور آيريس تمييز معلومات عن الحيوات السابقة من خلال قدراتها الحدسية والنفسية، وعلى الرغم من كلّ شيء فقد حدث ذلك، كلّ منهما قد حصلت على نفس المعلومات بطرق مختلفة! ما توصلت إليه كاثرين من خلال جلسات التنويم، توصلت إليه آيريس من خلال القنوات الحدسية!

القليل من الناس ربما يكونون قادرين على فعل ما قامت به آيريس، ذلك أنّ الكثير من الناس ممن يسمون أنفسهم حدسيين، يستغلون مخاوف الناس وفضولهم اتجاه المجهول، الاختراقات والتحريفات التي تدعى «القدرات الخارقة» يبدو أنّها تأتي من وودورك، معظم الكتب مثل شيرلي ماكلينز «موقف مغاير» قدمت سيلاً من «الوسطاء المنومين» الذين يتجولون كثيرًا، ويعلنون عن وجودهم محليًا، ويجلسون في «نشوة» يخبرون الجمهور الغاضب تفاهات مثل «إذا لم تكن في انسجام مع الطبيعة، لن تكون الطبيعة في انسجام معك». وعادة ما يتمّ نطق هذه الكلمات بأصوات مختلفة تمامًا عن «صوت الوسيط» الخاص، وغالبًا ما يشوبه لكنة أجنبية إلى حد ما، هذه الرسائل الغامضة تنطبق على نطاق واسع من الناس، تتعامل عادةً وبشكل أساسي مع الأبعاد الروحية التي يصعب تقييمها.

من المهم تمييز الخطأ من الصواب، كي لا يتمّ تكذيب هذا المجال. هناك حاجة ماسة لإيلاء علماء السلوك الجادين القيام بهذا العمل المهم، من الضروري بالنسبة للأطباء النفسيين إجراء تقييمات تشخيصية، لاستبعاد المرض العقلي، أو التمارض (التزوير)، أو ميول العلة الاجتماعية (الخادع).

الإحصائيون وعلماء النفس والفيزيائيون هم أيضًا مهمون لهذه التقييمات وللمزيد من الاختبارات.

الخطوات المهمة سيتمّ عملها في هذا المجال باستخدام المنهجية العلمية، والفرضية التي هي افتراض أولي استنتج عن سلسلة من الملاحظات، تجمّعت في البداية لشرح ظاهرة ما، من هنا يجب على الفرضية أن تُختبر تحت ظروف يتمّ التحكم بها، ونتائج الاختبارات يجب إثباتها وتكرارها قبل تكوين النظرية، وما إن يصل العلماء إلى ما يعتقدون أنّه نظرية، حتى تكون قد اختبرت مرارًا وتكرارًا من قبل باحثين آخرين، والنتائج يجب أن تتطابق في كلّ مرة.

الدراسات العلمية المفصّلة والمقبولة لدكتور جوسيف راين في جامعة دوق، ودراسات دكتور آيان ستيفينسون في جامعة فيرجينيا قسم الطبّ النفسي، ودراسة دكتور جيرترود شمايدلير في كلية مدينة نيويورك والعديد من الباحثين الجادين أثبتوا أنّه بالإمكان القيام بذلك.

الفصل السادس عشر
رسائل من المعلمين

لقد مضى حوالي أربعة أعوامٍ، منذ تشاركنا أنا وكاثرين هذه التجربة الرائعة التي غيّرتنا بشكل جذريّ، في بعض الأحيان كانت تمرّ بمكتبي لتسلم عليَّ أو لتناقشني بمشكلة تعاني منها، أو لعلاج عرض أو لمعرفة تقييم أشخاص جدد في حياتها كان لهم علاقة بها في الماضي، لم يكن لديها الرغبة أو الحاجة لتعود بالزمن مجددًا، لقد انتهى عملنا، كاثرين حرة الآن بالاستمتاع بحياتها، ولم تعد تتعثر بأعراضها المثبطة، لقد أحسّت بشعور من السعادة والاطمئنان والتي لم تكن تعتقد أنّه ممكن قبلاً، فهي لم تعد تخشى المرض أو الموت، صار للحياة معنى وغاية بالنسبة لها بما يكفي لتكون متوازنة ومنسجمة مع ذاتها، لقد أصبحت تشع بالسلام الداخلي الذي يتمناه الكثيرون ويحصل عليه القلة، إنّها تشعر بمزيد من الروحانية، كلّ ما حدث كان حقيقيًا بالنسبة لكاثرين، فلم تشكك بمصداقية أيّ منها، وتقبلتها جميعًا كجزء من هويتها، لم يكن لديها الرغبة في متابعة دراسة مفهوم القدرات الخارقة، لأنّها تشعر بأنّها «تعرف» بطريقة لا يمكن تعلّمها من الكتب أو المحاضرات. الأشخاص الذين يحتضرون أو لديهم فرد من العائلة يحتضر، غالبًا ما يطلبون مساعدتها ويبدون منجذبين إليها، فهي تجلس وتتكلم معهم، فيشعرون بالتحسن. لقد تغيّرت حياتي بنفس التأثير الذي تغيرت فيه كاثرين. أصبحتُ أكثر إلهامًا وأكثر وعيًا بالأسرار المخفية لمراجعيَّ، وزملائي وأصدقائي، وبدا بأنني أعرف الكثير عنهم، حتى قبل أن يتسنى لي ذلك.

إنّ قيمي وأهداف حياتي تحولت لتكون أكثر إنسانية وأقلّ تركيزًا على التراكم، الخارقون والوسطاء والمعالجون وغيرهم قد ظهروا في حياتي بنسبة أكبر، وبدأت أقيّم قدراتهم بكلّ تلقائيّة، لقد تحسنت كارول معي بنفس الوقت، وأصبحت بشكل خاص ماهرة بالاستشارات الخاصّة بالموت والاحتضار، وهي الآن تدير مجموعات مساندة لمرضى يموتون من الإيدز.

لا زلت أكتب أبحاثًا علمية، وأحاضر في اجتماعات مهنية، وأدير قسم الطبّ النفسي، ولكنني الآن أُقسّم نفسي بين عالمين؛ العالم الاستثنائي للحواس الخمسة، والمتمثل بأجسادنا وحاجاتنا الفيزيائية، والعالم الأوسع للعوالم اللا فيزيائية، المتمثلة بأرواحنا. أعلم أنّ العوالم متصلة، وأنّها كلّها عبارة عن طاقة، ولكن يبدو أيضًا بأنّها متباعدة للغاية، ووظيفتي أن أربط العوالم مع بعضها، وأن أوثّق بعناية وبشكل علمي اتحادها.

لقد ازدهرت عائلتي، أصبح لدى كارول وآمي قدرات خارقة فوق المتوسطة، ونحن نشجع بمرح المزيد من التطور لهذه المهارات، جوردان أصبح مراهقًا ذا كاريزما قوية، وقائدًا بالطبيعة، وأصبحت أخيرًا أقلّ جدية، وأحيانًا أرى أحلامًا غير اعتيادية، أثناء بضعة شهور بعد آخر جلسة مع كاثرين، بدت هنالك ميول غريبة تظهر أثناء نومي.

ففي إحدى المرات كنتُ أعيش حلمًا مشرقًا، كنت فيه مستمعًا لمحاضرة، وطرحتُ بعض الأسئلة على المحاضر، وكان اسم المعلم في الحلم هو فيلو، بعد الاستيقاظ أقوم باستذكار بعض المحتوى الذي تمّ نقاشه، ثمّ أكتبه مرفقًا إياه ببعض الأمثلة هنا، كان أول درس، وأدركت تأثير رسائل المعلمين فيه:

- «الحكمة تتحقق بغاية البطء، هذا لأنّ المعرفة الفكرية التي يتمّ تحصيلها بسهولة، يجب تحويلها لمعرفة شعورية/ أو لا واعية. وما إن تتحول، فسوف يكون الأثر دائمًا، الممارسة السلوكية هي الحافز الضروري لهذه الاستجابة، فمن دون الفعل سيتلاشى المفهوم، المعرفة النظرية من دون التطبيق العملي غير كافية».

«التوازن والانسجام يتمّ استبعادهما اليوم، على الرغم من أنّهما من أساسيات الحكمة. الناس يبالغون في كلّ شيء، أصيبوا بالبدانة لأنّهم يبالغون في الأكل. المهرولون يهملون جوانب من شخصياتهم ومن الآخرين لأنّهم يركضون بشكل مبالغ فيه. الناس يبدون دنيئين بشكل مفرط، فهم يدخنون بنهم، ويفرطون باحتساء الخمور، ويتحدثون كثيرًا من دون معنى، يقلقون كثيرًا، كما أنّ الكثير منهم يفكر بطريقة الأبيض أو الأسود؛ كلّ شيء أو لا شيء، وهذا ليس أسلوب الطبيعة».

- «في الطبيعة هناك توازن، الوحوش تدمر بدرجة أقلّ من البشر. النظام الإيكولوجي لا يزول بالمطلق، يتمّ استهلاك النباتات لكنّها تعاود النمو، تتراجع مصادر القوت، ومن ثم يتمّ

تجديدها، يتمّ الاستمتاع بالزهرة، الفاكهة تؤكل، ويحفظ الجذر».

- «البشرية لم تتعلم التوازن، دع ممارستها جانبًا، فهي محكومة بالجشع والطموح ومدفوعة بالخوف، وهي بهذه الطريقة ستدمر نفسها في النهاية، ولكنّ الطبيعة ستنجو، أو على الأقل النباتات».

- «إنّ الإفراط في التفكير والعمل يذهب السعادة (...) الأشخاص المتدينون يخبروننا أنّ السعادة تأتي من امتلاء القلب بالحبّ، تأتي من الإيمان والأمل، من عمل الخير ونشر اللطف، إنّهم في الواقع محقون، مع وجود هذه التصرفات يأتي التوازن والانسجام عادة. هذه حالة وجودية بشكل جمعي، في هذه الأيام هناك حالة من يقظة الوعي كما لو أنّ البشرية ليست في حالتها الطبيعية على الأرض، يجب أن تصل للحالة الواعية حتى تملأ ذاتها بالحبّ والخير والبساطة، لتشعر بالنقاء ولتتخلص من المخاوف المرضية».

- «كيف يمكن للشخص الوصول للحالة المتيقظة، هذا نظام قيمي مختلف، وعند الوصول إليه، كيف يمكن المحافظة عليه؟ تبدو الإجابة بسيطة إنّ العامل المشترك في جميع الأديان، يتلخص بفكرة: «البشر خالدون» وما نقوم به الآن هو تعلم دروسنا، نحن في مدرسة، وسيكون الأمر بسيطًا إذا آمنت بالخلود.

إذا كان جزء من البشرية خالد، وهنالك دليل وتاريخ للاعتقاد بذلك، فلماذا إذًا نقوم بإيذاء أنفسنا على هذا الشكل؟ لماذا ندوس على الآخرين ونتجاوزهم لمنفعتنا الشخصية في حين أنّنا نسقط في الامتحان؟

يبدو بأنّنا جميعًا متجهون نحو نفس المصير في النهاية، وإن كان ذلك بسرعات متفاوتة، لا أحد أعظم من الآخر».

- «فيما يتعلق بالدروس، على المستوى الفكري فإنّ الأجوبة دائمًا موجودة، ولكنّ تطبيقها من خلال التجربة هو الأهمّ، لجعل اللاوعي يتأثر بشكل دائم، من خلال (استشعار) أو تطبيق المفهوم، هذا هو الأساس، التذكّر في مدرسة الأحد ليس مفيدًا بما يكفي، وحركة الشفاه من دون السلوك ليست ذات قيمة، من السهل القراءة أو التحدث عن الحبّ والخير والإيمان. ولكنّ الممارسة

والاستشعار يتطلبان حالة من يقظة الوعي، ليست هي الحالة المؤقتة الناجمة عن المخدرات والكحول، أو العاطفة غير المتوقعة.

الوصول إلى الحالة الدائمة ناجم من المعرفة والإدراك، واستمرارها كسلوك فيزيائي، يتمّ عبر العمل والتدرّيب والممارسة، الأمر يتطلب أخذ شيء خفي وتحويله إلى أمر مألوف بشكل يومي عن طريق الممارسة، مما يجعله عادة. عليك أن تدرك أنّه لا يوجد شخص أعظم من الآخر، أيقن بهذه الفكرة، مارس مساعدة الآخرين، نحن نجدف في نفس القارب، إذا لم نتساعد سويةً، فإنّ عالمنا سيكون وحيدًا».

- «الآن قام البعض بتنظيف العديد من الجوانب، وقام آخرون بتنظيف القليل، ومع ذلك فتحت التراب، لكلّ شخص جوانبه الخاصة بداخله، الألماسة الكاملة لا يوجد بها عيب، الفرق الوحيد بين الناس هو عدد الجوانب التي تمّ تنظيفها، ولكن الألماسة نفسها، هي وحدة متكاملة.

حين تنظف جميع الجوانب وتشع في جو من الأنوار، تعود للألماسة الطاقة الصافية التي كانت عليها أصلاً، تبقى الأنوار، الأمر يبدو كما لو أنّ العملية التي تسببت بصنع الألماسة قد تمّ عكسها، كل هذا الضغط يتمّ تحريره، والطاقة الصافية موجودة في قوس قزح الأنوار، وفي الأنوار يكمن الوعي والمعرفة. وجميع الألماسات «كاملة» في بعض الأحيان الأسئلة معقدة والأجوبة بسيطة».

- «ماذا يجب عليَّ أن أعمل؟»، كنت أتساءل في الحلم، «أعلم أنّ بإمكاني أن أعالج الناس المتألمين، الإجابة تأتيني بأرقام أكبر مما أستطيع التعامل معها، أنا متعب للغاية، ومع ذلك هل يمكنني أن أقول لا، حين يكونون متطلبين ويكون بإمكاني مساعدتهم؟ هل من الصحيح قول: لا، هذا يكفي؟».

- «دورك ليس أن تكون حارسًا». كانت الإجابة، آخر مثال سأقوله كان رسالة للنفسانيين.

لقد استيقظت من حلم حوالي السادسة في الصباح حيث كنت ألقي محاضرة، في هذا المثال لمجموعة من النفسانيين.

في الإسراع نحو الطبّ النفسي، من المهم ألّا نتخلى عن الطريقة التقليدية، وإن كانت في بعض الأحيان تعاليم مهنتنا غامضة، نحن الذين لا نزال نتحدث إلى مرضانا، بصبر وبشفقة؛ نحن لا نزال نستهلك وقتًا طويلاً للقيام بذلك، نحن نشجع إدراك مفهوم المرض، والشفاء مع الفهم وتحفيز اكتشاف المعرفة الذاتية، وليس فقط بأشعة الليزر، ما زلنا نستخدم الأمل للشفاء.

في هذا اليوم وهذا العصر، فروع الطبّ الأُخرى ترى أنّ هذه الأساليب التقليدية للشفاء غير فعالة للغاية، ومضيعة للوقت وغير مثبتة، إنّهم يفضّلون التشخيص بمساعدة الكومبيوتر، ونتائج تحاليل الدم المخبرية، عوضًا عمّا يمكن أن ينتج من العلاقة الشخصيّة بين الطبيب والمريض، التي تشفي المريض وتوفر الرضا للطبيب.

إنّ النُهج الاقتصاديّة والفعاليّة التكنولوجيّة والانعزال أوصلت المثالية والأخلاقية والأسلوب الشخصي المقنع للطبّ إلى مقاربات تدمير الرضا، نتيجة لذلك، يشعر زملاؤنا بالعزلة المتزايدة والاكتئاب، ويشعر المرضى بالتسرّع والفراغ وانعدام الاهتمام الحقيقي بهم.

- «يجب أن نتجنب إغراء التكنولوجيا»، بدلاً من ذلك، يجب أن نكون النموذج لزملائنا، نحن نساعد كلاّ ًمن المريض والطبيب، مستغرقين المزيد من الوقت للحديث، للتعليم ولإيقاظ الأمل وتوقع التعافي - هذه القدرات التي تمّ نسيانها لدى الطبيب كمعالج - يجب علينا استخدام هذه الأمور بأنفسنا وأن نكون مثالاً للأطباء الزملاء».

- «التكنولوجيا رائعة في البحث ولترويج فهم أمراض البشر، يمكن أن تكون أداة طبية قيمة، ولكن لا يمكن بأيّ شكل أن تستبدل السمات الشخصية وطرق الطبيب الحقيقي، علم النفس يمكن أن يكون الأبرز من ضمن التخصصات الطبية، نحن – المعلّمين – لا يجب أن نهجر هذا الدور من أجل الاستيعاب، على الأخصّ الآن».

لا يزال لدي أحلام، على الرغم من أنّها متقطِّعة، عادة في التأمل، أو بعض الأوقات، أثناء القيادة على الطريق السريع، أو حتى أثناء أحلام اليقظة، سيتبادر لذهني ألفاظ وأفكار وتخيلات، تبدو هذه مختلفة للغاية عن طريقتي الواعية في التفكير أو تشكيل النظرية، إنّها متكررة وتأتي في الوقت المناسب وتعالج الأسئلة أو المشاكل التي أواجهها.

كما أستخدمها في العلاج وفي حياتي اليومية، أعتبر هذه الظاهرة توسيعًا لقدراتي الحدسية، وأنا مسرور بها، وهي بالنسبة لي إشارات بأنني أتجه في المسار الصحيح، حتى ولو كان أمامي طريق طويل.

أصغي لأحلامي وحدسي، حين أفعل ذلك تبدو الأمور وكأنّها تصبح على ما يرام. أمّا حين أحجم عن ذلك، فإنّني أشعر بشيء ثابت يبتعد.

لا زلت أشعر بالمعلّمين من حولي، ولكنّني لا أدري على نحوٍ مؤكد، عمّا إذا كانت الأحلام والإلهامات متأثرة بهم، ما زلت في شكّ بذلك.

الخاتمة

هذا الكتاب قد اكتمل الآن. ولكنّ القصة تستمر، ظلت كاثرين متعافية من دون ظهور جديد لأيّ من أعراضها الأصلية، أمّا أنا فقد بتُّ حريصًا للغاية في العودة بالزمن مع المرضى الآخرين.

أنا أسترشد بأعراض المريض وبحرارته من العلاجات الأُخرى، وبالقدرة على التنويم بسهولة، من خلال تقبل المريض لهذه الطريقة، والشعور الحدسي من قبلي أنّ هذا هو الطريق الأنسب، ومن بعد علاجي لكاثرين، قمت بالعودة بالزمن بشكل مفصّل للعديد من الحيوات السابقة لعشرات من المرضى، لم يكن أيٌّ من هؤلاء المرضى مريضًا نفسيًا أو مهلوسًا أو مختبرًا لشخصيات متعددة، كلّ شيء تطور بشكل جذري، المرضى الاثنا عشر قادمون من خلفيات وشخصيات متفاوتة بشكل واسع، زوجة يهودية من ساحل ميامي تذكر بشكل واضح اغتصابها من قبل مجموعة من الجنود الرومان في فلسطين بعد وقت قصير من وفاة المسيح، أدارت في القرن التاسع عشر بيت دعارة في نيو أورليانز، وعاشت في دير في فرنسا في العصور الوسطى، وكانت أوقات حياتها اليابانية محزنة، كانت الوحيدة من بين المرضى بالإضافة إلى كاثرين ممن يستطيعون نقل الرسائل من الحال البينية، كانت رسائلها حدسية للغاية، كانت هي أيضًا تعرف أحداثًا وحقائق من الماضي، كان لديها أكثر من طريقة لتوقع أحداث المستقبل بدقّة، فأتت رسائلها من روح محددة، وأعمل حاليًا على ترتيب جلساتها بشكل حذر، أنا على علمٍ بأنّ كلّ مادتها يجب أن تدقق وتقيّم وتوثق.

الآخرون لم يكن بمقدورهم تذكر الكثير بعد الموت، وهم يتركون أجسامهم ويطفون نحو النور الساطع، لم يستطع أحد نقل الرسائل أو الأفكار لي، ولكن كان لديهم جميعًا ذكريات واضحة لحيوات سابقة، مضارب عبقري بالأسهم عاش حياة جميلة ولكنّها مملة في إنجلترا، فنّان في العهد الفيكتوري تمّ تعذيبه أثناء محاكم التفتيش الإسبانية؛ مالك مطعم لا يستطيع القيادة فوق الجسور أو

عبر الأنفاق لأنّه يتذكر دفنه وهو حيّ حين كان يعيش حياته كأحد أبناء الثقافات الشرقية، طبيب شاب تذكر صدمته وهو في البحر، حين كان من الفايكينغ، مسؤول تنفيذي تلفزيوني عُذِّب منذ ستمئة سنة مضت في فلورانس، وقائمة المرضى تطول، هؤلاء الناس لا يزالون يتذكرون حياة أُخرى أيضًا.

الأعراض تلاشت مع تكشّف الحيوات السابقة لكلّ واحد منهم معتقدًا بصورةٍ مؤكدة بأنّه قد عاش من قبل وسوف يعيش مرة أُخرى، خوفهم من الموت قد تضاءل.

ليس من الضروري لجميع الناس أن يقوموا بجلسات علاج العودة بالزمن أو زيارة طبيب نفسي أو حتى وسطاء روحانيين، أولئك الذين لديهم أعراض معيقة ومزعجة قد يختارون القيام بذلك، أمّا بالنسبة للآخرين فإبقاء الذهن متفتحًا هو المهمة الأهم. إدراك أنّ الحياة أكثر مما تبصره العين، الحياة تمتد لما وراء الحواس الخمس، كن متلقيًا للمعرفة والتجارب الجديدة، «مهمتنا هي التعلّم والتخلق بصفات الإله من خلال المعرفة».

أنا لست مهتمًا بعد الآن بتأثير هذا الكتاب على وظيفتي، المعلومات التي شاركتها أكثر أهمية بكثير، وإذا تمّ الإصغاء إليها، فأهميتها أكثر فائدة للعالم من أيّ شيء يمكن أن أقوم به على المستوى الفردي في مكتبي.

آمل أنك قد استفدت مما قرأت هنا، وبأنّ خوفك من الموت قد تلاشى، وبأنّ الرسائل التي قُدمت لك حول المعنى الحقيقي للحياة سوف تحررك لعيش حياتك لأقصى درجة، ساعيًا نحو الانسجام والسلام الداخلي والوصول بحبّ لرفقائك البشر.

Notes

[1←]

العودة الى الحياة بجسد آخر، وما يعرف ايضا بالتقمص